

تفسیر
سورۃ غافر
عرض و تحلیل

المملكة العربية السعودية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
بشعبة التفسير

١٤٠٦ هـ
ع ١٤٠٦

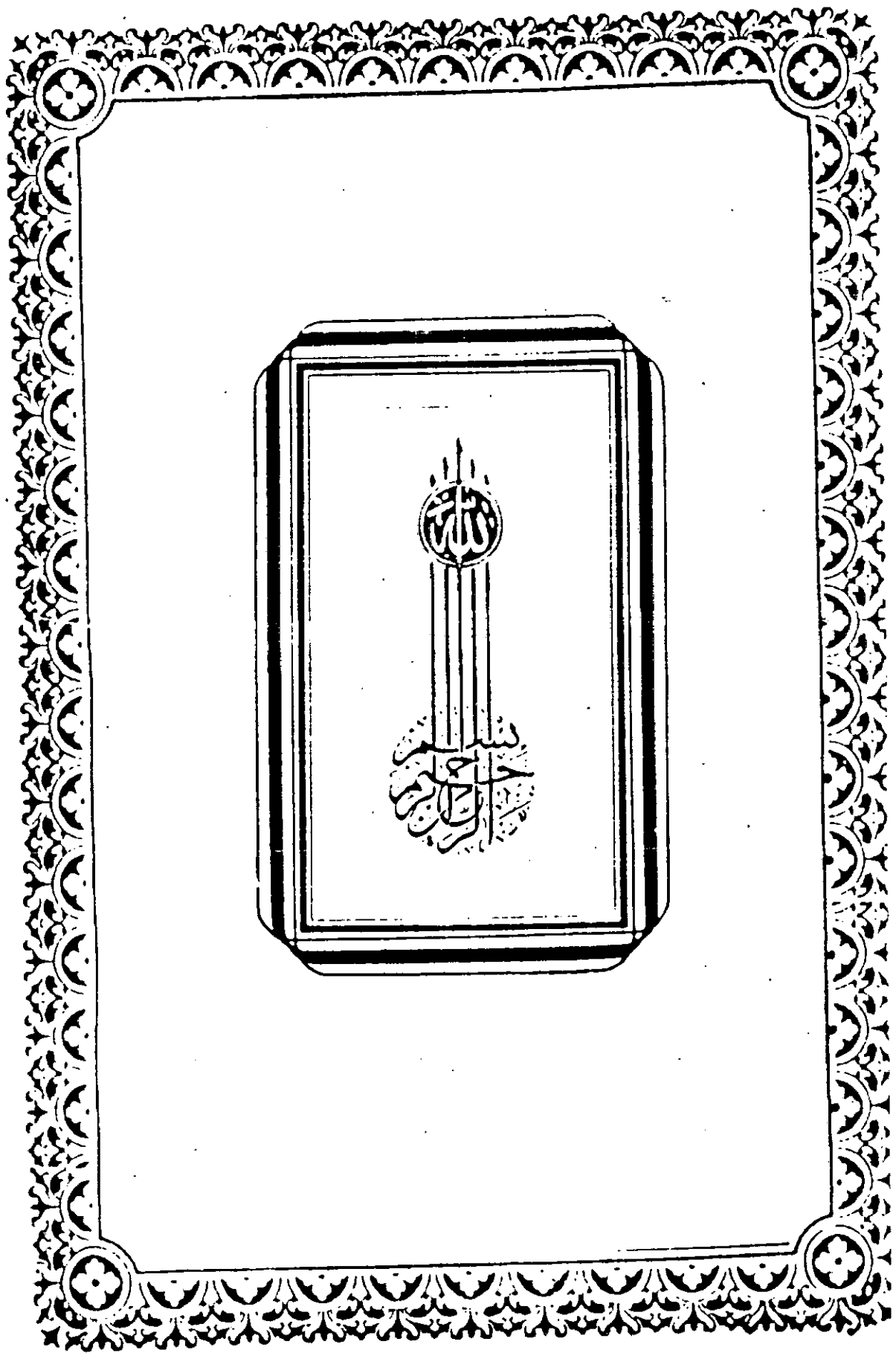
تفسير
سورة غافر
عرض وتحليل

إعداد الطالب
محمد بن عبد الرحمن بن نوح عيسى
لنيل الشهادة العالمية (الماجستير)

بإشراف فضيلة

د/ عبد العزيز الدردري

١٤٠٦ - ١٤٠٧ هـ



شكر وتقدير

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه نحمده حمدا
يوافي نعمه ويكافي^١ مزيده والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخيرته
من خلقه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم واهتدى بهداهم .
وبعد فاعترافا بالفضل لأهله لقوله صلى الله عليه وسلم
((من صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا
له حتى تروا أن قد كافأتموه .))^(١) وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
((من لم يشكر الناس لم يشكر الله))^(٢) .

ومن منطلق هذه العُمل الكريمة والأخلاق الحميدة التي
أدبنا بها معلم الأمة الخير صلى الله عليه وسلم
فانني أتقدم بعظيم الشكر والامتنان لفضيلة الدكتور عبدالعزیز
الدردير موسى الذي أشرف على هذه الرسالة وسدد لني
أخطائي ووجهني التوجيه السليم مما خفف عني الصعوبات
والعقبات التي قد تواجه الباحث في بحثه فأنا لني الطريق وسهله
ومنحني من وقته الكثير في الجامعه وفي البيت وغمرني بسماحته
ولطفه فجزاه الله عني خيرا الجزاء .
كما أتقدم بالشكر لفضيلة الوالد الشيخ عبدالمحسن العباد والذي
كان له الفضل بعد الله في اختيارى لهذا الموضوع وبيان فضيلته
للخطوط العريضة التي سرت عليها .

وكما أشكر كل من ساهم معي في انجاز هذه الرسالة من مشايخ وزملاء
ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان لهذه الجامعة رؤساء وعمرووسين على
ما قدمته وتقدمه في سبيل العلم والمعرفة ونشر كلمة التوحيد الخالصة
في أرجاء المعموره ولا أنسى الفضل لله وحده ثم لوزارة الدفاع والطيران
مثلة في ادارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة والتي أتاحت الفرصة لني
ولبعض زملائي لمواصلة دراساتنا العليا .

فجزى الله الجميع عنا خيرا الجزاء . والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

١ - أحمد : ٦٨ / ٢ وأبو داود : ٣١٠٧ / ٢ ح ١٦٧٢ .

٢ - أحمد : ٢٥٨ / ٢ وأبو داود : ٥٧ / ٥ ح ٤٨١١ .

المقدمه

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا . وأنشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له جعل كتابه الحمد مفتحا وبلاستعاذه مختتما والصلاه والسلام على خير من أوحى اليه كتاب . وعلى آله وأصحابه ودعاة منهجه الى يوم الدين .

أما بعد . فقد مرّ على الانسانى حين من الدهر فى فترة خلت فيه من الرسل عاشت خلاله فى ضلالة عمياء وجهالة جهلاء تسير فى غمرة من الأوهام وسيطرة للأهواء والنزعات وفوضى فى الأخلاق والمعاملات حتى أراد الله لهذه الأمة النور والهداية فترقى بروح من أمره وتسعد فى دينها ودنياها بوحي من سمائه ينظم حياتها ويهدب أخلاقها ويقوم اعوجاجها فاصطفى لها رجلا من خيرة قومه نسا وشرفا وعزة ومكانة ((الله أعلم حيث يجعل رسالته)) (الأنعام : ١٢٤) .

منّ الله به على هذه الأمة ليخرجها من الظلمات الى النور وأنزل عليها كتابا . ((يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)) (المائدة : ١٦) . وجعله معجزة رسوله الخالده لأن كل رسول بعث فى قومه مؤيدا بأدلة وبراهين تدعم قوله وتبين صدق دعوته فكانت آيات الرسل ومعجزاتهم لأممهم تتناسب وجنس ما اشتهر ونبع فيه قومهم فتكون أدعى للتأثير فيهم ويدرك الخصم أن وراء ذلك قوة خفية فوق طاقة البشر وادراكه ويظهر ذلك واضحا جليا فى آيات موسى وعيسى .

فموسى كان أعظم آياته السحر اذ هو أعظم ما اشتهرت به رعية فرعون فكانت معجزته مسيطرة وقاهره لكل ماجاءوا به من السحر كما قص الحق تعالى ذلك فى مواضع متعددة من كتابه من مثل قوله تعالى : ((وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هى تلقف مايا فكون فوق الحق وطل ماكانوا يعملون . . .)) (الأعراف : ١١٧ - ١١٨) .

وعيسى كذلك بعث في قوم بلغ فيهم الطب مبلغا عظيما فكان من آياته
معا لا قبل لهم به من ابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى باذن ربه
كما أخبر الله بذلك في معرض الامتحان عليه بما أتاه من العلم والقدرة
على ذلك ((واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها
فتكون طيرا باذنى وتبري الأكمه والأبرص باذنى واذ تخرج الموتى
باذنى)) (المائدة: ١١٠) .

وكذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث في قوم بلغ بهم البيان العبرى
أوج عزته وتغننت ضروب الفصاحه والبلاغه فى قریش خاصة
مهبط الوحي ومنطلق الرساله فكان القرآن معجزة باقية دائمة
بفصاحته وبيانه وعمق معانيه وحججه العقلية والنقلية معجزة الجن
والانس على السواء ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا))
(الاسراء: ٨٨) .

ولئن كانت معجزة كل رسول تنتهى بانتهاء زمنها الذى توافقت فيه مع
احدائه وتزول بزواله وان كانت من أعظم الآيات وأقواها دلالة لمن
شاهدها وعابنها فان معجزة الاسلام الخالده تتجدد بتجدد الزمن
بما يوحيه هذا الكتاب العظيم من معارف وعلوم ماضيه ومستقبله وسيبقى
كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو ما أشار اليه صلى الله
عليه وسلم بقوله: ((ما من الأنبياء نبي الا أعطى من الآيات ما مثله
آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوجاه اللى فأرجو
أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)) (١) .

وقد أجاد شوقى حيث قال :

وجئتهم بكتاب غير منصرم
يزينهن جلال العتق والقدم (٢)

جاء النبيون بالآيات فانصرمت
آياته كلما طال المدى جُدد

١ . البخارى . ٣٨٠/١٠ .

٢ . الشوقيات: ١٠٦/١ -

وصدق الله ((أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
 اختلافا كثيرا)) (النساء: ٨٢) كل ذلك دعا أهل الفصاحة والبلاغه
 والبيان من أهل الكفر في قريش أن يقولوا لأتباعهم ((لا تسمعوا لهذا
 القرآن وألغوا فيه لعلكم تغلبون)) (فصلت: ٢٦) لأخذه للأسماع
 وسيطرته على القلوب كما كان من الوليد بن المغيرة عند سماعه له
 وصفه بقوله : ((إن له لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مفدق
 أسفله وانه ليعلى ولا يعلى عليه)) (١)

كيف لا يكون كذلك وهو الكتاب الذي ((لا يأتيه الباطل من بين يديه
 ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)) (فصلت: ٤٢) . فيه خير ما قبلنا
 وحكم ما بيننا ونياً ما بعدنا ((هو الفصل ليس بالهزل من تركه
 من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل
 الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ
 به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق
 عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته
 حتى قالوا ((إننا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنّا به))
 (الجن : ٢) من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا
 إليه هدي إلى صراط مستقيم)) (٢)

ويصفه الرافعي فيقول : ((إن استقرار القرآن وهو شريعة وأخبار وآداب
 هو بعض أدلة اعجازه بل أقواها بل دليلها الزماني المنسحب
 ولكنه مع ذلك كتاب أي كلام ومعان تتسع لكل الأزمنة وتحتل اختلافها
 الذي تختلف به ثم هي تحدد هذا الاختلاف فترده إلى القانون
 الإنساني الأعلى الذي يسرى فيه للميقين العام ليحفظ الإنسانية
 على أهلها ومن ثم تراه يجمع في نفسه الثبات الزماني فلا يتغير ولا يتبدل
 على ما يمتد الزمن ويتغير ثم يجمع إلى ذلك لكل جيل قوة التأويل

١ . تهذيب سيرة ابن هشام : ٦٨ - ٦٩ .
 ٢ . الترمذی : ٢١٨ / ٨ : ح ٣٠٧٠ .

فى معانيه الحادثة الصحيحة وقوة التكوين فى آدابه الصالحة القويّة
 كأنه ليس من زمن مضى ولا كان لأمة سلفت ولا هو لتاريخ وقع وانقطع
 فاذا تدبرت هذا واستدللت بما أظهره هذا الجيل العلمى فى القرآن
 مما وافق الحقائق الطبيعية والكونية والاجتماعية فلن يأتى من ذلك
 الا معنى واحد تستخرجه وتقع به وهو أن هذا الكتاب الكريم أشر
 غيبى كان فى علم الله قبل كل الأزمنه فهو يحويها كلها وكأنه
 يوجد معها كلها ، وبذلك يتعين أنه هداية الاهيه فى أسلوب
 انسانى يحمل فى نفسه دليل اعجازه ويكون القرآن منفردا فى التاريخ
 بأنه منذ أنزل لا يبرح فى كل عصر يظهر من ناحيتين صادقتين ناحية
 الماضى وناحية الحاضر ((^(١)).

صدق الله ((ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم)) (الاسراء : ٩) .
 كيف لا يكون كذلك وقد نزل بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة
 أشرف الملائكة فى أشرف البقاع وبدء نزوله فى أشرف الليالى وفى أشرف
 الشهور فكملى من كل الوجوه .^(٢)

والأمة الاسلامية اليوم مدعوة الى العودة الصادقة الصحيحة لهذا
 الدستور السماوى الكريم لتعود لها عزتها ومكانتها وهيبتها بين الأمم
 كما كان الحال لأول هذه الأمة وسلفها الصالح حينما عايشت القرآن
 فى أخلاقها وسلوكها ومعاملاتها بالقول والفعل والعمل وإيمانها
 الصادق بالقرآن كله فلم تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض كما هو واقع
 المجتمع المسلم اليوم كما يصفه سيد قطب رحمه الله ((لقد بدأ خط
 صعوده من نقطة التقاء القوانين الطبيعية فى حياته مع القيم الايمانية
 وبدأ خط هبوطه من نقطة افتراقهما وظل يهبط كلما انفرجت زاوية
 الافتراق حتى وصل الى الحضيض عندما أهمل السنن الطبيعىه
 والقيم الايمانية جميعا .

١ . اعجاز القرآن للرافعى : ١٣ - ١٤ .

٢ . تفسير ابن كثير : ٢ / ٤٦٧ .

وفى الطرف الآخر تقف الحضارة المادية اليوم... كالطائر الذى يـرف
بجناح واحد جبار بينما جناحه الآخر مهيبض فيرتقى فى الابداع المادى
بقدر ما يرتكس فى المعنى الانسانى ، ويعانى من القلق والحيرة والأمراض
النفسيه والعصبيه ما يصرخ منه العقلاء)) (١).

«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (الرعد : ١١) .
وهكذا يكون القرآن مأدبة الله فى أرضه استحق أن يوصف بأنه أعظم
رسالة عرفتها البشرية اذ هو أعلاها مكانه وأجلها معجزه وأكملها نظاما
ومنهجا . أعلى الله مكانته فسمى به عن أيدي العابثين والمفسدين
أن تتناول عليه كما تناولت على الكتب السماويه الأخرى عند ما أوكل
حفظها للبشر فتوعد الله بحفظه وصيانتة فقال : ((إنا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون)) (الحجر : ٩) .

وكذلك كان . لم يزل ولا يزال حتى يرث الله الأرض ومن عليها محفوظا
فى الصدور والسطور يهيبه الله له فى كل زمن من الأزمنه من يقوم
على حفظه بدراسته وتعلمه وتعليمه وتفسيره واستنباط أحكامه
والاستشهاد بدلائله واعجازه والاعتبار بقصصه ووعظته . مما جعل
العلماء قد يماوروا ويتنافسون فى دراسته وعلومه المتشعبه من مفسر
لمعانيه وألفاظه أو مستنبط لأحكامه أو متتبع لقصصه ووعظته وشواهده
وأقسامه ومفرداته وبلاغته واعجازه وناسخه ومنسوخه ومشكله ومتشابهه
الى غير ذلك من العلوم التى تزخر بها المكتبة الاسلاميه اليوم .
والكل من أولئك يسعى بالظفر بالخيره التى وعد لها لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم لمعلمه ومتعلمه ((خيركم من تعلم القرآن
وعلمه)) (٢).

ولعلى أن أكون واحدا من أولئك المتعلمين وان هذه اللينه التى أضعها
بين أيديكم هاته الساعه بعنوان ((تفسير سوره غافر عرض وتحليل))
أول الطريق لذلك ان شاء الله .

١ . ظلال القرآن : ١ / ١٧ .

٢ . المختار : ١ / ٤٥٢ .

سبب اختياري لهذا الموضوع:

قضت مشيئة الله تعالى أن ألتحق بقسم التفسير عند ما كانت الرغبة حينذاك لقسم الفقه لا رغبة عن التفسير وعلوم القرآن فما العلوم الأخرى فضلا عن الفقه إلا فرع من فروعه. ولكن الميل كان تبعاً للتخصص حيث كان تخرجي في كلية الشريعة . وقدر الله وما شاء فعل وأحمد الله على هذا التوفيق .

وبما أن الطالب يتقدم برسائله العلمية في الشعبة التي تخصص فيها وحيث أن كتاب الله كله هدى ونور ورحمه ولكل سورة من سورته مدنيه ومكيه أهداف وخصائص ومعان تتميز به عن غيرها من السور الأخرى ولأجل ذلك وقع اختياري لهذه السورة العظيمة لسببين : أولهما : أنها مكية والسور المكية لها خصائص تتميز بها عن المدني . كالتركيز على العقيدة ، وذكر قصص الأنبياء وصراعاتهم مع أممهم ، والاكثار من الحديث عن البعث والجزاء ، وذكر القيامة وأحوالها والجنة ونعيمها والنار وعذابها . وذكر مجادله المشركين والملحدين بالحجج العقلية والنقلية . وهذه واحدة من السور التي شملت ذلك كله مما يجعل الباحث يعيش علوم القرآن كلها من خلال سورة واحدة عقيدة وسلوكا وقصصا ووعظا وتربية ودعوة .

وثانيهما : ان هذه السورة شملت في قصصها أعظم قصص في القرآن الكريم لموسى وفرعون وتميزت عن مثيلاتها من السور الأخرى التي تعرضت لهذه القصة بالانفراد بعرض صورته جديده من صراع الحق مع الباطل والايمان مع الكفر في شخص ذلك الداعيه المؤمن من حاشية آل فرعون والذي صدع بالحق في وجه الباطل بأسلوب فيه اللطف والحذر ثم الصراحه والوضوح مما ينير للدعاة الى الله الطريق في مثل هذه المواقف ويبين لهم المنهج القويم من خلال هذا القصص الرباني الكريم .

منهجى فى البحث:

- أ. تحدث قبل البدء فى تفسير السوره عن المطالب التاليه :
تسميه السوره وترتيبها ، مناسبتها لما قبلها ، الجو العام
للسوره ، ثم عرضا اجماليا لمحتويات السوره ، فضل السوره
ثم القدر المشترك بين هذه السوره ومثيلاتها من السور
المفتحه ((بحم)) .
 - ب. عمدت الى توزيع السوره الى مقاطع وبدأت كل مقطع بعرض
سريع لذلك المقطع مع الربط بينه وبين المقطع السابق اذا كان
هناك رابط .
 - ج. تحدثت عن معانى المفردات بعد المقطع مباشرة واسندت
أغلب هذه المعانى الى مصادر لغوية متعددة مقتصره على
المعنى اللغوى الذى يتناسب مع الآيه .
 - د. اجتهدت فى أن يكون تفسيرى للآيات وتحليلى لها بالمأثور
من تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابه ثم
بالصحيح والمختار من أقوال التابعين والمفسرين .
 - هـ. نقلت من التفاسير وغيرها كل ما له علاقة بهذه السوره أو سبق
للمفسرين الحديث عنه فى مواضع سبقت هذه السوره واكتفوا
بذكر ذلك فى موضعه من أقوال أو شروح تخدم معنا من
المعانى تماما للفائدة .
 - و. المسائل الخلافية أنقلها وأعزوها ثم اختار الراجح منها
مع ذكر وجه الترجيح أحيانا .
 - ز. خرجت الآيات التى استشهدت بها من غير هذه السوره
وأشرت إلى ذلك فى المتن واكتفيت بالشاهد منها دون ذكر
لبقية الآيه أحيانا .
- وكذلك بالنسبة للأحاديث فقد عزوتها فى أغلب الأحيان
الى مصدر أو أكثر من مصادر السنة ولا سيما اذا كان فى
الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك غالبا .

فاذا لم أجد له أصلاً في الكتب التي وقفت عليها عزوته
لكتب التفسير بالمأثور مع التنبيه على ضعفه أحياناً ولا سيما
فيما يتصل بأمر العقيدة.

ح . قد اقتصر على ذكر اسم المؤلف عند العزو إليه كما هو الحال
في كتب السنة وكتب التفسير المشهورة .

ط . لم أترجم للأعلام في الحاشية سوى ما تطلب التعليق عليه
ليبان رأى علماء الجرح والتعديل فيه وما عدا أولئك ممن
الأعلام ممن رأيت الترجمة لهم أفردتهم بملحق خاص في آخر
الرسالة .

ذكر أهم مباحث الرسالة:

أ . عقدت مبحثاً عن الحروف المقطعة في أوائل السور ضمنته
المباحث التالية :

- ١ . خلاف العلماء فيها واختيار الراجح من ذلك .
- ٢ . الحكمة من افتتاح السور بها .
- ٣ . وجه اختلاف الفواتح فيما بينها .
- ٤ . وجه اختصاص كل سورة بالأحرف المفتحة بها .
- ٥ . هل تعد آية أم لا والراجح من ذلك .
- ٦ . محلها من الأعراب .
- ٧ . هل هي أسماء أم حروف .
- ٨ . حكم الوقف عليها .

ب . مبحث في الاستغفار والتوبة وتحتة عدة مباحث :

- المبحث الأول : الحث على الاستغفار والتوبة من العبد .
- المبحث الثاني : القدر المشترك بين التوبة والاستغفار والفرق بينهما .
- المبحث الثالث : جواز التوبة من ذنب دون ذنب خـ لاف
ما تعتقده بعض الطوائف .

المبحث الرابع : هل التوبة واجبه على الله أم ذلك وجوب كرم وفضل .

ج. مباحث في الجدل :

- المبحث الأول : الجدل في الاصطلاح .
- المبحث الثاني : تعدد معانيه في القرآن .
- المبحث الثالث : أوجه الجدل في القرآن .
- المبحث الرابع : أقسامه من جهة نفسه .
- د . مبحث عن العرش وتحتة عدة مباحث :
- المبحث الأول : حملة العرش .
- المبحث الثاني : عدد حملة العرش والخلاف فيه وبيان الراجح .
- المبحث الثالث : صفتهم .
- المبحث الرابع : مادة خلقهم .
- المبحث الخامس : وظائفهم .
- المبحث السادس : المفاضله بينهم وبين سائر الناس .
- المبحث السابع : العرش وصفته .
- المبحث الثامن : هل هو غير الكرسي والمختار من ذلك .
- هـ . مبحث عن خلق أفعال العباد .
- و . مبحث عن أسرار التكرار في القرآن .
- ز . مبحث عن أسرار تكرار القصص مع فرعون .
- ح . مبحث عن تشبيه قصة موسى مع فرعون .
- ط . مباحث في حقيقة الايمان :
- المبحث الأول : أقوال الطمء فيه .
- المبحث الثاني : حقيقته ونماذج من أقوال السلف .
- ي . مباحث في اثبات صفه العلو والفوقيه :
- المبحث الأول : فيما تعتقده بعض الطوائف في هذه الصفه .
- المبحث الثاني : في منهج السلف في الصفات عموما .
- ك . دروس من دعوة الرجل المؤمن وتحتة مبحثان :
- المبحث الأول : أهمية الدعوة .
- المبحث الثاني : الكيفية التي سلكها المؤمن في دعوته .

ل . مبحث عن عذاب القبر وتحتة مبحثان :

- المبحث الأول : كون قوله تعالى : ((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا)) من أدلة أهل السنة والجماعة في اثبات عذاب القبر .
- المبحث الثاني : الجمع بين ماورد من آثار في نفي عذاب القبرواثباته ؛
- م . مباحث تحت قوله تعالى ((فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك))
- المبحث الأول : المراد بالأمر له صلى الله عليه وسلم بالاستغفار وكلام العلماء في ذلك والمختار منه .
- المبحث الثاني : المراد بالعشى والابكار في الآيه وسر تخصيص هذين الوقتين بالدعاء .

المبحث الثالث : دعوى النسخ في هذه الآيه واثبات كونها محكمة .

ن . مباحث في الدعاء :

- المبحث الأول : الدعاء وحقيقته .
- المبحث الثاني : المراد بالدعاء في آيه المؤمن .
- المبحث الثالث : الترغيب في الدعاء .
- المبحث الرابع : ثمرة الدعاء وشروط اجابته .
- س . مباحث تحت قوله تعالى : ((الحمد لله رب العالمين))
- المبحث الأول : معنى الحمد .
- المبحث الثاني : الفرق بين الحمد والشكر .
- ع . مباحث عن خلق الانسان ونشأته :
- المبحث الأول : أصل خلقته .

- المبحث الثاني : معنى خلقه من التراب والصحيح من ذلك .
- المبحث الثالث : أطوار حياته في بطن أمه .
- المبحث الرابع : أول مراحلها في الحياة .
- المبحث الخامس : مرحلة الأشد ومتى تكون .
- المبحث السادس : الضعف بعد القوه .
- المبحث السابع : نهاية الحياة .

ف. مباحث تحت قوله تعالى ((واذا قضى أمرنا ما يقول له كن فيكون))

المبحث الأول : معنى القضاء .

المبحث الثانى : متى يكون الأمر بالمأمر به ؟ والصحيح من

أقوال العلماء فى ذلك .

ص. مباحث تحت قوله تعالى ((ولقد أرسلنا رسلا من قبلك . . . الآية))

المبحث الأول : بيان من قص الله خبرهم على رسوله فى القرآن .

المبحث الثانى : فى عدد الأنبياء والمرسلين .

المبحث الثالث : حول تنزل الآيات على الرسل باذنه وعلمه .

وبعد . فهذا ما وسعنى تحصيله مما يتعلق بمطالب السورة والتى اجتهدت فيها ما وسعنى معترفا بالتقصير فى أداء ما كان يجب بيانه ولكن الانسان مهما بذل من الجهد ليوفى هذا الكتاب حقه فلن يبلغ من غرضه ما يريد وقد اعترف بالعجز فى ذلك مشايخنا وعلمائنا الذين تقطف ثمار جهدهم وتعبهم .

فكيف بمن يلج البحر ولا يحسن السباحة وحسبى أنى وقفت بساحله والكمال لله وحده العليم بكتابه وأسراره وحبه وعلومه .
أسأل الله أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا . والحمد لله على كل حال .

تسمية السورة (١)

هذه من السور ذات الأسماء المتعددة (٢) فتسمى سورة غافر لقوله تعالى ((غافر الذنب)) ولتكرار هذه الصفة على لسان مؤمن آل فرعون فسي قوله تعالى ((وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار)) وتسمى سورة الطول لقوله تعالى ((ذي الطول)) .

١ . السور جمع سورة وهي كل منزلة من البناء ومنه سور القرآن لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى . الجوهري ٢ / ٦٩٠ . وسميت كذلك للجمع والإحاطة لآياتها كما يسمى سور البلد لإحاطته بمنزله ودوره . ابن كثير ١ / ٨٠ . وحدها كما يقول الجعبري ((قرآن يشتمل على أي ذي فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات)) الإتيان للسيوطي ١ / ٦٩٠ .

٢ . إن تعدد أسماء السور غالباً ما يكون لاشتهار الإسم الذي سميت به لكثرة وروده وتكراره أو لاختصاص هذا الإسم بحكم متميز عن سواه . ويذكر أحمد بن الزبير الفرناطي حول هذا المعنى في كتابه ملاك التأويل فيقول : ((والعرب تساوي في الكثير من السميات أحد أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في المسمى من خلق أو صفة تخصه ، وتكون فيه أحكم ، أو أكثر أو أسبق لإدراك الرأي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام ، والقصيدة الطويلة من الشعر بما هو أشهر فيها أو يعطونها الى أشباه هذا وعلى ذلك جرت أسماء السور للكتاب العزيز) ١ / ٢٨٠ وذكر نحو هذا الزركشي في البرهان ١ / ٢٧٠ - ٢٧٢ .

وكلما كثرت الأسماء للشيء دل ذلك على عظمة ذلك المسمى كما هو الحال في تعدد أسماء القرآن الكريم فقد ذكر له أكثر من خمسين إسماء فسماه الله كتاباً لقوله تعالى ((حم - والكتاب المبين)) (الدخان : ١ - ٢) وسماه قرآناً لقوله تعالى ((إنه لقرآن كريم)) (الواقعة : ٧٧) وسماه شفاءً لقوله تعالى ((وننزل من القرآن ما هو شفاء)) (الاسراء : ٨٢) . الخ ما هنالك من الأسماء . والحال كذلك في بعض سور القرآن كسورتنا هذه . أنظر البرهان

وتسمى سورة المؤمن لورود قصة الرجل المؤمن فيها لقوله تعالى : ((وقال رجل مؤمن)) وتسمى حم - غافر على اعتبار أن هذه الفواتح من أسماء السور التي أفتحت بها وهذا ما ذهب إليه جمع من المفسرين^(١) ويذكر الزمخشري أن عليه إطباق الأكثر مستدلين بما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ((ألم تنزل السجدة ، وهل أتى على الإنسان^(٢))) بل قد ورد نص في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي والدارمي ((من قرأ حم - المؤمن . . . إلى اليه العصير . . . الحديث^(٣) . زاد الفيروز بادي إسما آخر من أسماء السورة سوى ما ذكر قال : ((حم الأولى لأنها أولى ذوات حم))^(٤) وهذه السورة مكية . قال ابن عطية : ((هذه السورة مكية بإجماع وقد روي في بعض آياتها أنها مدنية وذلك ضعيف والأول أصح . (٥) وكما ذكر الاجماع على ذلك الفيروز بادي وأبو حيان وهو قول ابن عباس وابن الزبير ومسروق والحسن وعطاء وقتادة وعكرمة^(٦) . وقيل الا آيتين منها نزلتا بالمدينة وهي قوله تعالى : ((ان الذين يجادلون في آيات الله . . . الآية الى قوله تعالى : ((ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) (غافر : ٥٦ - ٥٧) روي ذلك عن ابن عباس وقتادة . (٧)

- ١ . الكشاف للزمخشري ١ / ٨٠ ، التفسير الكبير للرازي ٢٤ / ٢٦ ، البحر المحيط لأبي حيان ٧ / ٤٤٦ .
- ٢ . اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١ / ١٩٢ .
- ٣ . الدارمي ١ / ٤٤٩ تحفه الاحوزي ٨ / ١٨٢ - ح ٣٩٠٣٩ .
- ٤ . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١ / ٤١١ .
- ٥ . انظر تفسير ابن عطية مخطوط ص ٧٥ .
- ٦ . والبحر المحيط ٧ / ٤٤٦ ، بصائر ذوي التمييز ١ / ٤١١ .
- ٧ . زاد المسير لأبن الجوزي ٧ / ٢٠٤ ، القرطبي ١٥ / ٢٨٨ ، الاتقان للسيوطي ١ / ٢١ ، والدر المنثور للسيوطي ٥ / ٣٤٤ ، روح المعاني للألوسي ٢٤ / ٣٩ فتح القدير ٤ / ٤٧٩ .

والحق ما ذهب اليه الجمهور من أن هذه السورة مكية (١). وأما ما ذكره ابن عباس وقتادة عن الآيتين وأنها نزلت في يهود المدينة فليس بنص كما ذكر ذلك الألوسي في تفسيره مشيراً إلى رأي ابن تيمية في أمثال هذه (٢). قال ابن تيمية رحمه الله : ((وقولهم هذه الآية في كذا يراد به تارة أنه سبب النزول ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب كما تقول عني بهذه الآية كذا (٣). وذكر الزركشي في البرهان قوله : ((قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال : نزلت الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم لأن هذا كان السبب في نزولها . . . فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع)) (٤) كما أنه قد ورد عن ابن عباس ما يرجح نزولها بمكة بأسانيد متعددة (٥) فتبين أن السورة مكية .

١ . للعلماء في هذا الاصطلاح أعني المكي والمدني ثلاثة آراء :

الأول : أن المكي ما نزل بمكة قبل هجرته صلى الله عليه وسلم ولو كان بغيرها . والمدني ما نزل بالمدينة بعد الهجرة ولو بغير المدينة . وهذا القول هو أشهرها . الثاني : أن المكي ما نزل بمكة مطلقاً ولو كان بعد الهجرة ، والمدني ما نزل بالمدينة وما جاورها . الثالث : باعتبار المخاطب فالمكي ما كان خطاباً لأهل مكة كقوله تعالى ((يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)) (البقرة : ٢٠) وأشبه ذلك كالقص وغيره . والمدني ما كان خطاباً لأهل المدينة كقوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا)) وأشبه ذلك من الأحكام التشريعية وغيرها . وللرغبة في تفاصيل أوسع أنظر البرهان للزركشي ١/١٨٧-٢٠٤ والاتقان للسيوطي : ١/١١ - ١٥ .

٢ . روح المعاني للألوسي ٢٤/٣٩ .

٣ . الفتاوى لأبن تيمية ١٣/٣٣٩ .

٤ . البرهان للزركشي ١/٣١-٣٢ .

٥ . أنظر الدر المنثور للسيوطي : ٥/٣٤٤ .

وترتيبها^(١) في المصحف . الأربعون .

١ . أما ترتيب الآيات في السور والبسمة في كل سورة فهذا توقيفي من الرسول

صلى الله عليه وسلم ونقل في البرهان قول مكّي وغيره ((ترتيب الآيات في السور هو من النبي صلى الله عليه وسلم ولما لم يأمر بذلك في أول برآءة تركت بلا بسمة)) : ٢٥٦ / ١ . ونقل السيوطي الاجماع على ذلك

وقال : ((لا شبهة في ذلك للنصوص الكثيرة الدالة عليه)) : ٨٠ / ١ .

أما ترتيب السور كما هي عليه الآن في مصحف عثمان فأختلف العلماء في ذلك فمن قائل أن ترتيبها توقيفي من رسول الله صلى الله عليه

وسلم ومن قائل أن ذلك بأجتهد من الصحابة . والذي تميل اليه

النفس أن ذلك توقيفي . وقد ذكر الزركشي أقوال متعددة حول هذا

أذكر من ذلك ما نقله عن أبي جعفر النحاس قال : ((المختار أن

تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وروي ذلك عن علي بن أبي طالب وذكر أي أبو جعفر بسنده عن وائله

بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أعطيت مكان التوراة

السبع الطول ، وأعطيت مكان الزبور المثين ، وأعطيت مكان الأنجيل

المثاني وفضلت بالمفصل)) ثم ذكر الزركشي رحمه الله ما يرجح هذا

الرأي بقوله : ((لترتيب السور في المصحف أسباب تطلع على أنه

توقيفي صادر من حكيم .

أحد ها : بحسب الحروف كما في الحواميم .

وثانيها : لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر الحمد في المعنى

وأول البقرة .

وثالثها : للوزن في اللفظ كآخر تبيت وأول الا خلاص .

ورابعها : لمشابهة جملة السورة لجملة أخرى مثل : الضحى وألم نشرح .

البرهان للزركشي ٢٥٨ / ١ - ٢٦٠ . وهذا ما أرتضاه السيوطي في

الاتقان حيث قال : ((والذي ينشرح له الصدر ما ذهب اليه البيهقي

وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي الا برآءة والأنفال)) : ٨٤ / ١ .

وعدد آياتها خمس وثمانون في عد الكوفة والشام - وأربع في الحجاز
وأثنان وثمانون في عد البصرة (٢).

مناسبة هذه السورة لما قبلها :

لا شك أن القرآن كله وحدة موضوعية مترابطة آخذ بعضه برقاب بعض
فإذا أستقر الرأي على أن السور ترتبها توقيفي من رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما هو المختار. فان ذلك كافٍ للمؤمن بأن ذلك لحكمة قد ندرتها
أولا ندرتها ويذكر الزركشي قول: أبو بكر بن الأنباري حول هذا فيقول :
(ان الله أنزل القرآن كله الى السماء الدنيا ثم فرق في بضع وعشرين فكانت
السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر ، ويقف جبريل النبي صلى
الله عليه وسلم على موضع السورة والآية ، فاتساق السور كاتساق الآيات
والحروف كله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن قدم سورة أو آخرها فقد
أفسد نظم الآيات (٣) .

وهذا القول لا يعني عدم اجتهاد المسلم لمعرفة سر هذا الترتيب. بل
المسلم مطالب بفهم أسرار هذا الكتاب وإعجازه في مثل قوله تعالى : ((أفلا
يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)) (محمد : ٢٤) ولهذا ترى سورة
الزمر مثلا تستهل حديثها بوصف لكتاب الله وأنه منزل من عزيز حكيم
في صنعه وتدبيره لخلق ملقيه بظلالها باديء ذي بدء بالتركيز على
العقيدة ((الا لله الدين الخالص)) (الزمر : ٣) وذلك عين ما أستهلته
به سورتنا هذه من قوله تعالى : ((تنزيل الكتاب من الله . . . الى قوله
اليه المصير)) (غافر : ٢ ، ٣) .

١ . سيأتي إن شاء الله بيان سبب اختلاف العلماء في عد آي القرآن الكريم

وذلك في البحث الخاص بالحروف المقطعة ، وهل تعد آية أم لا ؟

٢ . القرطبي : ٢٨٨ / ١٥ - بصائر ذوي التمييز للفيروز بادي : ١ / ١١١

الألوسي : ٣٩ / ٢٤ ، فتح القدير : ٤٨٠ / ٤ .

٣ . البرهان للزركشي ١ / ٢٦٠ .

ثم تجد الصراع بين الحق والباطل بين الكفر والايمن بين الهدى والضلال في هذه السورة كما هو في تلك السورة مع ضرب للأمثله العقلية والنقلية في كلتا السورتين وايضاح لمصير المؤمنين والمكذبين ولكن بأسلوب متغاير أعجز الفصحاء بيانه لا يأخذ قارئه الملل ولا السآمة. ثم تأتي خاتمة الزمر بما صورته عن نهاية المؤمنين والمكذبين مع ما افتتح الله به هذه السورة من عفوه وحلمه ويذكر أبو حيان في ذلك قوله: ((ان ارتباط أول السورة بآخر الزمر أنه تعالى ذكر هنا ما يوول اليه حال الكافرين وحال المؤمنين ذكر هنا أنه تعالى ((غافر الذنب وقابل التوب)) ليكون ذلك استدعاءً للكافر الى الايمان والى الاقلاع عما هو فيه وأن باب التوبة مفتوح وذكر شدة عقابه وصيرورة العالم كله اليه ليرتدع عما هو فيه وأن رجوعه الى ربه بما عمل من خير أو شر)) (١).

الجو العام للسورة :

بما أن هذه السورة من السور المكية فإن طابعها العام الذي تتميز به بتصوير لوقائع الدعوة والمعاناة التي واجهت رسولنا صلى الله عليه وسلم كما هو الحال في بقية السور المكية. إنها ترسم لنا تلك المواقف التي وقفت في طريق دعوته صلى الله عليه وسلم من أولئك الذين ما صد هم عن قبول الدعوة الا هوى في نفوسهم وكبر غطى أفئدتهم وأعمى أبصارهم ((إن في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه)) (غافر : ٥٦) .

وحتى يكون للرسول الأسوة بمن سبقه من الأنبياء والصبر والثبات عرضت هذه السورة كغيرها من السور المكية لما لاقاه من سبقه بالدعوة الى الله من الأنبياء والرسل من الصد وعدم القبول وما يترتب لأمتهم نتيجة لذلك ليكون له في ذلك العزاء ولقومه العبرة والعظة ((فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون . ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون)) (غافر : ٧٧ ، ٧٨) .

هذه السورة كما يقول سيد قطب رحمه الله : ((تعالج قضية الحق والباطل ، قضية الايمان والكفر ، قضية الدعوة والتكذيب . . . قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق وفي ثنايا هذه القضية تلم بموقف المؤمنين ونصر الله لهم ، واستغفار الملائكة واستجابة الله لدعائهم وما ينتظرهم في الآخرة من نعم . . . فكان هذا الجو جو معركة وهي معركة بين الحق والباطل ، بين الايمان والطغيان وبين المتكبرين المتجبريين في الأرض وبأس الله الذي يأخذهم بالدمار والتنكيل . . . ذلك الجو يتمثل في عرض مصارع الغابرين كما يتمثل في عرض شاهد القيامة (١) .

عرض اجمالي لما حوته هذه السورة :

ترى من خلال مطالعتك للآيات من (١ - ٦) ذكر لتنزيل القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ((تنزيل من الله العزيز العليم)) وبيان لبعض أسماء منزله وصفاته العليا . مشيراً في هذه الصفات الى الجمع بين رحمته فيتحقق وعده جل وعلا لعبده بالمغفرة . محذراً من عصاه وكذب رسله وجادل في آياته أن يصيره الى جهنم وبئس القرار . وفي الآيات من (٧ - ٩) عرض لصف من ملائكته الذين لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون مع بيان لشيء من وظائفهم كحمل العرش والتسبيح ، والاستغفار للمؤمنين ((وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم)) (غافر : ٩) .

ومن الآيات (١٠ - ٢٢) تصوير لصير الغابرين والواقع الذي ينتظرهم والمآل الذي سيصيرون اليه والأمل الذي ينشدونه حينئذ ((فهل الى خروج من سبيل)) ؟ (غافر : ١١) . اللهم لا هذا يومكم الذي كنتم تكذبون به في الحياة الدنيا وجزاء أعمالكم ((اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب)) (غافر : ١٧) .

ومن آية (٢٣ - ٥٤) يأتي عرض آخر من الصراع بين الحق والباطل ، بين الإيمان والكفر ، بين نبي الله موسى عليه أفضل الصلاة والسلام ورووس الكفر والطاغوت في وقته فرعون وحاشيته ، والجدل الطويل الذي أكتنف مراحل تلك الدعوة لهذا الطاغية اللعين .

وهكذا يبرز داعية للحق من حاشية فرعون لم يكن معلوماً إيمانه من قبل تنفرد هذه السورة بعرض دعوته مع أن دعوة موسى لفرعون تكررت كثيراً في بعض سور القرآن الكريم مبيناً في عرض هذه الآيات الحكمة التي استخدمها الرجل في دعوته للقوم مع ضرب للأمثلة لمن سبق موسى في الدعوة كيوسف عليه السلام لتقرير دعوة موسى واقناع القوم بقبولها محذراً إياهم النكوص عن قبول هذه الدعوة وإخلاصه في النصيح لهم ذاكراً لهم سوء مصير عاقبتهم إن أصروا على ما يدعونه إليه من الإعراض عن قبول دعوة موسى وقد كان . ((فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد . فوآه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب)) (غافر : ٤٤ - ٤٥) ثم عرضي آخر لنهاية المتكبرين والطفافة السابقين واللاحقين خزي في الدنيا والآخرة وجدل عقيم لا ينفع ولا يفيد ((يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)) . (غافر : ٥٢) .

ثم تأتي النهاية لآيات هذه السورة من (٨٥ - ٥٥) . وفيها الربط على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليته ومواساته بالصبر والتحمل مخبراً إياهم أن رفض قومه لدعوته ما هو إلا كبر في صدورهم لإطفاء نور الله في أرضه وأنتى لهم ذلك ((يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)) (الصف : ٨) . مقرراً ربوبيته جل وعلا بما يضربه لهؤلاء القوم من الأدلة العقلية والنقلية ((لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) (غافر : ٥٧) . كاشفاً الغطاء لهذا الإنسان الضعيف الذي يعاند ربه بعد أن أوجده من عدم مصوراً له أطوار خلقته حتى يكون له من نفسه العبرة والعظة . موضحاً له عاقبة أمره ومصير من حاد الله ورسوله ((أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فيئس مثوى المتكبرين)) (غافر : ٧٦) . وفي الختام ينكر جل وعلا على القوم سوء صنيعهم وضيق أفقهم إذ كيف لم ينظروا إلى من سبقهم مع أنهم كانوا أكثر عدداً وعدة ولما جاءهم بأس الله وعقابه ((ما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)) (غافر : ٨٥) . وخاتمة القول أن من لم يتعظ ويتدبر ما حوله من أدلة عقلية ونقلية وقصص خابت عزيمته ومات قلبه وحقت عليه اللعنة والخسارة ((وخسر هنالك الكافرون)) (غافر : ٨٥) .

فضائل السورة :

لا شك أن القرآن الكريم كله خير وبركة يكفي قارئه من الأجر أن له بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها ويضاعف الله لمن يشاء . يروي ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ((ألم)) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف^(١))).

وملائكة السماء تطرب لسماعه وتنزل رحمات الله على القوم الذين يتدارسون كتابه وأن رب العزه والجلال لو خص الجبل بشيء من هذا القرآن الذي شرف الله به هذه الأمة لتصدع فرقا وجزعا مما يسمعه ممن الوعد والوعيد وهذا من بيان عظمة القرآن وعلو منزلته ((لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله)) (الحشر : ٢١) .

إن في القرآن سورا وآيات خصت بمزيد فضل وعناية كما تتفاضل الأيام والشهور كالبقرة وآل عمران و فاتحة الكتاب ومن الآيات كآية الكرسي وآخر الزهراوين^(٢) وآخر سورة الحشر . الى غير ذلك . وسورتنا هذه تُخص بعض الآيات منها بالفضل وأن من قرأها في صباحه حفظ حتى يمسي ومن قرأها في مساءه حفظ حتى يصبح . مارواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من قرأ حسم المؤمن الى إليه العصير وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح^(٣))).

وقد وردت أحاديث وآثار متعددة تبين فضل هذه السورة والسور الأخرى المفتحة بحم وهي : (فصلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان والجاثية ، والأحقاف) .

١ . الترمذى : ٢٢٩/٨ - ح - ٣٠٧٥ .

٢ . البقرة وآل عمران . ذكر القرطبي في سبب تسميتهما بالزهراوين أقوال ثلاثة :

الأول : إما أن تكون من الزهر والزهرة لهدايتهما قارئهما .

الثاني : أو لما يترتب لقارئهما من النور يوم القيامة .

الثالث : قيل لما تضمنتا من اسم الله الأعظم . القرطبي ٣/٤ .

٣ . الترمذى : ١٨٢/٨ - ح - ٣٠٣٩ - والدارمي ١/٤٤٩ .

ومن الأحاديث ما أخرجه أبو داود والترمذي في كتاب الجهاد باب في الرجل ينادي بالشعار فيما رواه المهلب بن أبي صفرة قال : أخبرني من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((ان بيّتم ^(١) فليكن شعاركم حم لا ينصرون ^(٢))) . قال الخطابي : ((معناه الخبر ولو كان بمعنى الدعاء لكان مجزوماً أي لا ينصروا وانما هو اخبار كأنه قال : والله لا ينصرون ^(٣))) . قال القاضي عياض : ((معناه بفضل السور المفتحة بحم ومنزلتها من الله لا ينصرون ^(٤))) . وقد اختار أبو عبيد أن يروى بالجزم فيقال : حم لا ينصروا أي ان قلتم ذلك لا ينصروا . جعله جزاءً لقوله ((فقولوا ^(٥))) . ومن ذلك ما أخرجه الدارمي عن سعد بن ابراهيم قال : ((كن الحواميم يسمين العرائس ^(٦))) . وكذا ما أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن منها ما رواه عن ابن عباس قال : ((إن لكل شيء لباباً وإن لباب القرآن حم أو قال الحواميم)) وما ذكره من قصة الرجل الذي مرّ بأبي الدرداء وهو يبني مسجد الله فقال له : ما هذا ؟ فقال : ((أبنيه من أجل آل حم ^(٧))) . وما رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ((الحواميم ديباج ^(٨) القرآن ^(٩))) وفي رواية آل حاميم ديباج القرآن)) قال : أبو عبيد والأصح أن يقال ((آل حم)) وذكر ما نقله عن محمد بن سيرين انه يكره أن يقول الحواميم ويقال ((آل حم)) كما يقول العرب آل فلان .

- ١ . البيات بمعنى الاغارة ليلاً - الصحاح : ٢٢٥ / ١ ، اللسان ١٦ / ٢ .
- ٢ . أبو داود ٣ / ٧٤ ح ٢٥٩٧ . وتحفة الأحوزي : ٥ / ٣٢٢٩ ح ١٧٢٢٢ .
- ٣ . حاشية أبي داود : ٧٤ / ٢ .
- ٤ . التحفة : ٥ / ٣٣٠ .
- ٥ . أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٨٧ - ابن كثير ٤ / ٧٠ .
- ٦ . الدارمي ١ / ٤٥٨ .
- ٧ . وأخرجه الحاكم في مستدركه : ٤٣٩ / ٢ .
- ٨ . الديباج - فارسي معرب ضرب من الثياب متخذة من الأبرسيم - الجوهري ٣١٢ / ١ واللسان : ٢ / ٢٦٢ . والمراد بذلك كما يذكّر ابن عطية رحمه الله قال : معنى هذه العبارة أنها خلت من الأحكام وقصرت على المواعظ والزجر وطرق الآخرة قال : وهي قصار لا يلحق قارئها سامة . تفسير ابن عطية مخطوط ص ٧٥ .
- ٩ . ذكره الحاكم في مستدركه : ٤٣٩ / ٢ .

ثم أورد قول الكميث :

وجدنا لكم في آل حاميم آية تأولها منا تقي ومعرب (١)

وذكر ابن الجوزي قول محمد بن القاسم الأنباري : ((العرب تقول وقع في الحواميم وفي آل حاميم)) وأنشد أبو عبيده :

حلفت بالسبع اللواتي طوّلت وبمئين بعد هاقد أميئت
وبعثان ثنيت فكـررت وبالطواسين اللواتي ثلثت
وبالحواميم اللواتي سبعت وبالمفصل اللواتي فصلت (٢)

ثم ذكر ابن الجوزي عن شيخه أبي منصور اللغوي قال : ((من الخطأ أن تقول قرأت الحواميم وليس من كلام العرب ، والصواب أن تقول قرأت آل حم وذكر الأثر المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه : اذا وقعت في آل حم وقعت في رياض دمثات (٣))) وهناك آثار أخرى سوى ما ذكر (٤).

آل حم والقدر المشترك بينها :

هذه السور السبع المفتحة بحم والتي سبق ذكرها ينقل السيوطي رحمه الله في الاتقان مناسبة اشتراكها في هذا المسمى عن الكرمانلي قوله : ((إنما سميت السور السبع حم على الاشتراك في الاسم لما بينهن من المتشاكل الذي اختلفت به ، وهو أن كل واحد منها أستفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام (٥)).

١ . كل ما سبق ذكره من آثار عن فضائل السورة يرويه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه فضائل القرآن . أنظر ١٨٦ / ١٨٧ وكل من أستشهد بهذه الآثار من المفسرين عزاءها إلى المؤلف فأكتفيت بالعزو إليه . وقد حقق كتابه هذا بجامعة أم القرى قسم الكتاب والسنة تحقيق الطالب محمد تيجاني جوهري لنيل شهادة الماجستير .

٢ . أبو عبيدة في مجاز القرآن : ٧ / ١ .

٣ . ابن الجوزي : ٢٠٥ / ٧ .

٤ . انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ١٨٦ / ١٨٧ ، الدر المنثور للسيوطي : ٣٤٤ / ٥ -

٣٤٥ ، وروح المعاني للآلوسي : ٣٩ / ٢٤ - ٤٠ .

٥ . الاتقان : ١٤٥ / ٢ .

كما أنها تتفق في أنها من السور المكية وأنها ركزت على جوانب مهمة في العقيدة كاللحام عن الوحدةانية والرسالة والبعث والجزاء وأنها من قصار السور التي لا يلحق قارئها السآمة والملل مع عرضها لقصص الأنبياء والأمم السابقة بأسلوب يفاير ما جاء في واحدة منهن .

وسأذكر لمثل هذا التوافق بين هذه السور من خلال عرض أمثلة ثلاثة من كل سورة . ففي المطالع أفتتحت هذه السور بحرف من الحروف المقطعة تلا ذلك ذكر لكتاب الله ووصف لمنزله وفي ذلك أنتصار للقرآن وبيان اعجازه وأنه الحق الذي لا شك فيه . فمن غافر (آية ١ - ٢) قوله تعالى ((حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم)) ومن فصلت (آية ١ - ٢) قوله تعالى ((حم . تنزيل من الرحمن الرحيم)) ومن الشورى (آية ١ - ٣) قوله تعالى ((حم . عسق . كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم)) ومن الزخرف (آية ١ - ٢) قوله تعالى ((حم . والكتاب المبين)) ومن الجاثية (آية ١ - ٢) قوله تعالى ((حم . تنزيل من الله العزيز الحكيم)) ومن الأحقاف (آية ١ - ٢) قوله تعالى ((حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم))

ومن جانب العقيدة وهو ما تتميز به السور المكية وتخطب القوم لأنهم أهل شرك إلى توحيد الله في أولوهيته وأسمائه وصفاته . نرى التوافق من خلال هذه الأمثلة التي تدعو إلى توحيد الله جل وعلا وعدم الاشراف به .

فمن غافر مثلاً (آية ٣) قوله تعالى ((غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير)) ومن فصلت (آية ٦) قوله تعالى ((قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما الهكم اله واحد فاستقيموا إليه وأستغفروه وويل للمشركين)) . ومن الشورى (آية ٩) قوله تعالى ((أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيى الموتى وهو على كل شى قدير)) ومن الزخرف (آية ٦٤) قوله تعالى ((إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)) . ومن الدخان (آية ٨) قوله تعالى ((لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين)) ومن الجاثية (آية ٢٦) قوله تعالى ((قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) ومن الأحقاف (آية ٥) قوله تعالى ((ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون)) .

والمثال الثالث والأخير الذي اخترته من توافق هذه السور هو الاكثار من الأدلة الكونية والعقلية الدالة على كمال قدرته وعظمته بأن ضرب العشل لأكثر شيء خلقه في الوجود يمكن أن يدركه كل مخلوق ذلك خلقه للسماوات والأرض. وأن عظمتها وما فيها من المخلوقات العجيبة لتهدى الفكر الى الايمان بوجودهما والإذعان له وطلب الرحمة والعفو منه وأنه الأول والآخروالظاهر والباطن . وأنه ((هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير)) (لقمان : ٢٠) .

فمن غافر (آية ٥٧) قوله تعالى ((لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) ومن فصلت (آية ٨ - ١٢) قوله تعالى ((قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين الآيات . . الى قوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم)) . ومن الشورى (آية ٢٩) قوله تعالى ((ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما نبتنا عليهما في سبعين)) . ومن الزخرف (آية ٩ - ١١) قوله تعالى ((ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم . . الآيات الى قوله تعالى والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون)) . ومن الدخان (آية ٣٨ - ٣٩) قوله تعالى ((وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعين . ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون)) . ومن الجاثية (آية ٣) قوله تعالى ((ان فني السماوات والأرض آيات للمؤمنين)) ومن الأحقاف (آية ٣٣) قوله تعالى ((أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعصمهم من خلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير)) .

الحروف المقطعة :-

وسيكون البحث عنها في المباحث التالية :

أولا : خلاف العلماء فيها . وثانيا : الحكمة من افتتاح السور بها . وثالثا : وجه اختلاف هذه الفواتح فيما بينها . ورابعا : وجه اختصاص كل سورة بالأحرف المفتحة بها . وخامسا : هل تعد آية أم لا ؟ سادسا : محلها من الاعراب . وسابعا : هل هي أسماء أم حروف . وثامنا : حكم الوقوف عليها .

ما لا خلاف فيه أن في كتاب الله المحكم كالحلال والحرام، والأمر، والنهي وفيه المتشابه الذي لا يعلمه كثير من الناس ومنه أيضا ما لا يعلم دلالتة الا الله ((هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات)) (آل عمران : ٧) . يذكر القرطبي في معنى المحكم والمتشابه قول جابر بن عبد الله وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما ((المحكمات من القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره والمتشابه ما لم يكن لأحد الى علمه سبيل مما أستأثر الله بعلمه دون خلقه . . قال بعضهم وذلك مثل قيام الساعة وخروج يأجوج ومأجوج ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور^(١))) . فهل هذه الحروف التي أفتتح بها تسع وعشرون سورة^(٢) من سور القرآن الكريم من قبيل المتشابه الذي لا يعلمه الا الله ؟

نقول وبالله التوفيق . يتفق جميع المفسرين على أن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور من المتشابه ولكنهم يختلفون هل هي مما يعمل الرأي فيه أم لا ؟ حيث لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء في تفسيرها . اختلف العلماء في ذلك على رأيين :

الفريق الأول : قال أن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور مما أستأثر الله بعلمه فنفوض الأمر فيها إلى الله وقد ذهب الى هذا الرأي الخلفاء الأربعة وابن مسعود وهو رأي لابن عباس وذهب اليه جمع من التابعين كعامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم وأبو بكر الأنباري وابن أبي حاتم .

١ . أنظر القرطبي : ٩/٤ - ١٠

٢ . وهذه السور : البقرة ، آل عمران ، الأعراف ، يونس ، هود يوسف ، الرعد ، ابراهيم ، الحجر ، ومريم ، طه ، الشعراء ، النمل ، والقصاص والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة ، ويس ، ص ، غافر ، وفصلت والشورى والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، وق ، ون .

وجماعة من المحدثين^(١) . وذكر البغوي في تفسيره قول عامر الشعبي
وجماعة فقال : ((ألم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه
الذي أستأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فنحن نؤمن بظواهرها ونكل العلم
فيها الى الله وفائدة ذكرها طلب الايمان بها^(٢))) . إلا أن هذا
القول لم يسلم من الاعتراض عليه . فقيل كيف يخاطب الله عباده بما لا يعقل
معناه وكتاب الله أنزل للبيان ؟ .

ورد هذا الاعتراض بقولهم : ان الله تعبدنا بأشياء لا نعقل المعنى من
التعبد بها وهذا في الأفعال ككون الصبح ركعتين والظهر أربعاً
مثلاً . فلم لا يتعبدنا في الأقوال بما لا نعرف معناه حتى يظهر عجز
عقولنا وتسليمها لله تعالى ويظهر ايماننا بالله وما غاب ادراكه عنا
قولاً كان أو فعلاً . وقد امتدح الله المؤمنين من عباده بالغيب فقال :
((ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون
بالغيب)) (البقره : ١ - ٣) .

وهذه الأحرف من المتشابه الذي أختص الله بعلمه وقد ذم الله الذين
يتبعون المتشابه من كتابه فقال : ((فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . . . الآية)) (آل عمران : ٧) .
وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولئك الذين يتبعون
المتشابه . كما روت عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الآية ((هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
هن أم الكتاب وأخر متشابهات . . .)) . قالت : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى
الله فاحذرهم^(٣) .

-
- ١ . أنظر أبو حيان في البحر المحيط : ٣٥ / ١ ، والقرطبي في تفسيره : ١٥٤ / ١
تفسير المنار : ١٢٢ / ١ ، فتح القدير : ٣٢ / ١ ، ابن باديس : ٤٦٨ وهو
دأب الجلالين في تفسيرهما جلال الدين المحلي وجلال الدين
السيوطي حيث يقولان عند هذه الحروف الله أعلم بمراده منها ، وأضواء
البيان : ٥ / ٣ .
 - ٢ . أنظر تفسير البغوي : ٤٤ / ١ .
 - ٣ . البخاري : ٢٧٨ / ١٠ ، أبو داود : ٥ / ٣٦ - ٤٥٩٨
الترمذي : ٨ / ٣٢٤٠ - ٤٠٧٧ .

وكذا ما فعله عمر بأصيغ عند ما بلغه تتبعه للمتشابه ضربه على رأسه حتى
أدماه^(١)، وعلى هذا القول يكون الوقف على قوله تعالى: ((وما يعلم تأويله
الا الله)) وقف تام.

القول الثاني: إن هذه الأحرف من المتشابه الذي يمكن أن يعلمه الراسخون
في العلم. وذكر البخاري قول مجاهد في ذلك ((والراسخون في العلم
يعلمون تأويله ويقولون آمنا به قال: ابن حجر وهذا الذي ذهب إليه
مجاهد من تفسير الآية يقتضي أن تكون الواو في ((والراسخون عاطفه
على معمول الاستثناء^(٢))).

ويكون المراد بالتأويل في الآية التفسير والبيان كقوله تعالى: ((نبئنا
بتأويله)) (يوسف: ٣٦). أي بتفسيره. فيكون الراسخون في العلم يفهمون
ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وان لم يحيطوا بحقائق الأشياء على كنهه
ما هي عليه^(٣).

ولهذا اختلف العلماء في تأويل هذه الأحرف الى أكثر من عشرين قولاً^(٤)
وسأوجز القول في هذه الأحرف وأختار ثلاثة أقوال مشهورة لعلها تفنيسي
عن الأقوال الأخرى وأعرض عن الباقي إما لضعفها وإما لإندراجها تحت
هذه الأقوال التي سأذكرها ومن أراد مزيد بيان عن هذه الأحرف المقطعة
في أوائل السور فإني أحيله الى المراجع التي وقفت عليها^(٥).

١. تحفة الأحوذى: ٣٤٢/٨.

٢. فتح الباري: ٤٠٢٧٨/١. ٣. تفسير ابن كثير: ٣٤٨/١.

٤. التفسير الكبير للرازي: ٢/٢ والبرهان: ١٧٣/١.

٥. انظر معاني القرآن للأخفش الأوسط: ١٨/١-٢٣ وجامع البيان للطبري:

١/٦٧-٧٣ والكشاف للزمخشري: ١/٦٠-٨٦. زاد المستير: ١/٢-٢٢

الرازي في تفسيره: ٢/٢-١١. القرطبي: ١/١٥٤-١٥٧. ملك التأويل

للقرنطبي: ١/٢٦-٣٠. أبو حيان في البحر المحيط: ١/٢٦-٣٠.

ابن كثير في تفسيره: ١/٣٧-٣٩. روح المعاني للألوسي: ١/٩٨-٩٩.

وأضواء البيان: ٣/٥-٧. وفواتح السور لفاروق حسين ص ٢٣٦-٢٣٩

رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية.

القول الأول من هذه الأقوال: إن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور حروف أسماء وأفعال كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر وقد روي عن ابن عباس قوله: ((ألم)) انا الله أعلم وأرى وروي عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس ((ألم)) و ((حم)) و ((ن)) أسم مقطوع^(١) ومعنى كلام ابن عباس رضي الله عنه في قوله ((ألم)) انا الله أعلم وما روي عنه في أن هذه الأحرف من أسماء الله الى غير ذلك قال الراغب: ((بيان ذلك ما ذكره بعض المفسرين أن مقصده بهذا التفسير ليس هذه الحروف مختصة بهذه المعاني دون غيرها وانما أشار بذلك الى ما فيه الألف واللام والميم من الكلمات تنبيها الى أن هذه الحروف منبع هذه الأسماء ولو قال: ((أن اللام يدل على اللعن والميم يدل على المكر لكان يحمل ولكنه تحرى في المثال اللفظ الحسن كأنه قال: هذه الحروف هي أجزاء ذلك الكتاب مجمله في تقدير مقسم بها وقوله ((لا ريب فيه)) جوابها ويكون بها تنبيها على عظم موقعها وعلى عجزنا عن معارضة كتابه المؤلف منها^(٢).

القول الثاني: إن هذه الأحرف المقطعة في أول أي سورة من سور القرآن هي أسم من أسمائها. روي ذلك عن زيد بن أسلم^(٣) وذكر الزمخشري^(٤) أن عليه إطباق الأكثر من المفسرين وذكر أبو السعود في تفسيره قوله ((والذي عليه التعويل إما كونها أسماء للسور المصدره بها وعليه إجماع الأكثر وهذا رأى الخليل وسيبويه وقالوا: سميت بها إيدانا بأنها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ فيكون فيه إيماء إلى الاعجاز والتحدي^(٥))) وقال الراغب في مقدمة تفسيره: ((إن القول بأنها أسماء لا يتنافى مع القول الذي ذكرناه أولا من أنها قد تكون أسماء الله أو أقسام... الخ فكل سورة سميت بلفظ متلو منها فله في السورة معنى معلوم وعلى هذا إلقائهم والخطب السماء بلفظ منها يفيد معنى فيها^(٦)).

وقد ذكرنا من السنه ما يقوي هذا القول في ميحت تسمية السورة وما قيل من اعتراض على هذا القول من أن الأسماء وضعت لرفع الاشتباه عن المسمى

- ١ . تفسير الطبري: ٦٧/١ - ٦٨.
- ٢ . مقدمة تفسير الراغب ص ١٤٧.
- ٣ . زاد المسير لأبن الجوزي: ٢٢/١.
- ٤ . الكشاف للزمخشري: ٩٤/١.
- ٥ . تفسير أبي السعود: ٢٠/١.
- ٦ . مقدمة تفسير الراغب: ص ١٤٧.

ولكنها في سور القرآن تشترك في المسمى في أكثر من سورة نحو ((حم)) مثلا وردت في سبع من سور القرآن . ورد القائلون بأنها قد تكون أسماء وانها وان اشتركت في أكثر من سورة فان هناك ما يقترن بالاسم ويميزه عن غيره من صفة أو كنية أو شهرة فتقول لأخوين كل منهما اسمه محمد غير أن أحدهما طويل والآخر قصير وقد اشتهرا بذلك . فتقول قابلت محمداً وحتى تميزه عن أخيه فتقول الطويل أو القصير وهكذا سور القرآن يميز ما تشابهت فيه الأحرف اتصالها بما بعدها فتقول قرأت اليوم (حم - غافر) أو (ألم تنزيل السجده) وهكذا .

القول الثالث : أن هذه الأحرف إنما ذكرها الله تحديداً للكفار واعجازاً لهم قال الرازي : ((وهذا ما أختاره الصمد وجمع من المحققين وهو أن الرسول لما تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور أو بسورة واحدة فيعجزوا عنه أنزلت هذه الحروف تنبيهاً على أن القرآن ليس إلا من هذه الأحرف وأنتم قادرون عليها وعارفون بقوانين الفصاحة فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن . فلما عجزتم عنه دل ذلك على أنه من عند الله لا من البشر^(١))) .

وهذا ما ارتضاه ابن كثير رحمه الله في تفسيره حيث قال : عند حكايته لهذا القول ((واليه ذهب الشيخ العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المزي^(٢))) . وذكر القرطبي أن هذا ما أشار به قطرب والفراء وقالوا ((هي إشارة إلى حروف هجاء أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤلف من حروف هي التي منها بنا كلامهم قال قطرب : كانوا ينفرون عند استماع القرآن فلما سمعوا ((ألم)) ((الع)) استنكروا هذا اللفظ فلما أنصتوا له صلى الله عليه وسلم أقبل عليهم بالقرآن المؤلف ليثبتته في أسماعهم وأذانهم ويقيم الحجة عليهم^(٣))) .

والراجح والله أعلم : قول من قال : أنها حروف أسماء وأفعال كل حرف منها يدل على معنى من المعاني وأنها تحتل كل هذه الأوجه التي ذكرت فلما منع أن تكون أسماء للسور أو أن يكون كل حرف منها مأخوذاً من اسم الله أو أن الأفتتاح بها سبب لأن يسمع كلام الله أو أن تكون للقسم بها تنبيهاً على عظيم موقعها أو أن تكون للأعجاز . . . الخ . . .

١ . التفسير الكبير للرازي : ٢ / ٦٠ .
 ٢ . تفسير ابن كثير : ١ / ٣٩ .
 ٣ . تفسير القرطبي : ١ / ١٥٥ .

وقد أرتضى هذا القول الطبري رحمه الله حيث قال : ((والصواب عندي في تأويل مفاتيح السور التي هي حروف من المعجم الله جل ثناؤه جعلها حروف مقطعة ولم يصلها ببعضها فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحرف لأنه عز ذكره أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة لا معنى واحد كما قال الربيع بن أنس. وكون هذه الفواتح تحمل أكثر من معنى كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة ومختلفة كقولهم للجماعة من الناس أمة وللحين أمة وللزمان أمة وللرجل المتعب المطيع لله أمة وللدين والملة أمة إلى أن قال : وغير هذا كثير مما يكون من الكلام بلفظ واحد وهو مشتمل على معان كثيرة مختلفة وكذلك قول الله جل ثناؤه ((ألم، المرء، المص)) وما أشبه ذلك من حروف المعجم التي هي فواتح السور وكل حرف منها دال على معان شتى شامل جميعها ولأن الله جل ثناؤه لو أراد بذلك أو بشيء منه الدلالة على معنى واحد مما لا يحتمله ذلك دون سائر المعاني غيره لأبان ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ابانة غير مشكلة وفي تركه صلى الله عليه وسلم ابانة ذلك أوضح دليل على أنه مراد به جميع وجوهه التي هولها محتمل اذ لم يكن مستحيلا في العقل وجها منها ^(١) .

وذكر في البرهان عند القول التاسع في معاني هذه الحروف أن هذا اختيار ابن فارس وغيره فقال : ((واختار ابن فارس وغيره أن تجعل هذه التأويلات كلها تأويلا واحدا فيقال الله جل وعلا أفتتح السور بهذه الحروف ارادة منه للدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لا على معنى إلى أن قال أي ابن فارس. وهذا القول الجامع للتأويلات كلها ^(٢) .

الحكمة من أفتتاح السور بهذه الأحرف بصرف النظر عن معانيها في نفسها :

قيل أن من الحكمة في هذا هو الفصل بين السورة والأخرى حتى يعلم أن السورة التي قبلها قد أنقضت وشرع في أخرى. وهذا موجود في كلام العرب. كقول الشاعر:

بل ما هاج أحزاننا وشجوا قد شج ^(٣)

١ . جامع البيان للطبري : ٧٢ / ١ - ٧٣ .

٢ . البرهان للزركشي : ١٧٦ / ١ .

٣ . معاني القرآن للأخفش الأوسط : ٢١ / ١ وتفسير الطبري : ٦٩ / ١ .

ويل هنا ليست من البيت ولا تعد في وزنه ولكن يقطع بها كلام ويستأنف
آخر (١) . وضعف هذا القول ابن كثير في تفسيره عند حكايته له وقال :
(ان الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسطة
تلاوة وكتابة (٢)) . وقيل ان ذلك لما تواصى به المشركون من الاعراض عن
سماع ما يتلى عليهم فأنزل الله هذا النظم البديع من هذه الأحرف ليكون
في تعجبهم واستماعهم له سببا لاستماع ما بعده) وقد حكاها الطبري
في تفسيره (٣) وضعفه ابن كثير أيضا وقال : (لو كان كذلك لانبغي الابتداء
بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم أن هذه
السورة والتي تليها (يعني البقرة وآل عمران مدينتان) ليستا خطابا
للمشركين (٤)) .

قلت وهذا لا يعني أن الطبري رحمه الله يورد مثل هذه الأقوال على أنها
أقوال معتبرة عنده ولكنه رحمه الله أورد تلك الأقوال لما ألتمه على نفسه
من إيراد جميع الأقوال في الصلاة ثم يختار لنفسه رحمه الله ما يراه صوابا .
وقيل أن هذه الفواتح مسرودة في أوائل السور على سبيل التحدي
والاعجاز وان الخلق بأجمعهم عاجزون عن معارضة القرآن بمثل هذا
ويذكر الزمخشري عند حكايته لهذا القول أن هذه الأسماء مسرودة على
نمط التعداد كالأيقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمته
وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام
منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم الى أن قال وهذا القول
من القوة والخلاقه بالقبول (٥) . وقد ارتضاه ابن كثير رحمه الله ثم يقول
رحمه الله إن كل سورة أفتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار
للقرآن وبيان اعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع
وعشرين سورة . في مثل قوله تعالى : (الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه)
(البقرة : ١ - ٢) و (حم . تنزيل من الرحمن الرحيم) (فصلت : ١ - ٢) .
. . . . الخ ما ذكره من الأمثلة (٦)

١ . معاني القرآن للأخفش : ١ / ٢١ وتفسير الطبري : ١ / ٦٩ .

٢ . ابن كثير : ١ / ٣٨ .

٣ . ١ / ٦٩ .

٤ . ابن كثير في تفسيره : ١ / ٣٨ - ٣٩ .

٥ . الزمخشري في الكشاف : ١ / ٩٩ .

٦ . ابن كثير في تفسيره : ١ / ٣٩ .

وقال صاحب الأضواء: ((أما القول الذي يدل عليه استقراء القرآن على رجحانه فهو أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف التي يتخاطبون بها^(١) .))

ما وجه اختلاف هذه الفواتح حيث لم تأتيه على وتيرة واحدة في عدد الأحرف ؟

فتجدها مفردة كـ ((ن، ص، ق)) وثنائية كـ ((طه، ويس، حم)) وتجدها ثلاثية كـ ((الم، الر، وطسم)) وتجدها رباعية كـ ((المص، المر)) وتجدها خماسية كـ ((كهيعص، حم عسق)) . إن هذا الترتيب العجيب حيث وردت في فواتح السور على ما ترى جار على أبنية كلام العرب وتفننهم في أساليب الكلام وأن أبنية كلامهم لا يتجاوز ذلك فسلك بها هذا السلك^(٢) وترى عند استعراض هذه الفواتح أن أكثرها ورد ثلاثيا في ثلاث عشرة سورة لأن أكثر تراكيب الكلام عند العرب ثلاثيا . وباقيها أقل^(٣) .

ما وجه اختصاص كل سورة بما أفتتحت به من هذه الأحرف دون غيرها ؟

أختلف العلماء في ذلك فمن قائل أن ذلك أمر توقيفي لا مجال للقياس فيه . ومنهم من اجتهد في معرفة ذلك كأحمد بن الزبير الغرناطي في كتابه ملاك التأويل حيث قال : ((أما وجه اختصاص كل سورة من المفتحة بهذه الحروف بما أفتتحت به منها . . . حتى لم يكن ليرد ((ألم)) في موضع ((المر)) و ((حم)) في موضع ((طس)) . . . الخ انما وقع في أول سورة منها ماكثر ترداده فيما تركب من كلمها ويوضح لك ما ذكرت أنك إذا نظرت في سورة منها بما يماثلها في عدد كلمها وحروفها وجدت الحروف المفتحة بها تلك السورة أفرادا وتركيبا أكثر عددا في كلمها منها في نظيرتها ومماثلها في عدد كلمها وحروفها فان لم تجد لسورة منها ما يماثلها في عدد كلمها ففي اطراد ذلك في المتماثلات ما يوجد له النظير . . . فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها^(٤) .))

١ . أضواء البيان : ٢٧ / ٣ .

٢ . انظر الكشف للزمخشري : ١ / ١٠٦ وتفسير أبي السعود : ١ / ٢٠ .

٣ . أنظر مقدمة الراغب ص ١٤٣ .

٤ . ملاك التأويل لأبن الزبير الغرناطي : ١ / ٢٠ .

وذكر نحو هذا في البرهان والآتقان^(١) والحق في هذا ما ذهب إليه من قال: أن هذا توقيفي لا مجال للقياس فيه كالزمخشري وغيره يقول الزمخشري^(٢) حول هذا: ((إن طلب مثل هذا مما لا وجه للأختصاص به كما إذا سمي الرجل بعض أولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هكذا بزيد. وذلك بعمر لأن الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك^(٣))).
قال أبو السعود: ((وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل إلى المطالبة بوجهه^(٤))). وهو المختار والله أعلم.
هل تعد هذه الفواتح أية أم لا؟ وإذا كان كذلك فلم تعد في بعض دون بعض؟

اختلف العلماء رحمهم الله في عد هذه الأحرف على قولين مشهورين فالبصريون لا يعدون شيئا من ذلك أية. أما الكوفيون فمن ذلك ما عدوه أية ومنها ما لم يعدوه أية فـ ((ألم)) أية في السور الست المفتحة بها و ((المص)) أية و ((طس)) أية في سورتها و ((طه ، يس)) آيتان و ((حم)) أية في سورها كلها و ((حم . عسق)) آيتان و ((كهيعص)) أية واحدة وما عدوا ذلك فلا يعد أية في شيء من السور نحو ((المر)) و ((الر)) و ((طس ، ق ، ن)) لا تعد أية في سورها الثلاث.
وأما لم تعد بعضها أية دون بعض؟ فالجواب على ذلك أن هذا علم توقيفي

- ١ . أنظر البرهان : ٢٧١ / ١ - ٢٧٢ ، والآتقان : ١٤٤ / ٢ .
- ٢ . أنظر الكشاف للزمخشري : ١٠٥ / ١ ، وتفسير أبي السعود : ٢٢ / ١ .
- ٣ . المصدرين السابقين .
- ٤ . تفسير أبو السعود : ٢٢ / ١ .
- ٥ . الآية : لها معان متعددة . فتأتي بمعنى العلامة : كقوله ((ان أية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم)) (البقره : ٢٤٨) وتأتي بمعنى العبرة : كقوله ((ان في ذلك آية لكم ان كنتم مؤمنين)) (آل عمران ٤٩) وتأتي بمعنى المعجزه كقوله : ((سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة)) (البقره : ٢١١) . والمراد بها في الاصطلاح : قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدء ومقطع مندرج في سورة وأصلها العلامة ذكر ذلك الجعبري . أنظر البرهان : ١٦٦ / ١ .

(١)

لا مجال للقياس فيه)) ويذكر الزرقاني رحمه الله كلاما جيدا في هذا فيقول ((إن هذا مما لا سبيل الى معرفة العلم بذلك الا بتوقيف من الشارع لأنه ليس للقياس والرأي مجال فيها وانما محض تعليم وارشاد بدليل أن - العلماء عدوا ((المص)) آية ولم يعدوا نظيرها وهو ((الر)) آية وعدوا ((يس)) آية ولم يعدوا نظيرها وهو ((طس)) آية وعدوا ((حمسق)) آيتين ولم يعدوا ((كهيعص)) آيتين بل آية واحدة . فلو كان الأمر مبنيا على القياس لكان حكم المثليين واحدا فيما ذكر ولم يجيء هكذا مختلفا . وأن كلا من العلماء وقف عند حد وما بلغه وعلمه)) (٢)

ومنشأ الخلاف بين من عد البعض آية دون البعض الآخر . ما كان من فعله صلى الله عليه وسلم حيث كان يقف على رؤوس الآبي للتوقيف فاذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع أنها ليست فاصلة فمن نظر الى الوقف قال أنها رأس آية ومن نظر الى الوصل لم يقل أنها آية وما وقف عليه صلى الله عليه وسلم تحققنا أنه آية (٣) وبعد هذا لا يكون للتساؤل محل .

فالتقراء بصريين كانوا أو كوفيين أو غيرهم كل واحد منهم نقل لنا حد ما بلغه وعلمه . حسبنا أن كتابنا محفوظ بحفظ الله له ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)) (الحجر : ٩) .

هل هذه الفواتح أسماء أم حروف؟

يختلف المفسرون في ذلك فمنهم من يقول هي حروف وهم الأكثر ومنهم من يطلق عليها أسماء قولاً واحداً كالزمخشري حيث يقول ((قد أستوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف فعلت أن قولهم (يعني القائلين من المفسرين وغيرهم أنها حروف) خليق بأن يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الأسماء التي لا يقدرح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة

١ . أنظر الزمخشري : ١٠٥ / ١ - ١٠٦ ، والبرهان للزركشي : ٢٥٢ / ١ .

والمدخل لدراسة القرآن لأبي شهبه : ٣١٢ - ٣١٧ .

٢ . مناهل العرفان للزرقاني : ١ / ٣٤٠ .

٣ . البرهان للزركشي : ١ / ٢٥١ - ٢٥٢ والمدخل لأبي شهبه : ٣١٥ .

ولأنها متصرف فيها بالإمالة كقولك أبانا وبالتضخيم كقولك ياها وبالتعريف والتذكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافه وجميع ما للأسماء المتصرفه^(١))). ووافقه الرازي في تفسيره^(٢).

محل هذه الفواتح من الاعراب.

هذه الفواتح على ضربين : أحد هما مالا يتأتي فيه اعراب نحو ((كهيعص)) ، ((الم)) والثاني ما يتأتي فيه وهو اما أن يكون اسما مفردا كـ ((ص)) ، ((ق)) ، ((ن)) أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كـ ((حم)) ، ((طس)) ، ((يس)) فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك ((طسم)) يتأتي فيها أن تفتح نونها فتصير نون مضمومه الى ((طسس)) فيجعلها إسما واحدا ((كداراجرد))^(٣) فما كان من هذه الفواتح مفردا أو كان على زنة هابيل وقابيل جاز فيها الاعراب لفظا أو محلا وماسوى ذلك تبقى على الحكاية^(٤)

موقع هذه الفواتح من الاعراب.

يتفق الجميع أنها متى كانت أسما للشوره فلها عدة أوجه من الاعراب. أما الرفع على أنها مبتدأ خبره محذوف أو خبر لمبتدأ محذوف أو النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو ((اقرأ)) ((حم)) أو أذكر ((حم)) والجر بتقدير فعل القسم فيما وقع بعده مجرور مع الواو نحو ((ق والقرآن)) على أن أحد القسمين مؤكد للآخر أو كلا القسمين مؤكدين لشيء واحد وهو الجواب^(٥))). وأما من ذهب الى أن هذه الأحرف سبقت على سبيل التعدد فلا محل لها من الاعراب.

حكم الوقف على هذه الأحرف.

يوقف عليها وقف التمام. ويذكر صاحب اللسان اجماع النحويين على

- ١ . أنظر الزمخشري في تفسيره : ٧٨ / ١ .
- ٢ . الرازي في تفسيره : ٢ / ٢ .
- ٣ . ولاية بفارس ينسب اليها كثير من العلماء ، أنظر معجم البلدان للحموي ٤١٩ / ٢ .
- ٤ . الزمخشري في تفسيره : ٨٣ / ١ ، والبرهان للزركشي : ١٧١ / ١ .
- ٥ . أنظر روح المعاني للألوسي : ٤ / ١ .

ذلك^(١))). اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج لما بعده ولم تجعل أ سماء
للسور وينعق بها كما ينعق بالأصوات أو جعلت وحدها أخبار إبتداء محذوف
كقوله: ((الم الله)) أي هذه السوره ((الم)) ثم إبتداء فقال الله لا اله
الا هو الحي القيوم^(٢). (آل عمران: ١-٢)

١. اللسان: ١١/١.
٢. الكشاف للزمخشري: ١٠٦/١ وأنظر البرهان للزركشي: ١٧٢/١.

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرٍ
 الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 تفسیر السورہ : إِلَهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾

هذه السورہ مبتدأ بحرف من الحروف المقطعه وسبق الحديث عن هذه
 الأحرف وأذكر هنا ما زاده بعض المفسرين من معاني تختص بـ ((حم))
 فيذكر ابن الجوزي رحمه الله ما روي عن ابن عباس أن معنى ((حم)) قضي
 الأمر بمعنى قرب^(١) زاد القرطبي ومنه سميت الحَمْى لأنها تقرب الضئيل
 والمعنى المراد قرب نصر الله لأوليائه وانتقامه من أعدائه كيوم بدر
 وذكر عن انس مرفوعاً أن أعرابياً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما ((حم)) فأنا لا نعرفها في لساننا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:
 ((بدء أسماء وفواتح سور))^(٢).

وأما أعراب ((حم)) فإذا جعلناها اسماً للسورہ فاما أن تكون مبتدأ خبره
 ما بعده واما أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف واما أن تكون منصوبة بفعل
 مضمرة تقديره أقرأ أو أتلو أو بتقدير القسم - والله هذه ((حم)) .
 وتنزيل الكتاب ((اما أن يكون خبراً لـ ((حم)) على القول بأنها مبتدأ
 أو خبر لمبتدأ محذوف أي هذا تنزيل الكتاب وهو مبتدأ خبره ((من الله
 العزيز العليم)) .

قوله تعالى : ((تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . . .)) الأصل في
 التنزيل الانحطاط من علو^(٣) وهذه صفة مميزة لكتاب الله الذي لا يأتيه
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه منزل من عند الله ليس بكذب ولا مفترى
 كما زعم المشركون - تعالى كتاب الله عن ذلك وقالوا : إن رسول الله اغتسراه
 فتحداهم الله أن يفتروا قرآناً كالذي افتراه محمد على زعمهم . وأن يأتوا
 بأقصر سورة منه فقال عز من قائل : ((أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة
 مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (يونس : ٣٨))

- ١ . زاد السير لأبن الجوزي : ٢٠٦ / ٧ .
- ٢ . أنظر تفسير القرطبي : ٢٨٩ / ١٥ .
- ٣ . مفردات الراغب ص ٤٩٠ .

وان ذكر بعض صفاته جل وعلا وأسمائه الحسنی عقب ذكر التنزيل للكتاب في أكثر من سورة من سور القرآن كقوله في الزمر: ((تنزيل الكتاب من اللّٰه العزيز الحكيم)) (آیه : ١) وكقوله تعالى في فصلت ((حم . تنزيل من الرحمن الرحيم)) (آیه ١- ٢) الى غير ذلك من الآيات لدليل على عظمة هذا القرآن وعلو شأنه ومنزلته . ويذكر ابن تيمية رحمه الله أن لفظ التنزيل في كتاب الله له ثلاثة أنواع:

الأول : نزول مقيد بأنه منه وهذا لم يرد الا في القرآن الكريم . كقوله تعالى : ((والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)) (الأنعام : ١١٤) . النوع الثاني : نزول مقيد بأنه من السماء نحو قوله : ((وأنزلنا من السماء)) والسماء أسم جنس لكل ما علا فاذا قيد بشيء معين تقيد به فقوله تعالى في غير موضع من السماء مطلق في العلو ثم بيّنه في موضع آخر بقوله : ((أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون)) (القيامة : ٦٩) . وقوله تعالى ((فترى الودق يخرج من خلاله)) (النور : ٤٣) . أي منزل من السحاب .

والنوع الثالث : نزول مطلق غير مقيد لا بهذا ولا بهذا من ذلك قوله في إنزال السكينة على عباده : ((هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين)) (الفتح : ٤) . ومن ذلك إنزال الميزان في مثل قوله تعالى : ((وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)) (الحديد : ٢٥) والملائكة قد تنزل على قلوب المؤمنين بالشبات وهو السكينة في مثل قوله : ((اذ يوحى ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا)) (الأنفال : ١٢) . وبعد أن ساق رحمه الله أمثلة متعددة من الكتاب والسنة تبين المقصود من النزول قرر رحمه الله أنه ليس في الكتاب ولا في السنة لفظ نزول الا وفيه معنى النزول المعروف وهذا هو اللائق بالقرآن رادا بذلك على من تأول في النزول من الفرق الضالة معنى غير العراد في الشرع .

كقول الجهمية^(١) أنزل بمعنى خلق تشبيها ببعض مخلوقاته في مثل قوله تعالى : ((وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد)) (الحديد : ٢٥) أو تفسير نزول القرآن بمعنى الإعلام به وافهامه للملك أو نزول الملك بما فهمه كما تقول الكلابية^(٢) .^(٣)

قوله ((العزيز العليم)) هذه صفتان من صفات الرب جل وعلا . الأولى تدل على تفردّه بالعزه والغلبة والقهر والقدرة والعزيز الذي يقهر ولا يقهر^(٤) . والثانية تدل على الاحاطة والعلم بما كان وما يكون والعلم في الأصل ادراك الشيء بحقيقته^(٥) . ((ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)) (تبارك : ١٤)

١ . الجهمية : فرقة ضالة زعمت ضلالات كثيرة في الاسلام كفناء الجنسة والنار وأن الايمان هو المعرفة بالله فقط وكالقول بحدوث كلام الله تعالى الله عما يقولون . وغير ذلك مما يطول ذكره تنسب هذه الفرقة لمؤسس مذهبها : الجهم بن صفوان السمرقندي أبو محرز . قال الذهبي عنه : هو الضال المبتدع هلك في زمان صفار التابعين وقد زرع شرا عظيما . أنظر الفرق بين الفرق للتميمي : ١٥٠ ، الاعلام للزركلي : ١٤١/٢ .

٢ . الكلابية : طائفة من الطوائف المخالفة لأهل السنة أتباع عبد الله بن سعد بن كلاب أول من قعد لهم هذا المذهب وهو القول بأن القرآن معنى قائم بنفسه لا يتعلق بالقدرة والمشينة وزعموا أن الحروف عن الرب والقرآن اسم لذلك المعنى وهو غير مخلوق . أنظر مختصر الصواعق لابن القيم : ٢/٢٩٠ - ٢٩١ . ومعارض القبول للحكمي : ٢٤٣/١ .

٣ . أنظر الفتاوى لأبن تيمية : ١٢/٢٤٧ - ٢٥٧ . بتصرف .

٤ ، ٥ . أنظر مفردات الراغب : ص ٣٢٣ ، ٣٤٣ .

قوله : ((غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب)) .

في اعراب هذه الصفات ثلاثة أوجه :

اما أن تكون أوصاف لأن المعطوف على الوصف وصف والجمع معارف^(١) .

الثاني : أن تكون أبدال لأن المعطوف على البدل لتنكير الجميع .

وثالثا : أن يكون غافر وقابل وصفان وشديد العقاب بدل^(٢) .

قوله : ((غافر الذنب)) الأصل في الغفر الستر والتغطية^(٣) ، والغفران من

الله للعبد هو أن يصونه من العذاب^(٤) . قال ابن تيمية ((ومن الناس من

يقول : الغفر الستر ويقول : انما سمي المغفرة والغفار لما فيه من معنى

الستر وتفسير اسم الله الغفار بأنه الستار تقصير في معنى

الغفران فان المغفرة معناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب فمن

غفر ذنبه لم يعاقب عليه وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن

وانما يكون غفران الذنب اذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب^(٥)))

قوله : ((وقابل التوب)) التوبة في اللغة الرجوع عن الذنب وقيل جمع توبة

يقال عوم وعومه^(٦) ، أو تكون مصدرا تقول تاب توبا قاله الفراء وأرضاه أبو العباس

أي يقبل هذا الفعل^(٧) . . . والمراد من قوله : ((غافر الذنب وقابل التوب))

أن الله جمع للعبد المذنب بين القبول لتوبته والغفر والستر لذنبه ولهذا

فصل بين الوصفين بالواو : إذ لو لم يكن الفصل حاصلًا لتوهم أن معنى

الوصفين واحد وزال اللبس بوجود الواو لأن عطف الشيء على نفسه

محال^(٨) .

١ . الفراء : ٥ / ٣ .

٢ . أبو حيان : ٤٤٧ / ٧ ، وحاشية الجمل : ٣ / ٤ .

٣ . الصحاح للجوهري : ٧٣٠ / ٢ .

٤ . الراغب في مفرداته : ٣٦٢ .

٥ . انظر الفتاوى لابن تيمية : ٣١٧ / ١٠ .

٦ . انظر معاني القرآن للأخفش : ٤٥٩ / ٢ .

٧ . انظر تفسير القرطبي : ٢٩٠ / ١٥ .

٨ . انظر الكشاف للزمخشري : ٤١٣ / ٣ ، تفسير الرازي : ٢٨ / ٢٧ .

وايبي السعود : ٢٦٥ / ٧ .

ومعنى التوبة فى الشرع: ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه—ه
والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما فاتته بالعمل الصالح . ورد المظالم
الى أهلها والتحلل منها^(١). تحقيقا لقوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا)) (التحريم: ٧) . والنصح^(٢) هي الصادقة
الخالصة . وأما الغفران فهو تجاوز الله للعبد عن ذنبه وصيانتهم من
العذاب.

الحث على الاستغفار والتوبة من العبد .

ان التوبة والاستغفار هما من الأمور التعبدية التي تعبد الله العبد
بهما في صباحه ومساءه وقد تظافرت نصوص الكتاب والسنة بوجوبهما . وأنهما
يكونان من ترك مأمور أو فعل محذور وكلاهما من السيئات^(٣) . فدليل الأمر
بهما من الكتاب قوله: ((وأن أستغفروا ربكم ثم توبوا اليه)) (هود : ٣) .
وكذا قوله تعالى: ((أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه)) (المائدة : ٧٤) .
فأنظر الى آثار رحمة الله على عباده وصفحه عن المسىء مهما كان ذنبه
وهذه الآية دعوة لمن حارب الله ورسوله وجعل له شركاء فيما خلق وقالوا
انه ثالث ثلاثة تعالى الله عن ذلك جاءت هذه الدعوة الى التوبة
والاستغفار عقب قوله تعالى: ((لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة
وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا
منهم عذاب أليم)) (المائدة : ٧٣) . ومع هذه الغيبة العظيمة والكفر
الصريح يدعوهم جل وعلا الى التوبة والاستغفار وهذه الدعوة قائمة لكل
مخلوق تبلغه هذه الرسالة أيا كان ذنبه حتى تطلع الشمس من مغربها .
ودليله من السنة مارواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ((من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه))^(٤)

- ١ . انظر مفردات الراغب: ٧٦، فتح الباري: ٣٤٧/٣ - ٣٤٨ .
- ٢ . ذكر ذلك البخاري عن قتادة البخاري: ٣٤٩/١٣ . وقد ذكر القرطبي
فى معناها أكثر من عشرة أقوال: ١٩٧/١٨ - ١٩٩ .
- ٣ . الفتاوى لأبن تيمية: ٦٧١/١١ .

وهذا بالنسبة للزمن أما بالنسبة للفرد ذاته فأنتها قبول توبته أن تصل روحه حلقومه فان تاب قبل ذلك قبل الله توبته . يؤخذ هذا من قوله تعالى : ((ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم)) (النساء : ١٧) . والمراد بالقرب في الآية ماروي عن ابن عباس في ذلك ((ما بينه وبين أن ينظر الى ملك الصوت وروي عنه مادام في الصحة^(١))) . ويدل عليه قوله تعالى : ((وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)) (النساء : ١٨) . ومن السنة مارواه ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ان الله عز وجل ليقبل توبة العبد ما لم يغرغر^(٢)))^(٣) . حسنه الترمذي . وبعد هذا يتبين للمسلم أن التوبة والاستغفار فضلا عن كونهما خلقا رحمة ولطفا من الله بعباده فهما أيضا عبادتين تعبدنا الله بهما وأن ارتكاب العبد للذنوب وسرعة انابته الى الله واحساسه بالندم على ذلك خوفا منه جل وعلا هي عين العبادته . اذ لو لم يكن هناك خطأ وذنوب كان العباد ملائكة وهذا ما لم يكن في أمة من الأمم ((كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون^(٤))) . ناهيك عن أنه قد سبق في علمه جل وعلا أنه لو لم يكن في هذه الأمة ذنوب فاستغفار لذهب الله بهم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم يروي أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **«لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم^(٥)»** ويكفي المذنب أن يعلم أن استغفاره لربه وتوبته من ذنبيه واقتلعه عنه يجعله في عداد المحبوبين له جل وعلا ((ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)) (البقرة : ٢٢٢) .

- ١ . انظر القرطبي : ٩٠ / ٥ ، ابن كثير : ٤٦٤ / ١ .
- ٢ . الغرغرة هي التفرغ بالماء في الحلق وتردده فيه ولا يسفغه اللسان : ٢٠ / ٥ والمراد ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء الذي يتفرغ به المريض . النهاية في غريب الحديث : ٣٦٠ / ٣ .
- ٣ . الترمذي : ٥٢١ / ٩ - ح ٣٦٠٢ وابن ماجه : ١٤٢٠ / ٢ - ح - ٤٢٥٣ .
- ٤ . أحمد : ١٩٨ / ٢ .
- ٥ . مسلم : ٢١٠٦ / ٤ - ح - ٢٧٤٨ ، ٢٧٤٩ .

وها هو المشرع لأتمه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام مأمور من ربه بالإستغفار مع أنه مغفور له ماتقدم من ذنبه وما تأخر يوماً بذلك في آخر سورة من سور القرآن نزولاً عليه كما روى ذلك ابن عباس^(١) وذلك عند قوله تعالى : ((فسبح بحمد ربك وأستغفره انه كان تواباً)) (النصر : ٣) الى غير ذلك من الآيات في مثل هذا المعنى . وأما الأمر بالاستغفار من السنة فألحاديث في ذلك أكثر من أن يستوعبها هذا المقام أذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر مارواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((والله اني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ^(٢))) . ومارواه الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((يا أيها الناس توبوا إلى الله وأستغفروه فاني أتوب في اليوم مائة مرة . وفي رواية : انه ليغان^(٣) على قلبي وأني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ^(٤))) .

١ . أخرج مسلم بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لي ابن عباس : تعلم آخر سورة نزلت من القرآن نزلت جميعاً ؟ قلت نعم - ((اذا جاء نصر الله والفتح)) قال : صدقت . مسلم : ٤ / ٢٣١٨ - ح - ٣٠٢٤

٢ . البخارى : ١٣ / ٣٤٥ - ٣٤٦ .

٣ . الغين أصله الغيم وغيبت السماء تغان اذا أطبق عليها الغيم . وقيل شجر ملتف والمراد ما يغشاه صلى الله عليه وسلم من السهو الذي لا يحلوه منه البشر لأن قلبه أبداً كان مشغولاً بذكر الله فان عرض له وقتاً ما عارضه بشري يشغله من أمور الأمة والملة ومصالحهما عد ذلك ذنباً وتقصيراً فيفزع الى الاستغفار . أنظر غريب الحديث لابن الأثير : ٣ / ٤٠٣ .

٤ . مسلم : ٤ / ٢٠٧٥ - ٢٠٧٦ / ح ٢٧٠٢ ، أبو داود : ٢ / ١٧٧ / ح ١٥١٥ .

القدر المشترك بين التوبة والاستغفار .

سبق الحديث عن أصل الاستغفار وأن المراد بالمغفرة وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب . والتوبة : تفضل الله على العبد بقبول توبته وأعتذاره اليه . الا أنه يلاحظ ورود الأمر بالتوبة والاستغفار في آية واحدة كقوله تعالى : ((وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه)) (هود : ٣) . وتارة يرد الأمر بواحد منهما في مثل قوله تعالى في الاستغفار : ((واستغفروا الله ان الله غفور رحيم)) (المزل : ٢٠) وكقوله تعالى : ((وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)) (الانفال : ٢٣) . وفي شأن التوبة قوله تعالى : ((وتوبوا إلى الله جميعا أيّه المؤمنون لعلكم تفلحون)) (النور : ٣١) . وكقوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا)) (التحريم : ٨) . نقول متى ما ذكر احد هما دون الآخر شمله في المعنى فاذا ذكرت التوبة مفردة شملت الاستغفار ومثل ذلك في الاستغفار اذا ذكر مفردا شمل التوبة فكل واحد منهما يدخل في معنى الآخر عند الاطلاق أما اذا ذكرا مجتمعين في آية واحدة فيكون الاستغفار طلب وقاية شر ما مضى وتكون التوبة طلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل مما قد يرتكبه من ترك مأمور أو فعل محذور فهما كالفقير والمسكين ، والايمن والاسلام والبر والتقوى اذا اجتماعا فترقا واذا افترقا اجتماعا^(١) .

وعلى هذا فالاستغفار بمفرده توبة بل هو سبب من أسباب إزالة الذنب ودليله من السنة قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه : ((والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم)) .

جواز التوبة من ذنب دون ذنب .

لا خلاف بين جمهور الأئمة من أهل السنة والجماعة بأن توبة العبد مقبولة عند الله متى ما توافرت شروطها . من العزم على عدم العودة إلى الذنب واخلاص النية في ذلك والندم على ما فات من تقصير في جنب الله

والبعد عن كل ما يقرب من تلك المعصية حتى لا يقع فيها أو في غيرها .
 وكل هذا فيما بينه وبين ربه وأما فيما بينه وبين خلقه فإن حقوقه جل
 وعلا مبنية على المسامحة وحقوق عباده فيما بينهم مبنية على الشاححة
 فوجب أن يتحلل من مظلمته أياً كانت هذه المظلمة من قذف أو هتك عرض
 أو غير ذلك ووجب على العبد التوبة من كل ذنب صغيراً كان أو كبيراً
 ولو تاب من بعض دون بعض كان يكون مرتكباً لأكثر من معصية قبلت توبته
 عند أهل الحق وما مات عليه من معصية أخرى قبل التوبة منها فأمره
 موكل إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه . ((إن الله لا يغفر أن يشرك
 به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) (النساء : ٤٨ ١١٦٦) .
 وخالف في ذلك بعض الطوائف الأخرى الخارجة عن جماعة المسلمين وهم
 ما بين مفرط ومفرط كالمعتزلة^(١) .

١ . المعتزلة : طائفة من الطوائف التي خرجت عن أهل السنة والجماعة
 بأراهم الضالة تبعاً لمؤسس مذهبهم وأصل بن عطاء البصري المولود
 سنة ٨٠ - المتوفي سنة ١٣١ هـ والذي خرج عن مجلس الحسن البصري
 معتزلاً إلى سارية من سواري المسجد بالبصرة وتبعه عمرو بن عبيد
 وجلسا لتقرير مذهبهما فقال الحسن : أعتزلنا وأصل ، فسُمي
 هو وأصحابه بالمعتزلة . وهم أكثر من عشرين فرقة وأصول مذهبهم خمسة :
 العدل ، والتوحيد ، الوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر . أنظر شرح العقيدة الطحاوية : ٥٢١-٥٢٢
 الفرق بين الفرق للتميمي : ١٥/١٨ والتفسير والمفسرون للذهبي
 ١/٢٦٨ - ٢٦٩ ولمعرفة أصول مذاهب فرقها ومناقشة معتقدها أنظر
 كتاب الملل والنحل لأبن حزم : ١١١/٢ - ١٩٢/٣ وحاشيته الملل
 والنحل للشهرستاني : ١/٥١ - ٥٣ .

(١)
والخوارج قالوا : ان كل ذنب صغيرا كان أو كبيرا مخرج عن الايمان والاسلام فان مات عليه فهو غير مسلم - والمرجئة^(٢) فرطوا في ذلك وقالوا لا يضر مع الاسلام معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

هل قبول التوبة واجب على الله أو ذلك فضل وكرم ؟

لا خلاف بين أهل السنة في أن قبول التوبة من الله قبول فضل وكرم ورحمة لا قبول وجوب والزام كما زعمت المعتزلة . ويستدلون بوجوب ذلك على الله بقوله تعالى : ((إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة)) (التوبة : ١٧) يقول الزمخشري في تأويل هذه الآية غفر الله لنا وله وهو عمدة لدى المعتزلة بل كان رحمه الله يفخر أن يكون معتزليا^(٣)

٠١ الخوارج : فرقة ضالة خرجت عن الأمة الإسلامية في زمن علي بن أبي طالب بعد مسألة التحكيم فيما حدث من خلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وهي أكثر من عشرين فرقة يجمع هذه الفرق في المعتقد اكفار علي وعثمان - وأصحاب الجمل - والحكمين - ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما والخروج على السلطان الجائر

انظر الفرق بين الفرق للتميمي ١٤، ٤٩، ٧٧، والملل والنحل للشهرستاني هاش كتاب الملل والنحل لابن حزم : ١٥٤/١ - ١٨٥ والعقيدة الطحاوية : ٣٢٠ - ٣٢١ والتفسير والمفسرون للذهبي

٢/٣٠٠ - ٣٠٤، وتاريخ الاسلام للدكتور حسن فرحات : ٣/٢ - ٤٠

٠٢ المرجئة : جماعة من الجماعات التي خرجت عن اجماع المسلمين ظهرت في النصف الثاني من القرن الأول الهجري سموا بذلك لأنهم

أخروا العمل عن الايمان ويقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم طوائف متعددة . انظر الفرق بين الفرق للتميمي

١٥١ - ١٥٥ الملل والنحل للشهرستاني . هاش الملل والنحل

لابن حزم : ١/٨٦، الطحاوية : ٣٢٤ وتاريخ الاسلام للدكتور حسن

فرحات : ٢/٤٠

٠٣ انظر التفسير والمفسرون للذهبي : ١/٤٣٠ - ٤٣١

((التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له ، يعني انما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء^(١))) ورد صاحب كتاب الانصاف بقوله : ((قاعدة أهل السنة أن الله تعالى مهما تفضل فهو لا عن أستحقاق سابق لأنصهم يقولون (يعني المعتزله) ان الأفعال التي يتوهم القدريه أن العبد يستحق بها على الله شيئا كلها خلق الله فهو الذي خلق لعبيده الطاعة وأثابه عليها وخلق التوبة وقبلها منه فهو المحسن أولا وآخرا وباطنا وظاهرا . . . لا كزعمهم أن العبد خلق لنفسه التوبة بقدرته وحوله ليستوجب على ربه المغفرة بمقتضى حكمته التي توجب على زعمهم المجازاة على الأعمال ايجابا عقليا . . . نقول معاشر السنه قد وعدنا الله قبول التوبة المستجمعة لشرائط الصحة ووقوع هذا الموعود واجب ضرورة صدق الخبر مهما ورد من صيغ الوجوب فمنزل على وجوب صدق الوعد لا أن أحدا لا يستوجب على الله شيئا^(٢) . وذكر الرازي وجهين لتأويل ((على الله)) في الآية فقال : ((ان ذلك إعلام بأنه يجب على الله قبولها وجوب كرم وفضل واحسان لا وجوب استحقاق)) فأولئك يتوب الله عليهم)) إخبارا بأنه سيفعل ذلك .))

والثاني : ((إنما التوبة على الله)) يعني الهداية الى التوبة والإرشاد إليها والإعانة عليها على الله تعالى في حق من أتى بالذنب على سبيل الجهالة ثم تاب منها من قريب وترك الاصرار عليها وأتى بالاستغفار عنها . فالمراد بالأول التوفيق على التوبة والثاني^(٣) قبول التوبة^(٤) .

-
- ١ . الكشاف للزمخشري : ٥١٢/١ .
 - ٢ . حاشية الكشاف : ٥١٢/١ .
 - ٣ . أظنه رحمه الله عكس في ذلك فالمراد بالأول على توجيهه قبول التوبة والثاني التوفيق الى التوبة .
 - ٤ . أنظر الرازي في تفسيره : ٦/١٠ .

وذكر القرطبي لتأويل قوله تعالى: ((على الله)) قال: ((إن ذلك حذفاً وليس على ظاهرها وإنما المعنى على فضل الله ورحمته بعباده كقولـه صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ: ((أتدري ما حق العباد على الله؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن يدخلهم الجنة)) (١). فهذا كله معناه على فضله ورحمته بوعده الحق وقوله الصدق. دليله قوله تعالى: ((كتب على نفسه الرحمة)) (الانعام: ١٢). أي وعد بها وقيل على هاهنا معناها عند والمعنى واحد والتقدير عند الله أي أنه وعد. ولا خُلف في وعده أنه يقبل التوبة إذا كانت بشروطها المصححة وقيل على بمعنى من أي إنما التوبة من الله... (٢). نعم إن هذا الوعد منه جل وعلا متحقق الوقوع لصدق الخبر ذلك ((وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) (الروم: ٦) وهذا من جهة النقل أما من جهة العقل فلو أن أميراً والله المثل الأعلى وعد واحداً من رعيته أن يهبه شيئاً ما وفي مقدوره ذلك وقال له لك كذا وكذا. فلا يقال إن ذلك الوعد من جهة الأمير لزوماً عليه ولكن يقال وجوب كرم ومنّ. وتعالى الله عن تشبيهه بأحد من خلقه فعطاؤه وفضله فوق كل ما تتصوره عقولنا الضيقة. ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)) (الشورى: ١١). وما جرّ المعتزلة وغيرهم من ضل عن طريق الحق إلا تحكيم العقل في أمور ليس له مجال فيها. فنسأل الله العافية والسلامة والثبات على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

١. البخاري: ١٢٤/١٧ وسلم: ١/٨٥٨ ح ٤٨، ٤٩. وذكر ابن حجر في الفتح قول ابن التين قوله: يريد بقوله ((حق العباد على الله)) حقه علم من جهة الشرع لا بإيجاب العقل فهو كالواجب في تحقق وقوعه، أو هو على جهة المقابلة والتساكلة كقوله تعالى: ((فيسخرون منهم سخر الله منهم)) (التوبة: ٧٩). فتح الباري: ١٢٤/١٧.

٢. أنظر تفسير القرطبي: ٩١/٥.

قوله : ((شديد العقاب)) أي أنه شديد العقاب لمن طغى وتمرد وآثر الحياة الدنيا وعتا عن أمر الله ^(١) . فلا يتكلم الإنسان على سعة رحمته وفضله ومنه فان من صفاته جل شأنه الرحمة للطائع والغلظة للعاصي .

قوله : ((ذي الطول)) بعد أن ذكر جل وعلا بأنه شديد العقاب أردفه بما يطمع في رحمته فجاء ذلك وعيد أكتنفه وعدان ^(٢) . والطول بالفتح المن ^(٣) يقال طال عليه اذا امتن عليه . والمعنى ذي المن والفضل والغنى يعني ذي المن والفضل على من آمن به وذي الغنى على من لا يؤمن به ^(٤) .

ويذكر القرطبي قول الماوردي في الفرق بين المن والتفضل . ان المن عفو عن ذنب . والتفضل احسان غير مستحق ^(٥) . قال ابن زيد ((ذي الطول)) أي قدره ^(٦) قال مجاهد : ((ذي الطول)) ذي انعام ^(٧) . زاد قتادة والفواضل . والمعنى انه المتفضل على عباده المتطول عليهم بما هم فيه من المن والانعام التي لا يطبقون القيام بشكر واحدة منها ^(٨) .

- ١ . تفسير ابن كثير : ٧١ / ١ .
- ٢ . أبو حيان : ٤٤٩ / ٧ .
- ٣ . الجوهرى : ١٧٥٤ / ٥ .
- ٤ . تنوير المقياس لأبن عباس : ص ٣٩٢ .
- ٥ . تفسير القرطبي : ٢٩٢ / ١٥ .
- ٦ . الطبري في تفسيره : ٢٤ / ٢٧ .
- ٧ . تفسير مجاهد : ص ٥٦٤ .
- ٨ . تفسير ابن كثير : ٧١ / ٤ .

قوله تعالى : ((لا اله الا هو)) هذه كلمة التوحيد الخالصة - توحيد الألوهية نزلت بها الكتب السماوية ودعته اليها الرسل جميعا من لدن نوح عليه السلام الى رسولنا عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم . فعا من نبي بعث الى أمة الا كان أول دعوته لهم : ((يا قوم أعبدوا الله ما لكم من اله غيره)) . كما ذكر ذلك رب العزة والجلال في مواضع متعددة من كتابه^(١) .

وقال تعالى مبينا ذلك لرسولنا صلى الله عليه وسلم : ((وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)) (الأنبياء : ٢٥) .

إنها أول منازل الطريق للمسلم . بها يقبل اسلامه وبها يختم حياته وبها تفتح له الجنة متى عمل بمقتضاها علما ويقينا واخلاصا وصدقا وإنابة وتوكلا ورغبة ورهبة وذلا وخضوعا أستنفذ تقرير العلم بها والدعوة إليها في مكة من رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف حياة دعوته ((فأعلم أنه لا اله الا الله)) أي لا إله بحق تخضع له القلوب وتذل وتنيب وتخضع إلا إليه جل وعلا فنفسى جميع ما يعبد من دونه وأثبتها لله وحده لأنه المستحق لها وتقدير خبر لا

المحذوف بحق خلاف من قدر ذلك بالوجود لأن الآلهة الموجودة كثيرة ومتنوعة غير أنها باطلة^(٢) . وهذه الكلمة تميز بطلان عبادة غيره لأنه هو المدعو وحده وما دعي دونه باطل . قال ابن تيمية : ((والعابدون انما مقصودهم أن يعبدوا من هو إله يستحق العبادة فاذا قيل لهم كل ما سوى الله ليس بإله انما الإله هو الله وحده كان هذا نهيا لهم عن عبادة ما سواه وأمرًا بعبادته وليس المراد بالإله من عبده عابد بلا استحقاق فان هذه الآلهة

كثيرة ولكن تسميتهم آلهة والخبر عنهم بذلك واتخاذهم معبودين أمر باطل^(٣) . قال تعالى : ((ذلك بأن الله هو الحق وانما يدعون من دونه هو الباطل)) . (الحج : ٦٢) .

١ . الاعراف : ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ ، وهود : ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ ، والمؤمنون : ٢٣ والعنكبوت : ٢٦ .

٢ . أنظر شرح العقيدة الطحاوية وتعليق فضيلة الشيخ بن باز على تقدير خبر لا ص : ١٠٩ - ١١٠ ومعارج القبول ص ٣٧٥ .

٣ . الفتاوى لأبن تيمية : ١٤ / ٧٢ .

قال صاحب فتح المجيد: معقبا على معنى لا اله الا الله (فتضمن ذلك نفسي الالهية عما سوى الله، وهي العبادة واثباتها لله وحده لا شريك له والقرآن من أوله الى آخره يبين هذا ويقرره ويرشد اليه.

فالعبادة بجميع أنواعها انما تصدر عن تأله القلب بالحب والخضوع والتذليل رغبا ورهبا وهذا كله لا يستحقه الا الله... فمن صرف من ذلك شيئا لغير الله فقد جعله لله ندا، فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل^(١) فهو الأول والآخر والظاهر والباطن إليه يرجع الأمر كله ((لا اله الا هو إليه المصير)) .

ووجه المناسبة بين ذكره جل وعلا نزول القرآن وما أعقبه من صفات دليل على أن هذا القرآن من الله الموصوف بهذه الصفات وأن هذه الصفات مستلزمة لجميع ما يشمل عليه القرآن من المعاني . فهو إما إخبار عن غيوب ماضية أو مستقبله وذلك ما يتضمنه علمه جلّ وعلا بذلك أو تقرير لأسمائه وصفاته وأفعاله وذلك ما تضمنه قوله : ((ذي الطول)) أو إخبار عن شدته وبطشه لمن تمرد عليه وعصاه وذلك ما تضمنه قوله : ((شديد العقاب)) وأما دعواه المذنب للتوبة من ذنبه والانابة اليه واستغفاره ووعدده جل وعلا بقبول اعتذاره وذلك في قوله : ((غافر الذنب وقابل التوب)) أو تقرير لوحده انيته وألوهيته بالأدلة العقلية والنقلية ونفي ما سواه وذلك يدل عليه قوله : ((لا اله الا هو)) أو إخبار عن المصير الذي يكتنف العباد الطائع منهم والعاصي في ذلك اليوم الذي يُنادى فيه لمن الملك اليوم . . . فيقال : ((لله الواحد القهار)) وذلك يدل عليه قوله : ((اليه المصير)) والقرآن متضمن لكل هذه المطالب^(٢).

من فوائد هذه الآيات:

أولا : جمع الله فيها للعبد بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد لأن مطامع العقلاء محصورة بين هذين الأمرين جلب النفع أو دفع الضر^(٣).

١ . فتح المجيد : ص ٣٦ .

٢ . انظر تفسير السعدي بتصريف : ٤٨ / ٧ .

٣ . أضواء البيان : ٩٧ / ٧ .

حتى يكون خائفاً وجلاً من عقاب الله ان قصر في عبادته طامعاً راجياً لفضله وإحسانه إن استقام على صراطه فيكون هذا أدعى إلى العمل والبادرة إلى التوبة والاستغفار متى أحس من نفسه تقصيراً. وقد وردت آيات كثيرة في كتابه يجمع فيها جل وعلا بين هذين الوصفين أعني المغفرة والشدة حتى يبقى العبد دائماً بين الخوف والرجاء من ذلك قوله تعالى: ((نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم، وأن عذابي هو العذاب الأليم)) (الحجر: ٤٩، ٥٠). ومن ذلك قوله تعالى: ((يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم)) (آل عمران: ١٢٩). والآيات في هذا كثيرة.

ثانياً: تغليب جانب الرحمة على الشدة لأنه جل وعلا عندما أراد وصف نفسه بالشدة في العقاب سبق ذلك وصفين كل منهما يقتضي زوال ذلك وهو كونه ((غافر الذنب وقابل التوب)) ثم أردفه بما يدل على حصول المن والكرم من لدنه جل وعلا في قوله: ((ذي الطول))^(١). وقد ثبت هذا فيما قضاه رب العزه والجلال عند خلقه للسموات والأرض أن رحمته تغلب غضبه وقد ثبت في السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: أن رحمتي تغلب غضبي))^(٢).

ثالثاً: في هذه الآيات دعوة للعصاة وتربية للدعاة.

أما الدعوة للعصاة فذلك ما تضمنته هذه الآيات من التحذير من العقوبة ((شديد العقاب)) والوعد بالمغفرة والقبول عند العذر وذلك في قوله تعالى: ((غافر الذنب وقابل التوب)) . وقد جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه وقال: يا أمير المؤمنين اني قتلت فهل من توبة؟ فقرأ عمر عليه هذه الآيات ((حم . تنزيل الكتاب . . . الآيات)) وقال عمر رضي الله عنه اعمل بها ولا تيأس!^(٣)

١ . تفسير الرازي: ٢٧ / ٢٨ .

٢ . أخرجه مسلم: ٤ / ٢١٠٧ - ٢١٠٨ ح ٢٧٥١ تحت باب سعة رحمة الله وانها سبقت غضبه بالفاظ مختلفة وأنظر الترمذي على التحفه: ٩ / ٥٢٨ / ٣٦١١ .

٣ . الطبري: ٢٤ / ٢٧ - وابن كثير: ٤ / ٧١ .

وكذا ما فعله عمر رضي الله عنه مع الرجل الذي بلغه خبر تتابعه في الشراب حيث قال رضي الله عنه : ما فعل فلان بن فلان فقالوا يا أمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب فدعا عمر كاتبه فقال : ((اكتب من عمر بن الخطاب الى فلان ابن فلان سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا اله الا هو غافر الذنب وقابل التوب . . . الآيات ثم قال لأصحابه ادعوا الله لأخيكم أن يقبل بقلبه ويتوب الله عليه)) فلما بلغ الرجل كتاب عمر جعل يقرؤه ويردد ويقول : ((غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب)) قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي^(١) ثم تاب الرجل وحسنت توبته .

أما التربية للدعاة : فذلك فيما تميز به أسلوب عمر رضي الله عنه في دعواته تلك للرجل الذي بلغه وقوعه في المعصية واستمراثة لها . لم يرسل اليه يتهدده ويتوعده وهو القادر على ذلك بل هو أمير المؤمنين ومن حقه ذلك ولكنها حكمة الدعوة بالتي هي أحسن استقاها عمر من وحي هذه الآية ((غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول)) فما كان من الرجل الا أن تاب وحسنت توبته بعد أن كاد الشيطان يغلبه على نفسه . ثم انظر الى تربية العربي الخبير الذي عاشر شؤون الدعوة ومارسها منذ ان كانت في المهد تكتنفها ظروف صعبة وجولا يساعد على القيام بحقوقها الى أن وصلت الى هذه المرحلة التي اتسع نطاقها وصلب عودها . كيف يربي الدعاة الى الله حتى تعطي هذه الدعوة ثمارها . يقول : بعد ما بلغه توبة ذلك الرجل ((هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أبا لكم زل زلة فسددوه ووثقوه وأدعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه)) . ما أشد حاجتنا الى مثل هذه الأساليب التربوية التي يعجز العربيون حديثا أن يُقعدوا قواعد تخدم الدعوة الى الله مثل هذا التععيد . ولا غرو في ذلك فعمر رضي الله عنه ينطلق من مبدأين هما أساس منطلقه : كتاب الله في مثل قوله تعالى : ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)) (النحل : ١٢٥) والأقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والذي علمه مبدأ الحكمة في الدعوة ((ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك)) (آل عمران : ١٥٩) .

١ . انظر الكشاف للزمخشري : ٣ / ٣١٤ - ٤١٤ . والقرطبي في تفسيره : ١٥ /

٢٩١ ، وابن كثير في تفسيره : ٤ / ٧١ والدال المنثور للسيوطي : ٥ / ٣٤٥

روح المعاني للألوسي : ٢٤ / ٤٣ . وأخبار عمر للطنطاوي : ص ١٧٤ .

الربط بين الآيات. وبعد أن بين جل وعلا قي الآيات السابقة تنزيهه لكتابه وذكره لجملة من صفاته وأسمائه الحسنی وأن مصير العباد إليه. أردف ذلك بذكر حال المجادلين في آياته بالباطل وأوصى رسوله بأن لا يغتر بباطلهم وأن حاله مع قومه كحال الأنبياء قبله مع أممهم فانتقم الله لهم بأن أهلك أممهم بالعذاب في الدنيا قبل الآخرة ليكون في ذلك تسلياً لرسوله وعبرة وعظة لمشركي قومه من أهل مكة.

فيقول الحق تعالى : مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴿١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٢﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَيْمَتُ رَبِّكَ عَلَى
الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

معاني المفردات :

يجادل : الجدل في اللغة شدة القتال والجدل اللد في الخصومة والقدرة عليها ومقابلة الحجة بالحجة. (١)

آيات الله : علاماته الظاهرة التي تدل على كمال توحيده .

الكفر : الستروالتغطية والكفر ضد الايمان سمي كذلك لأنه تغطية للحق ككفران النعمة بجحدها وسترها. (٢)

الغرر : يقال غررت فلانا أي أصبت منه غرته ونلت منه ما أريد والغرر كل ما يغر الانسان من مال وجاء وشهوة وشيطان. (٣)

الأحزاب : الحزب الطائفة والأحزاب الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم السلام. (٤)

١ . اللسان : ١٠٣/٥ .

٢ . مقاييس اللغة : ١٩١/٥ .

٣ . الرغب : ٣٥٩ .

٤ . اللسان : ٣٠٦/١ .

- (١) الهم : هو العزم والارادة على الشيء .
- (٢) الأخذ : حوز الشيء وتحصيله وذلك تارة بالتناول وتارة بالقهر .
- (٣) الباطل : ضد الحق ، والجمع أباطيل على غير قياس .
- (٤) الدحض : الزلق والمراد بذلك الازالة والابطال .
- (٥) الحق : تقيض الباطل ومعناه وجب وجوبا .
- الرب : هو الله عز وجل وهو رب كل شيء أي مالكة ولا يقال الرب في غير الله
الا بالاضافة تقول رب البيت ورب الدابة .^(٦)

سبب النزول:

ذكر بعض المفسرين أن سبب نزول قوله تعالى : ((ما يجادل في آيات الله . . . الآية)) أنها نزلت في الحرث بن قيس السلمي أحد الصتهزيين قاله : أبو العالية^(٧).

قوله تعالى : ((ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا))
مباحث في الجدل : الجدل في الإصطلاح . تعدد معانيه في القرآن الكريم
أوجه الجدل في القرآن . أقسامه من جهة نفسه .
الجدل في الاصطلاح : المفاوضة على سبيل المنازعة والمبالغة والزام الخصم
بإبطال مدعاة وإثبات دعوى المتكلم .^(٨) ولا شك أن الجدل جيلة طبيعية
أوتيتها الانسان ووجدت معه منذ وجد كما يشير الى ذلك قوله تعالى :
((لو كان الانسان أكثر شيئا جدلا)) (الكهف : ٥٤) .

- ١ . الصحاح : ٢٠٦١ / ٥ .
- ٢ . الراغب : ١٢ .
- ٣ . الصحاح : ١٦٣٥ / ٤ .
- ٤ . الصدر السابق : ١٧٦ / ٣ .
- ٥ . اللسان : ٤٩ / ١٠ .
- ٦ . الصدر السابق : ٣٩٩ / ١ .
- ٧ . أبو حيان : ٤٤٩ / ٧ . الدر المنثور : ٣٤٦ / ٥ . روح المعاني : ٤٣ / ٢٤ .
- ٨ . النهاية في غريب الحديث : ٢٤٨ / ١ .

(١) وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في أكثر من ثمانية وعشرين موضعاً .
على اختلاف وجوه معانيها في القرآن الكريم .^(٢) ونجد أن العهد المكثي أنفرد
بكثير من الآيات التي ورد فيها ذكر للجدل والمحاجة لكثرة عناد القوم والحاجة
الى مقارعتهم بالحجة والبيان واقامة الأدلة العقلية والنقلية فكان طبيعياً أن
يتعرض القرآن لمثل هذا الأسلوب ولكنه بأسلوب هاديء وعقلية متزنة بخلاف
ماكان من القوم من الجفوة والغلظة وبعد النظر وقلة الروية والتعالي عن
الحق بل والاعراض عنه وعدم الرغبة لسماعه رغبة في اخفائه^(٣) ((وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق)) .

أوجه الجدل :

أولاً : ما جاء على السنة رسله وأنبياؤه لمقارعة الحجة بالحجة وماسبق من بيان
لتقرير العقيدة والملة بالدلائل العقلية والنقلية ودفع مايراد لها من شبهه
وإن كان في هذا النوع من الجدل معنى الإلزام والإفحام للخصم ففيه كذلك
معنى الارشاد والتوجيه الى الطريق القويم مايجعله جدالاً بالتي هي أحسن
ومنه في القرآن كثير كالذي حصل للأنبياء مع أممهم لإقامة الحجة عليهم من
مثل ما أخبر الله به عن قوم نوح وقولهم : ((يانوح قد جادلنا فأكثرت جدالنا))
(هود : ٢٢) .

الوجه الثاني : جدال جاء بطريق الحوار والرغبة في البيان ومزيد العلم والفهم
بطريق الترجي والدعاء ومن هذا القبيل مجادلة الملائكة لربهم عند ارادته
جل وعلا خلق أمة من ذرية آدم كما يشير الحق تعالى الى ذلك بقوله :
((وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . . . الآية)) (البقرة : ٣٠) .
وذلك الجدل منهم ليس على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد منهم
لبنى آدم^(٤) . وقد وصفهم الله بقوله : ((لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعطون))
(الأنبياء : ٢٧) ونحو جدال الملائكة جدال إبراهيم عليه السلام وكذا جدال
خولة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . . الى غير ذلك .^(٥)

١ . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : ١٦٥ .

٢ . البصائر : ٢ / ٢٧٢٣ .

٣ . الجدل في القرآن الكريم : محمد التومي : من ص ١٠١ - ١١١ بتصرف .

٤ . تفسير ابن كثير : ١ / ٧٠ .

٥ . الجدل في القرآن للدكتور زاهر الألمي : ٣٨٦ .

الوجه الثالث: الجدل الذي جاء على السنة الكفار وما فيه من الاعراض والدعاوى الباطلة التي فندها القرآن وأبان عورها وإن كان هذا الجدل منشأه الجهل والسفه والضلال فغاياته الصد عن سبيل الله ((ليظفتوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)) (الصف : ٨) .

الجدل من جهة نفسه نوعان :

أولاً : جدال لتقرير الحق واطهاره وتلك حرفة الأنبياء وهذا من الجدل الممدوح قال تعالى : ((وجادلهم بالتي هي أحسن)) (النحل : ١٢٥) . وقوله : ((ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)) . (الحج : ٤٨) . قال صاحب الأضواء : ((ومفهوم ذلك ان من يجادل في الله بعلم على ضوء هدي كتاب منير كهذا القرآن العظيم ليحق الحق ويبطل الباطل بتلك المجادلة الحسنة فان ذلك سائغ محمود ويدل لهذا المفهوم المذكور قوله تعالى : ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . . . الآية)) .

وكذلك قوله : ((ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن)) (العنكبوت : ٤٦)

النوع الثاني : جدال باطل لدحض الحق وازالته . قال الرازي : ((واعلم

أن الجدل في الشيء مشعر بجدال الباطل ولفظ الجدل عن الشيء

مشعر بالجدال لأجل تقريره والذب عنه)) . وهذا النوع من الجدل هو

الذي أشار اليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : ((مرأء فسى

القرآن كفرة)) . وكذا قوله صلى الله عليه وسلم : ((جدال في القرآن كفر)) .

والمراد هنا جدال الباطل .

والمراد بآيات الله في قوله تعالى : ((ما يجادل في آيات الله الا الذين

كفروا)) . حججه وبراهينه الدالة على كمال قدرته وربوبيته وتوحيده جل وعلا .

قال تعالى : ((فلا يغفرك تغليهم في البلاد)) . الغرور كل ما يمكن أن يخدع

الانسان ويغريه عن الحق بأي طريق من طرق الباطل ومن أخبت الغارين

للانسان في هذه الحياة الشيطان اذ هو أساس كل غرور وبلاء في هذه الحياة

الدنيا . قال تعالى : ((يعد هم ويمنيهم وما يعد هم الشيطان الا غرورا)) .

(النساء : ١٢٠) وفي ذلك تنبيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه معه .

١ . أضواء البيان : ١٦/٥ - ١٧ .

٢ . الرازي : ٢٧/٢٩ .

٣ . أبوداود : ٩/٥ ح ٤٦٠٣ .

٤ . مسند أحمد : ٢/٢٥٨ ، ٤٧٨ ، ٤٩٤ .

٥ . الطبري : ٢٤/٢٨ وابن كثير : ٤/٧١ .

بألا ينخدعوا بالباطل ويريقه وأهله الداعين له من أهل الكفر والضلال —
 وإمهال الله لهم بتقليبهم في البلاد ينعمون بخيراتها فهو يمهل ولا يهمل
 وتركه لهم جل وعلا لحكمة يريد بها بيسط الرزق لهم فإذا نسوا ذكره وعبادته
 وتوحيده أخذهم أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى : ((فلما نسوا ما ذكروا به
 فتحنا عليهم أسوأ كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة
 فاذا هم مبلسون)) (الأنعام : ٤٤) . والمراد بالمجادلين في آيات الله
 أهل مكة فلا يفررك يا محمد ذهابهم ومجيئهم بين مكة والشام للتجارة
 روي ذلك عن قتادة ^(١) . قال تعالى : ((لا يفررك تقلب الذين كفروا في البلاد
 متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد)) (آل عمران : ١٩٦ - ١٩٧) .
 والفأفة في قوله : ((فلا يفررك)) لترتيب النهي ووجوب الانتهاء على ما قبلها
 من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء أمقت منه عند الله ولا أجلب لخسران
 الدنيا والآخرة ^(٢) . وقيل : الفاء للسببية أي لا يكن تقلبهم في بلاد الله منعمين
 بالأموال والأرزاق سببا لأغترارك بهم فتظن بهم ظنا حسنا لأن ذلك التنعيم
 إستدراج وهو زائل عن قريب وهم صائرون الى الهلاك والعذاب الدائم ^(٣) .
 قوله تعالى : ((كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم)) .
 أي كذب بالأنبياء قبل قومك من أهل مكة قوم نوح وأبتدأ به لأنه أول رسول
 بعثه الله الى قومه . والمراد بالأحزاب هم المتحزبون على رسلكم كقوم غناد
 وشمود وقوم إبراهيم وغيرهم ممن كذب برسول الله وقد أشار الله اليهم في
 مواضع متفرقة من كتابه كقوله : ((وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح
 وعاد وشمود . وقوم إبراهيم وقوم لوط . وأصحاب مدین وكذب موسى فأمليت
 للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير)) (الحج : ٤٢ - ٤٤) . وكذلك قوله تعالى :
 ((كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وشمود وعاد وفرعون وإخوان لوط
 وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)) (ق : ١٢ - ١٤) . الى
 غير ذلك من الآيات .
 قوله ((من بعدهم)) أي من بعد قوم نوح .

١ . الطبري : ٢٨٢٤ .
 ٢ . أبو السعود : ٢٦٦ / ٧ .
 ٣ . أضواء البيان : ٧١ / ٧ .
 ٤ . ابن كثير : ٧٢ / ٤ .

قوله : ((وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه)) - أي عزمت كل أمة من هـ هذه
الأمم التي مربيان البعض منها على الانتقام من رسل ربها إما بنقلته أو أسره
أو حبسه وجمع الكل لأن الكل مذكر معناه معنى الجماعة .^(١)

فأخذ هنا يطلق ويراد به القتل ومنه قوله تعالى : ((ثم أخذتهم فكيف
كان نكير)) (الحج : ٤٤) وكذا قوله : ((حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم
بغتة)) (الانعام : ٤٤) . ويطلق ويراد به الأسر والحبس فيقال للأسير
أخيد . وقد حصل كل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أهله
وعشيرته بمكة ولكن الله كفاه كيدهم كما كفى أخوانه من الرسل قبله كيده
أممهم لهم ((واذ يعمر بك الذين كفروا ليشتكوا أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين)) (الانفال : ٣٠) .

قوله تعالى : ((وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان
عقاب)) . والمراد بجدالهم في القرآن ما صدر منهم من أوصاف لكتاب الله
كقولهم انه سحر كما قال تعالى : ((فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا
إن هذا لسحر مبين)) (يونس : ٧٦) . وكقولهم عن كتاب الله انه شعر
وكهانة فأقسم الله لهم بما ينفي عنه هذه الأوصاف وأنه منزل من لدن عزيز
حكيم ((فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون . إنه لقول رسول كريم . وما هو
بقول شاعر قليلا ماتؤمنون . ولا بقول بكاهن قليلا ماتذكرون . تنزيل من
رب العالمين)) . (الحاقة : ٣٨ - ٤٣) . إلى غير ذلك من الأوصاف التي
صفوا بها كتاب الله سبحانه وتعالى عما يصفون .

قوله : ((ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب)) أي أرادوا ابطال
ما جاء عن الله وعن رسوله بباطلهم ولكن الباطل مضمحل وزاهق . قال تعالى :
((بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق)) (الأنبياء : ١٨) .
قال يحيى ابن سلام : في جدال هؤلاء الكفار ((جادلوا الأنبياء بالشرك
ليبتلوا به الايمان)) قوله : ((فأخذتهم فكيف كان عقاب)) أي كيف بلغك
عذابي لهم ونكالي بهم قد كان شديدا موجعا مؤلما . قال قتادة : في قوله
تعالى : ((فكيف كان عقاب)) قال شديد والله .^(٥)

١ . معاني القرآن للأخفش : ٤٦٠ / ٢ .

٢ . اللسان : ٤٧٣ / ٣ .

٣ . القرطبي : ٢٩٣ / ١٥ .

٤ . ابن كثير : ٧٢ / ٤ .

٥ . الطبري : ٢٩ / ٢٤ .

فنظر اليها فقال : ((ماتسمون هذه ؟ قالوا السحاب . . . الى أن قال هل تدرّون ما بعد ما بين السماء والأرض . . . الى أن قال فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء وسماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال . . .))^(١)^(٢)
قلت : وقد تكلم غير واحد في هذا الحديث . فقال ابن الجوزي : ((هذا حديث لا يصح^(٣)))

ووقفت على كلام لأبن تيمية يعترض به على من ضعف سند هذا الحديث محتجا برواية أهل السنة له لأبي داود وابن ماجه والترمذي وغيرهم وأنه بطريقتين مشهورين فالقدح في احدهما لا يقدح في الآخر واحتج كذلك برواية ابن خزيمة له في كتاب التوحيد مع أنه أشرط ألا يحتج في كتابه الا بما ينقله العدل عن العدل موصولا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن تيمية : والاثبات مقدم على النفي أما مانفاه البخاري من سماع عميره بن الأحنف فانما نفي سماعه عن الأحنف ولم ينف معرفة الناس بهذا فاذا عرف غيره كما أمام الأئمة ابن خزيمة ما ثبت به الاسناد كانت معرفته واثباته مقدا على نفي غيره وعدم معرفته^(٤) .

كذلك روي أثر آخر من طريق حسان بن عطية أن حملة العرش ثمانية وأنهم يتجاوبون بصوت رخيم فيقول أربعة منهم سبحانك ويحمدك على حلمك بعد علمك ويقول أربعة سبحانك ويحمدك على عفوك بعد قدرتك^(٥) .

-
- ١ . أوعال : جمع وعل وهو تيس الجبل . أنظر الصحاح : ١٨٤٣/٥ .
 - ٢ . أبو داود : ٩٢/٥ ح ٤٧٢٣ والترمذي على التحفه : ٩٤/٩ ح ٣٣٧٦ وابن ماجه : ١٩٣ ح ٦٩/١ . واخرجه الحاكم في مستدركه : ٥٠١/٢ - ٥٠٢ . وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .
 - ٣ . أنظر العلل المتناهية لابن الجوزي : ٨/١ - ١١ .
 - ٤ . الفتاوى : ١٩٢/٣ .
 - ٥ . قال الذهبي : إسناده جيد . وقال الألباني : وهذا إسناد قوي . أنظر مختصر العلو للذهبي ص ١٠١ والدر : ٣٤٦/٥ .

الربط بين الآيات:

بعد أن ذكر الله جلا وعلا ما وصل اليه الكفرة من المحادة لله ورسوله
والمؤمنين والمبالغة في ذلك بين أن أشرف طبقات المخلوقات الذين
هم حملة العرش والحافون حوله يببالغون في اظهار المحبة والنصرة
للمؤمنين فيقول تعالى اذا كان هؤلاء الأراذل يببالغون في العداوة لك
فلا تبال بهم ولا تلتفت اليهم ولا تقم لهم وزنا فان حملة العرش معك
والحافون من حول العرش ينصرونك (١).

قال تعالى :

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ

وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ
رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ
مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

معاني المفردات:

يحملون : الحمل معنى واحد اعتبر في أشياء كثيرة فسوى من لفظه في
فعل وفرق بين كثير منها في مصادرها فقل في الأثقال
المحمولة في الظاهر كالشيء المحمول على الظهر حمل ، وفي
الأثقال المحمولة في الباطن حمل كالولد في البطن والمساء
في السحاب والثمرة في الشجرة تشبيها بحمل المرأة (٢).

٠١ الرازى : ٣١ / ٢٧ وذكر نحوه أبو حيان : ٧ / ٤٥٠ .

٠٢ الراغب : ١٣١ .

العرش: مفرد وجمعه عروش ويطلق في اللغة على معان كثيرة^(١). فيراد به السرير ويطلق ويراد به الملك تقول ثل عرشهم أي هُدم ما هو عليه من قوام أمره ويطلق ويراد به سقف البيت ويطلق ويراد به البناء والمراد هنا عرش الله الذي لا يعلمه البشر على الحقيقة إلا بالاسم^(٢).

جنات: جن الشيء يجنه جنا ستره وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك والمراد بها دار النعيم التي وعدها الله للمتقين من عباده في الدار الآخرة^(٣).

عدن: العدن من الإقامة ومعدن كل شيء أصله والمراد بذلك الإقامة في مكان الخلد^(٤).

الجحيم: من الجحمة وهو شدة تأجج النار^(٥).
السيئه: هي الفعلة القبيحة وهي ضد الحسنه^(٦).

١ . انظر اللسان ماده عرش: ٣١٣/١٦ .

٢ . مفردات الراغب: ٣٢٩ .

٣ . اللسان : ١٣ / ١٠٠ .

٤ . المصدر السابق: ١٣ / ٢٧٩ .

٥ . الراغب: ٨٨ .

٦ . المصدر السابق: ٢٥٣ .

قوله تعالى: ((الذين يحملون العرش)) وتحت هذه الآية مباحث.
حملة العرش، عدد حملة العرش والخلاف في ذلك، صفتهم، مادة خلقهم، وظائفهم
المفاضلة بينهم وبين سائر الناس.
العرش وصفته وبعض الآثار في ذلك وهل هو غير الكرسي؟

حملة العرش:

هم صنف من الملائكة أصطفاهم الله لهذا الشرف العظيم يقال لهم
الكروبيون سادة الملائكة وهم من أفضل الملائكة المقربون لأنه كما يكون في
بني آدم مقربين الى الله فكذلك ملائكته.
قال تعالى: ((لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة
المقربون)) (النساء: ١٧٢).

عدد حملة العرش:

لا خلاف أنهم يوم القيامة ثمانية لقوله تعالى: ((ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية)) (الحاقة: ١٧). ولكن اختلف في المراد بالثمانية
هنا هل هي ثمانية صفوف أم ثمانية أملاك؟ فقال بعضهم: ثمانية صفوف
لا يعلم عدتهم الا الله وروي هذا عن ابن عباس من طريق عكرمة والضحاك^(١).
وقال آخرون: المراد ثمانية من الملائكة قال ابن زيد: ثمانية أملاك وقال
صلى الله عليه وسلم يحمله اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية^(٢) وقال: رسول
الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أقدامهم لفي الأرض السابعة وإن مناكبهم
لخارجة من السموات عليها العرش)) وذكر ابن جرير عن ابن اسحاق^(٣).
قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((هم اليوم أربعة))
يعني حملة العرش وإذا كان يوم القيامة أيد^(٤) وأربعة آخرين.
وقال آخرون: بل هم ثمانية من الملائكة يحملون عرش الرحمن اليوم: واستدلوا
بحدِيث الأوعال الذي رواه العباس بن عبد المطلب حيث قال: كنت في
البطحاء في عصاة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمرت بهم سحابة

١. انظر ما تقدم من آثار الطبري: ٢٩/٢٧-٢٨.

٢. المصدر السابق: ٢٩/٢٧-٢٨.

وليس المراد الاستفهام عن كيفية العقاب ولكن ذلك تقدير فيه معنوي التعجب والتعظيم عن كيفية وقوع الأمر^(١).

قوله تعالى : ((وكذالك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار)) ((كلمة ربك)) قرأ نافع المدني وأبو جعفر المدني وابن عامر الشامي بألف بعد الميم على الجمع وغيرهم بحذف الألف على الإفراد^(٢). والأصل في الحق نقيض الباطل ومعناه وجب وجوباً^(٣). أي كما وجبت ونفذت كلمتنا على من سبق قومك من الأمم المكذبة برسالتها والمجادلة في آياته فكذلك هي ثابتة. واجبه لمن كفر من قومك . ((وجادلوا في آيات الله بالباطل ليدحضوا به الحق))^(٤) وهذا الحق الذي وجب لهؤلاء المجادلين في آيات الله بالباطل يبينه قوله تعالى : ((وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)) (هود : ١١٩) . وكذلك قوله تعالى : ((ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)) (السجدة : ١٣) .

-
- ١ . ابن عطية مخطوط ص ٧٦ .
 - ٢ . البدور الزاهرة : ص ٢٧٦ .
 - ٣ . اللسان : ٤٩ / ١٠ .
 - ٤ . الطبري : ٢٩ / ٢٤ .

والمختار والله أعلم:

أنهم اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية. ويشهد لأهل هذا القول ما أخرجه أحمد في مسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((صدق أمية ابن أبي الصلت في شيء من شعره حيث قال:))

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد^(١)

وعلق ابن كثير بعد أن أورد هذا الحديث بقوله: ((وهذا اسناد جيد وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية. وكذا ما أورده ابن جرير عن ابن زيد مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم اليوم أربعة^(٢).)) وذكر ابن الجوزي أنهم أربعة أملاك ويوم القيامة ثمانية^(٣) أملاك^(٤).))

أما صفة هؤلاء الملائكة:

فالأثار الواردة في ذلك تدل على أنهم من القوة والعظمة بلغوا حداً لا يعلمه إلا الله ولا يقدر قدر هذه القوة أحد غيره مهما بلغنا عنهم من أوصاف وإن كان بعض الآثار التي وردت في وصفهم لا تخلو من مقال. والملائكة عموماً ومنهم حملة العرش يتفاوتون في الخلق والقدرة كما أخبر بذلك اللطيف الخبير في كتابه فقال وقوله الحق: ((الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير)) (فاطر: ١).

ونحن نؤمن بما وردنا عنهم في كتاب الله أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما ثبت لنا صحته. فالحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصفه لواحد من هؤلاء الحملة. ((وربك يخلق ما يشاء ويختار)) (القصص: ٦٨). حيث قال صلى الله عليه وسلم ((أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله حملة العرش أن ما بين شحمة أذنيه

١. مسند أحمد: ٤/٨٨٠٨٩ ح ٢٣١٤. بتحقيق أحمد شاكر وعلق عليه بالصحة. وقد ورد تصحيح في البيت في بعض المصادر بالزاء بدل الراء.
٢. تفسير ابن كثير: ٤/٤١٥.
٣. الطبري: ٢٩/٣٧.
٤. زاد المسير: ٥/٢٠٨.

الى عاتقه مسيرة سيحمانه عام^(١) . ((

مادة خلقهم :

يشترك هؤلاء الحملة ومن حولهم من الملائكة في صفة الخلق كغيرهم من الملائكة وأن الجميع مخلوقون من نور لا يعلم ماهيته إلا الله . وقد بين لنا رسول الهدى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله : ((خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم^(٢))) . المراد بمن حول حملة العرش في قوله تعالى : ((ومن حولهم)) أي من حول حملة العرش هؤلاء ملائكة يسبحونه ويقدمونه وينزهونه تعالى عن النقائص والعيوب لا يعلم عدتهم إلا الله ((وما يعلم جنود ربك إلا هو)) (المدثر : ٣١) .

قال تعالى في وصفه لهؤلاء الملائكة : ((وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم)) (الزمر : ٧٥) .

وظائفهم :

إن وظائف الملائكة عموماً كثيرة فما من حركة في الكون يحدثها الله بأمر منه وتدير إلا وللملائكة دور في القيام بهذه الحركة إذ هو القائل عنهم جل وعلا ((فالمديرات أمرا)) (النازعات : ٥) وهو القائل ((فالمقسمات أمرا)) (الذاريات : ٤) وهو القائل عنهم ((جاعل الملائكة رسلاً)) (فاطر : ١) . فهؤلاء الملائكة جنوده يسيرهم في الكون وفق إرادته جل وعلا وأمره وهم طائعون لأمر ربهم خائفون منه ((لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)) (الأنبياء : ٢٧) .

أما وظائف هذا النوع - أعني حملة العرش ومن حولهم : فقد بينت الآيات التالية نوع هذه الوظائف ((الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا)) غير أن حملة العرش ينفردون بوظيفة أخرى على هؤلاء تعيدهم الله بها وأكرمهم بها على سائر ملائكته وهو حمل العرش العظيم .

١ . أنظر أبو داود : ٥ / ٩٦ / ح ٧٢٧ ، وذكره الذهبي في العلو وقال أسناده صحيح وصححه الألباني . أنظر مختصر العلوص ١١٤ - ١١٥ . وذكره ابن كثير في تفسيره وعقب عليه بقوله : هذا أسناد جيد : ٤ / ١٥ ، وذكره البيهقي في الأسماء والصفات ص ٥٠٤ والدر : ٥ / ٣٤٦ .

٢ . أنظر مسلم : ٤ / ٢٢٩٤ ح ٢٩٩٦ .

أما العمل المشترك بين هؤلاء الحملة ومن حولهم من الملائكة :

فالتسبيح والذكر ليلهم ونهارهم دون كلل أو ملل كما قال تعالى :
((يسبحون الليل والنهار لا يفترون)) (الانبياء : ٢٠) ووصفهم الله
بقوله : ((وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم))
(الزمر : ٧٥) واختاروا التسبيح لأن فيه معنى التعظيم والتتزيه لجلاله
عن الشريك والولد ومالا ينبغي لجلاله وعظمته من النقائص والحدوث
مطلقا . والتحميد فيه الاعتراف بأنه هو المنعم على الاطلاق ففي التسبيح
إشارة إلى الإجلال والتعظيم وفي التحميد إشارة إلى الكرم والفضل^(١) .
وكيف لا يكون التسبيح والتحميد خير وظائفهم وهو أفضل ما اصطفاه الله
لعباده . كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أبو ذر عنه قال : سُئِلَ
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الذكر؟ قال : ((ما اصطفاه الله
لملائكته أو لعباده . سبحان الله وبحمده)) وفي رواية أن أحب الكلام
إلى الله سبحان الله وبحمده^(٢) . فهم خلق طائع لربه خاشع منيب^(٣) .
((لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون)) (التحريم : ٦) .

الوظيفة الثانية :

إيمانهم بالله والتصديق به وقد يقال ما فائدة ذكر الإيمان مع أنهم
مؤمنين ؟ في ذلك زيادة مدح لهم لأنهم غير معانين للرب جل وعلا
وقد قال الزمخشري رحمه الله حول هذا : ((وفائدة ذلك اظهار شرف
الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابه
بالصلاح لذلك عقب اعمال الخير بقوله ((ثم كان من الذين آمنوا
وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة (البلد : ١٧) . فأبان بذلك فضل الإيمان .

١ . أنظر تفسير الرازي : ٢٧ / ٣٢ . والبحر المحيط : ٧ / ٤٥١ .

٢٠٢ مسلم : ٤ / ٢٠٩٣ ح ٢٧٣١ .

قال : وفائدة أخرى : وهي التنبية على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معانين ولما وصفوا بالإيمان لأنه لا يوصف بالإيمان إلا الغائب . فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم وعلم ان ايمانهم وايمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك سواء في ايمان الجميع وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وأنه منزّه عن صفات الاجرام^(١))) وقد امتدح الفخر الرازي هذه اللفظة من الزمخشري وقال : ((لو لم يحصل في كتابه الا هذه لكفاه فخرا وشرفا^(٢)))

الوظيفة الثالثة :

استغفارهم للمؤمنين قال تعالى : ((ويستغفرون للذين آمنوا)) . أي يطلبون من ربهم المغفرة لمن آمن بالله وهذا العمل من الملائكة للمؤمنين من أفضل الشفاعات عند الله جل وعلا في الدنيا .
ورحم الله مطرف بن عبد الله بن الشخير :
حيث روى قتادة عنه قوله : ((وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة وأغش العباد للعباد الشياطين . ثم تلا الآية)) الذين يحملون العرش ومن حوله^(٣) زاد أبو حيان قال : ((ينبغي أن يقال أنصح العباد للعباد الأنبياء والملائكة^(٤))) وهذا كلام جيد إذ الفضل بعد الله جل جلاله في هداية العباد لخالقهم وللطريق السوي هم الأنبياء والرسل . ولهذا فاللائكة عموما يؤمنون على دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ((من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به آمين ولك بمثله^(٥)))

- ١- الزمخشري : ٤١٥ / ٣ .
- ٢- تفسير الرازي : ٢٧ / ٢٢ .
- ٣- تفسير الطبري : ٢٤ / ٣٠ ، وابن كثير : ٤ / ٧٣ والفخر الرازي : ٢٧ / ٢٣ والدر : ٥ / ٣٤٧ .
- ٤- البحر المحيط : ٧ / ٤٥٢ .
- ٥- سلم : ٤ / ٢٠٩٤ - ح - ٢٧٢٢ - ٢٧٢٣ .

المفاضلة بين هؤلاء الملائكة وسائر الناس:

(١) الكلام في هذا المبحث يطول وقد فصلت كتب العقيدة الكلام حوله . وقد ذهب بعض المفسرين كالرازي الى الاستدلال بهذه الآية ((ويستغفرون للذين آمنوا)) على أن فيها ما يدل على أن الملائكة أفضل من البشر لأنه لا ذنب لهم إذ لو لم يكن الأمر كذلك لأستغفروا لأنفسهم أولاً ثم لغيرهم كما هو حال الأنبياء . فها هو رسول الله نوح يقول الله عنه ((رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين)) وقال الله لنبيه محمد صلي الله عليه وسلم : ((فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)) (محمد : ١٩) . وهكذا بقية أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم يبدأون الاستغفار لهم ثم لمن يستغفرون له من المؤمنين وهذا يدل على أن الأنبياء محتاجون الى الاستغفار وغيرهم من العباد من باب أولى . قلت وما نقله شارح الطحاوية حول هذا كلام حسن حيث قال : والتفضيل إذا كان على وجه النقص والحمية والعصية للجنس فلا شك في رده والأدلة في هذه المسألة من الجانبين انما تدل على الفضل لا على الفضيلة ولا نزاع في ذلك ((وكذلك ما قاله ابن تيمية حول هذا : ((ان للملائكة خصائص ليست للبشر لا سيما في الدنيا هذا ما لا يستريب فيه لبياب أنهم اليوم أعلى مكاناً ، وأقرب إلى الله ، وأظهر جسوماً وأعظم خلقاً ، وأجمل صوراً وأطول أعماراً وأيمن آثاراً الى غير ذلك من الخصال الحميدة مما نعلمه وما لا نعلمه وللشخصيات ومزايا . . .)) (٤) وعليه فصالح البشر أفضل باعتبار كمال النهاية عند دخول الجنة وخصم الرحمن بمزيد قربه وفضله وتمتعوا بالنظر الى وجهه الكريم وخدمتهم الملائكة باذن ربهم . والملائكة أفضل باعتبار البداية قبل أن يصل البشر الى تلك المرحلة لأختصاص الملائكة بما مر بيانه . (٥)

- ١ . أنظر العقيدة الطحاوية : ص ٣٠١ - ٣١١ وابن تيمية في الفتاوى : ٣٥٠ / ٤ - ٣٩٢ . وعالم الملائكة للأشقر : ٨٥ - ٨٩ .
- ٢ . أنظر تفسيره : ٢٧ / ٢٣ .
- ٣ . العقيدة الطحاوية : ٣٠٣ .
- ٤ . الفتاوى : ٣٨١ / ٤ .
- ٥ . عالم الملائكة للأشقر نقلاً عن ابن تيمية بتصرف ص ٨٩ .

صفة العرش:

معلوم للمؤمن أن العرش مخلوق عظيم لا يقدر قدره إلا الله وأنه من أكبر المخلوقات على الإطلاق تعبد الله الملائكة بحمله والطواف حوله وتعبدنا بالايان به كما تظافرت نصوص الكتاب والسنة على ذكره وذكر حملته واستواء الله على عرشه استواء يليق بجلاله وعظامته وتحديد مكانه قبل خلق السموات والأرض في مثل قوله تعالى: ((وكان عرشه على الماء)) (هود: ٧) وكقوله صلى الله عليه وسلم: ((كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض))^(١) وانه سقف المخلوقات واعلاها مكانا لقوله صلى الله عليه وسلم: ((اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة أعلى الجنة أراه قال: وفوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر أنهار الجنة))^(٢) قال البيهقي رحمه الله: ((وأقارب أهل التفسير على أن العرش هو السريسر وانه جسم خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف كما خلق في الأرض بيتا وأمر بني آدم بالطواف واستقباله في الصلاة))^(٤) وقال الذهبي رحمه الله في وصفه: ((أعلم أن الله عز وجل أخبرنا وهو أصدق القائلين بأن عرش بلقيس عرش عظيم فقال: ((ولها عرش عظيم)) (النمل: ٢٣) ثم ختم الآية بقوله ((الله لا اله الا هو رب العرش العظيم)) (النمل: آية ٢٥). فكان عرشها عظيما بالنسبة اليها وما نحيط الآن علما بتفاصيل عرشها ولا بمقداره ولا بما هيته وقد أتى به بعض رعية سليمان عليه السلام الى بين يديه قبل ارتداد طرفه فسبحان الله العظيم. . . . فما الظن بالعرش الذي اتخذته العلي العظيم لنفسه

١. البخاري: باب بدء الخلق فتح الباري: ٧/٩٧ وأخرجه في كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء: ١٧/١٨١.
٢. الضمير يعود الى الفردوس. قال ابن حجر: وهم من زعم أن الضمير للعرش فقد وقع في حديث عيادة بن الصامت عند الترمذي ((والفردوس أعلى الجنة)) ومنها أي من الدرجة التي فيها الفردوس تتفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون عرش الرحمن: الفتح: ٦/٣٥٣.
٣. أخرجه البخاري في باب الجهاد المصدر السابق وذكره في كتاب التوحيد: ١٧/١٨٦ وذكره ابن ماجه: ٢/١٤٤٨ ح ٤٣٣١.
٤. الأسماء والصفات للبيهقي: ٤٩٧.

في ارتفاعه وسعته وقوائمه وماهيته وحملته والكروبيين الحافين من حوله
وحسنه ورونقه وقيمته؟ فالله أعلا وأعظم ((آمنابالله وأشهد بأننا
مسلمون)) (آل عمران : ٥٢) تبا لذوي العقول الخائضة والقلوب المعطلة
والنفوس الجاحدة فما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون نعم ما السموات
والأرض في الكرسي الا كحلقة في غلاة وما الكرسي في العرش العظيم
الا كحلقة في غلاة أسمع وتعقل ما يقال لك وتدبر ما يلقي اليك والجاأ السي
الايمان بالغيب فليس الخبر كالمعاينة^(١) . والنصوص في تعظيم العرش
والكلام عنه كثيرة .^(٢)

أما ما ذهب اليه أهل الأهواء من أهل التعطيل من جهمية وغيرهم ممن^(٣)
أول العرش بالملك أو السلطان وأن هذا من قول العرب ثل عرشهم
أي ذهب ملكهم . دعاهم الى هذا التأويل والتعطيل زعمهم بتزييه جل^(٤)
وعلا عن مشابهته لأحد من خلقه مع أنه يكفي العاقل اللبيب أن يفهم
من قوله تعالى : ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)) (الشورى : ١١) .
ازالة هذا الوهم لأن في هذه الآية وفي غيرها من كتابه ما ينفي عنه
المثلية أو الكيفية فهو القائل عن نفسه : ((ولم يكن له كفوا أحد)) (الصمد : ٤)
أما الكيفية فكيف انسا ن شيئا غائبا عنه يجهل كنهه وإدراكه سواء
كان هذا في صفة من صفاته جل وعلا أو كان في خبر غيبي مع أن الله
نهاه عن ذلك فقال : ((ولا تقف ما ليس لك به علم)) (الاسراء : ٣٦) .
وقال عن نفسه : ((ولا يحيطون به علما)) (طه : ١١١) .

- ١ . مختصر العلو للذهبي : ٩٩ - ١٠٠ .
- ٢ . أنظر العقيدة الطحاوية : ٢٧٧ - ٢٧٣ . وأبو الشيخ في العظمة
٢ / ٤٩٣ - ٦٨٥ . كتاب الأسماء والصفات للبيهقي : ص ٤٩٧ - ٥٢٣ .
والعلو للعلي الغفار للذهبي والرسالة العرشية لأبن تيمية . سوى
ما ذكر في كتب السنة والتفسير عن العرش مما يطول ذكره .
- ٣ . أنظر الدارمي في الرد على الجهمية تحت باب الايمان بالعرش من ص ١ - ١٢ .
- ٤ . أنظر أصول الدين للبغدادي ص ١١٤ - ١١٥ .

ورحم الله من قال : ((المعطل يعبد عدما والممثل يعبد صنما))
 المعطل أعشى والممثل أعشى ودين الله بين الغالي فيه والجافي
 عنه (١) أما ما ذهب اليه الفلاسفة من أن العرش فلك مستدير يحيط بالكون
 من جميع جوانبه أو ما يسمونه بالفلك الأطلسي أو الفلك التاسع فلا دليل
 لهم لا من العقل ولا من النقل وهم كما وصف ابن تيمية في رده عليهم
 قوم ضالون (٢).

ولا يلزم من إثبات العرش له جل وعلا على الوجه الذي يليق بعظمتـــه
 تشبيهه بخلقه لأنه لم يتخذ العرش لقره اليه اذ هو غني عن العرش
 وكل ما سواه ولا يمثل بشيء من خلقه ((ليس كمثل شيء)) (الشورى : ١١)
 فهو حامل العرش وحامل حملته وكما قال الطحاوي رحمه الله : ((وهو
 مستغن عن العرش ومادونه محيط بكل شيء وفوقه وقد أعجز عن الاحاطة
 خلقه (٣) أما ماروي عن الحسن البصري رحمه الله من تأويل الكرسي
 في قوله تعالى : ((وسع كرسيه السموات والأرض)) (البقرة : ٢٥٥)
 وهو ما يراه ابن جرير رحمه الله حيث أورد الأثر العروي عن عبد الله بن
 خليفة أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ((ادع الله
 أن يد خلني الجنة)) فعظم الرب تعالى ثم قال : ((إن كرسيه وسع
 السموات والأرض وانه ليقعد عليه ما يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال :
 بأصبعه فجمعها وأن له أطيطا كأطيطة الرجل الجديد اذا ركب من ثقله (٥).

١ . ابن تيمية في الفتاوى : ٥ / ٢٦١ .

٢ . الرسالة العرشية : ص ٥ وقد أفردها للرد على الفلاسفة وغيرهم وهي

ضمن الفتاوى : ٦ / ٥٤٥ - ٥٨٤ .

٣ . شرح الطحاوية : ٢٨٠ .

٤ . ذكره ابن جرير في تفسيره : ٣ / ٨٠ .

وذكر ابن جرير نحوه عن عمر كلاهما عن ابن خليفة ثم قال رحمه الله
بعد أن ساق الأقوال الواردة في معنى الكرسي قال : ولكل من هذه الأقوال
وجه ومذهب غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني بذلك الأثر الذي رواه ابن خليفة
والصحيح غير هذا وأن الكرسي غير العرش إذ هو أكبر منه قال : ابن كثير
رحمه الله والصحيح أن الكرسي غير العرش والعرش أكبر منه كما دلت على
ذلك الآثار والأخبار وقد أعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفة
عن عمر في ذلك وعندني في صحته نظر والله أعلم (٢).

١ . من هذه الأقوال سوى ماروي عن الحسن . ماروي عن ابن عباس بأن المراد
به العلم وأن كانت هذه الرواية ضعيفة لا تقوم بها حجة ومخالفة
للثابت عن ابن عباس بأن المراد بالكرسي موضع القدمين وقد رويت
هذه الرواية الثابتة عن ابن عباس مرفوعة إلى الرسول صلى الله عليه
وسلم والصحيح وقفها عليه . قال ابن الجوزي : كان ابن عباس يفسر
معنى الكرسي وأنه موضع قدمي الجالس ليخرجه عن قول من قال :
إن الكرسي بمعنى العلم . انظر العلل المتناهية : ٦ / ١ - ٧ .

وذكره الطحاوي قال : وقد روي مرفوعا والصحيح وقفه على ابن عباس
وعلق عليه الالباني فقال : صحيح موقوفا وأما الرفع فضعيف - الطحاوية -
٢٧٩ . وقيل انه الفلك الثامن وهو فلك الثوابت الذي فوقه الفلك التاسع
وهو الفلك الأشير ويقال له الأطلس وهذا ما زعمه أهل الهيئة ممن
الاسلاميين . أنظر ابن كثير : ٣١١ / ١ . وقيل فيه : أن ذلك تصوير
لعظمته وتخيل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود . انظر الكشاف للزمخشري :
٣٨٥ / ١ . والصحيح من هذا كله : أن الكرسي مخلوق عظيم بين يدي
العرش وأن العرش أعظم منه . انظر الطحاوية : ص ٢٨٩ ، القرطبي في
تفسيره : ٢٧٨ / ٣ .

٢ : ابن كثير في تفسيره : ٣١١ / ١ .

قلت: وقد ضعف هذه الآثار ابن الجوزي وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناده مضطرب جدا وعبد الله بن خليفة^(١) ليس من الصحابة فيكون الحديث الأول مرسلًا... وتارة يرويه ابن خليفة عن عمر عن رسول الله وتارة يقفه على عمرو وتارة يوقف على ابن خليفة وتارة يأتي فما يفضل منه الا قد رابع أصابع وتارة يأتي فما يفضل منه مقدار أربع أصابع وكل هذا تخطيط عن الرواة فلا يعول عليه ((^(٢) أما ما قيل بأن الحسن قال: أن العرش هو الكرسي ففي سنده جويبير وهو ضعيف جدا وزيادة على ما في هذا الأثر من ضعف فانه معارض للرواية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي يرويها أبو ذر عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما الكرسي في العرش الا كحلقمة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض))^(٤)

١. قال فيه ابن حجر: ابن خليفة هو عبد الله بن خليفة الهمداني من الثانية أنظر تقريب التقريب: ص ١٧٢.
٢. العلل المتناهية: ٤/١ - ٦.
٣. قال ابن حجر فيه: هو جويبير تصغير جابر ويقال اسمه جابر وجويبير لقب ابن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي نزيل الكوفة راوي التفسير ضعيف جدا من الخامسة مات بعد الأربعين. تقريب التقريب: ٥٨.
٤. ذكره الطبري في تفسيره: ٨/٣ وذكره أبو الشيخ في العظمة وفيه وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة: ٢/٣٧٥ وذكره البيهقي في الأسماء والصفات: ١١٥ وذكره الذهبي في العلو وقال إبراهيم ليس بشيء وقد وثق قال الألباني: قلت لكنه لم يتفرد به. مختصر العلو: ١٣٠ قلت: وإبراهيم الذي أشار إليه الذهبي هو إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني روي عن أبيه قال فيه ابن أبي حاتم: أظنه لم يطلب العلم وهو كذاب. وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة ٢٣٨ هـ أنظر الجرح والتعديل لأبن أبي حاتم: ٢/١٤٢ - ١٤٣.
- ولسان الميزان لأبن حجر: ١/١٢٢ - ١٢٣.

قوله : ((ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك)) هذا من دعاء الملائكة قائلين يا ربنا وسعت رحمتك وعلمك وفضلك كل شيء من خلقك ولا يخفى عليك من أمر عبادك شيء فأغفر لمن علمت منه التوبة من الشرك واتباع سبيل أنبيائك ورسلك وذلك خلاف ما تعتقده المعتزلة ومن وأغقم أنه لا معنى لطلب الاستغفار هنا إلا الشفاعة . وزيادة الكرامة والثواب على اعتبار أن التوبة للتائب واجبة على الله فلا تسأل^(١) .

قال قتادة : ((واتبعوا سبيلك)) أي سلكوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه ولزموا المنهاج الذي أمرتهم بلزومه وذلك الدخول في الإسلام . وقيل^(٢) سبيلك طاعتك^(٣) .

وقدم الرحمة على العلم لأنهم بها يستمطرون احسانه ويتوسلون بها الى حصول مطلوبهم وهو قولهم : فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وطلب المغفرة نتيجة الرحمة وللذين تابوا يتضمن أنك علمت توبتهم فهما راجعان الى قوله : ((رحمة وعلما))^(٤) وانتصابهما على التمييز المحول عن الفاعل والأصل وسعت رحمتك وعلمك كل شيء^(٥) .

قوله : ((وقهم عذاب الجحيم)) أي أرفع عنهم عذاب النار وأصرفهم عنها . وذهب بعض المفسرين كالرازي مثلا الى أن هذا الاستغفار من الملائكة للعباد جار مجرى الاعتذار لما سبق منهم في حق البشر عند أول خلقهم حيث قال : ((قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)) (البقرة : ٣٠) فلما سبق عنهم هذا تداركوه بقولهم : ((فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم))^(٦)

قوله : ((ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم))

دعاء آخر من الملائكة لصالح البشر من عباده وأن يدخلهم جنات عدن التي وعدهم بها في كتابه موضحا ذلك الوعد بقوله : ((والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويرون بالحسنة السيئة

١ . أنظر الكشاف : ٤١٧ / ٣ .

٢ . الطبري : ٣٠٠ ، ٢٤ .

٣ . أبو حيان في البحر المحيط : ٤٥١ / ٧ .

٤ . القرطبي : ٢٩٥ / ١٥ .

٥ . الرازي في تفسيره : ٢٧ / ٢٤ .

أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم
 وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب)) (الرعد : ٢٣) .
 وقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كعب الأحمق ما عدن؟ قال : ((قصور
 من ذهب في الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل)) ومن فبي
 قوله تعالى : ((ومن صلح)) عطف على الضمير المنصوب في أدخلهم وان شئت
 أعدته على الضمير في وعدتهم . أي وعدتهم ووعدت من صلح .

وتتميماً لأنس المؤمن وسعادته في الجنة أن يلحق به الصالحون من أهله فبي
 الجنة من آباء وذرية وأزواج وإن لم يبلغوا من العمل درجته في الجنة
 بفضل الله ومنه وكرمه . قال تعالى : ((والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم
 بإيمان أحقناهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء)) (الطور : ٢١) .
 أي سوينا بين الكل في المنزلة لتقر أعينهم وما نقصنا العالي حتى يتساوى
 الداني بل رفعنا ناقص العمل فساويناه بكثير العمل تفضلاً منا ومنه
 قال سعيد بن جبیر : ((إن المؤمن إذا دخل الجنة يقول : أين أبى أين أمي
 أين زوجي ؟ فيقال : لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت أعمل لي ولهم فيقال
 أدخلوهم الجنة ثم قرأ)) (جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم
 وأزواجهم وذرياتهم)) .

قوله : ((إنك أنت العزيز الحكيم)) القادر على ذلك كله لا يعز عليك شيء
 من ذلك ما شئت كان وما لم تشأ نم يكن الحكيم في أقوالك وأفعالك ما تعطيه
 لخلقك أو تمنعه عنهم .

قوله : ((وقهم السيئات)) دعاء آخر من الملائكة بتنجيتهم العذاب . قاله
 قتادة . وقد يقال في هذا تكرار حيث سبق منهم الدعاء بقولهم : ((وقهم
 عذاب الجحيم)) وعليه فلا فرق بين الدعاءين . قال الرازي : التفاوت حاصل
 من وجهين :

الأول : أن يكون قوله : ((وقهم عذاب الجحيم)) دعاء مذكور للأصول وقوله :
 ((وقهم السيئات)) دعاء مذكور للفروع .

١ . تفسير عبد الرزاق مخطوط : ص ٢٥٤ .

٢ . الفراء : ٣ / ٥ .

٣ . ابن كثير : ٤ / ٧٣ . واليغوى : ٤ / ٩٣ .

٤ . تفسير الطبري : ٢٤ / ٣٠ .

الثاني : أن يكون قوله : ((وقهم عذاب الجحيم)) مقصورا على ازالة الجحيم وقوله : ((وقهم السيئات)) يتناول عذاب موقف القيامة وعذاب الحساب والسؤال.^(١)

وقيل : ((وقهم السيئات)) أي أحفظهم في الدنيا بمنعهم كل ما يسبب لهم الوقوع في الأعمال الفاسدة أو ما اجترحوه من الأعمال التي وقعوا فيها.^(٢) قلت : وهو الأولى لأن مراد الملائكة بالدعاء الأول أن يحصل يوم القيامة وبالثاني وقاية عباده في الدنيا بحفظه اياهم عن كل ما يسبب لهم الوقوع في المعصية وعلى هذا يكون التنوين في قوله تعالى : ((ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته)) عوضا عن جملة تقدير ذلك ومن تقه جزاء السيئة بحفظه من الوقوع فيها يوم إذ يؤخذ بها الواقع فيها يوم القيامة فقد شمله عطفك وفضلك ورحمتك .

((وذلك الفوز العظيم)) اشارة الى الغفران ودخول الجنة والصيانة عن العذاب والحاق أهل المؤمن حيث كان من الجنة هو الفوز الذي لا فوز بعده .

١ . تفسير الرازي : ٢٧ / ٢٧ .

٢ . المصدر السابق والقرطبي : ١٥ / ٢٩٦ ، والبحر المحيط : ٧ / ٤٥٢ .

الربط بين الآيات:

بعد أن بيّن جل وعلا شيئا من أحوال المؤمنين في الجنة والفضل العظيم الذي ينالهم بيّن حال الكافرين به ومرسله في جهنم وطرفا من أحوالهم فيها من البؤس والشقاء ومن ذلك مقتهم لأنفسهم على ما قادتهم إليه من شر ونكر ويعترفون بقدرته جل وعلا على الأحياء والاماتة وذلك حين لا ينفذ الاعتراف^(١) قال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقَّتُ اللَّهُ أَكْبْرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
 قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِدُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِمَا أَنْتُمْ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾

معاني المفردات:

- المقت : هو شدة بغض^(٢).
 الاعتراف : هو ادراك الشيء بتفكر وتدبر وهو أخص من العلم وبضاد المعرفة الانكار والعلم والجهل^(٣).
 الشرك : من الخلطه والمشاركه والمراد أن تجعل لله شريكا في عبادته وذلك أعظم الكفر^(٤).
 الحكم : العلم والفقہ والمراد بذلك قضاؤه جل وعلا بالعدل في عبادته^(٥).

١ . البحر المحيط: ٧ / ٤٥٢ .

٢ . اللسان: ٣ / ٢٧٩ .

٣ . الراغب: ٣٣١ .

٤ . المصدر السابق: ٢٥٩ .

٥ . اللسان: ١٢ / ١٤١ .

قوله تعالى : ((ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم
اذ تدعون الى الايمان فتكفرون)) .

في هذه الآية بيان للحال التي يكون عليها الكفرة والملحدون من تأنيبهم
لأنفسهم ومقتهم لها حين يعذبون من أجلها في جهنم . واللام في قوله :
((لمقتكم)) غال الأخص : هي لام الابتداء لأنها في معنى القول .^(١)

وقيل هي لام اليمين تدخل مع الحكاية وماضارع الحكاية لتدل على أن ما
بعدها ائتلاف وهو ما ارتضاه الطبري حيث قال : وأولى الأقوال في ذلك
قول من قال : دخلت لتؤذن أن ما بعده ائتلاف وأنها لام اليمين .^(٢) وجوز أبو حيان
كونها لام ابتداء^(٣) وقيل أنها بمنزلة أن في كل مضارع وهو قول الفسراء^(٤)
فيكون المعنى ينادون أن مقت الله اياكم فاكتفى باللام عن النون ونظير ذلك
قوله تعالى : ((ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين))

(يوسف : ٣٥) .

وقد بين الله في مواضع كثيرة من كتابه أن الأمر يتعدى مقتهم لأنفسهم في جهنم
بلعن بعضهم لبعض . قال تعالى : ((ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا)) (العنكبوت : ٢٥) .

ويكون مقتهم هذا لأنفسهم عند ما يستلم الواحد منهم كتابه ((فيقول يا ليتني
لم أوتى كتابه . ولم أدر ما حسابيه)) (الحاقة : ٢٥ ، ٢٦) . قال الحسن :
يعطون كتابهم فاذا نظروا الى سيئاتهم مقتوا أنفسهم .^(٥)

أو يحصل هذا منهم عند ما يعلن فيهم إبليس خطبته ((وقال الشيطان لما قضي
الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بصرخكم وما أنتم
بمصرخي الآية (ابراهيم : ٢٢) . وأيا كان سبب ذلك المقت فلا ينفعهم
في ذلك اليوم شيء^٤ ((يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم
سوء الدار)) (غافر : ٥٢) .

١ . معاني القرآن لأخفش : ٤٦٠ / ٢ .

٢ . الطبري : ٣١ / ٢٤ .

٣ . البحر المحيط : ٤٥٢ / ٧ .

٤ . معاني القرآن : ٦ / ٢ .

٥ . القرطبي : ٢٩٧ / ١٥ .

ثم يناديهم مناد من خزنة جهنم على سبيل السخرة بهم لعقت الله ونضيه حين عرض عليكم الايمان في الدنيا فلم تقبلوه أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم حين عاينتم العذاب. قال مجاهد : مقتوا أنفسهم حين رأوا أعمالهم ومقت الله اياهم في الدنيا اذ يدعون الى الايمان فيكفرون أكبر^(١). وذكر نحو هذا قتاده والحسن وابن زيد وذرا بن عبيد الله الهمداني^(٢).

وقيل مقت الله في الآخرة^(٣). والأول أولى لأنه لا عامل للمقت ولا مفسر على المعنى الثاني بخلاف الأول فيمكن أن يضرر له عامل تقديره مقتكم إذ تدعون^(٤). وهو رأي جمهور المفسرين.

قوله تعالى : ((قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين))

الفراد بالموتتين والاحياء تين في الآية :

الموتة الأولى فحيث كانوا عما قبل خلقهم أو كونهم في أصلاب الآباء أو في طون الأمهات نطفًا وعلقًا ونضًا .

فان قيل كيف قيل لهم أموات في حال كونهم جماد قيل كما يقال

لنمنا لا حياة له أصلاً ميت بنص الكتاب. قال تعالى ((وآية

لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حيا فمنه ياكلون))^(٥) يس : ٢٣ .

فان قلت كيف أن سمي خلقهم أمواتا إمامته ؟ قلت كما صح أن تقول سبحانه

من صغر جسم البعوضه وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركيعة

ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا ممن

ضيق الى سعه ولا من سعه الى ضيق وإنما أردت الانشاء على تلك

الصفات والسبب في صحته أن الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع

الواحد من غير ترجيح لأحدهما وكذلك الضيق والسعه فاذا اختار الصانع

أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز

الآخر فجعل صرفه كنقله منه^(٦).

١ . الطبري : ٢٤ / ٣١ .

٢ . المصدر السابق وابن كثير : ٤ / ٧٣ - ٧٤ والدر : ٥ / ٢٤٧ .

٣ . انظر تفسير الرازي : ٢٧ / ٢٨ .

٤ . البحر المحيط : ٧ / ٤٥٢ .

٥ . الكشاف : ١ / ٢٦٩ . بتصرف .

٦ . المصدر السابق : ٢ / ٤١٨ .

أما اطلاق اسم الموت على النطفه فلا اشكال فيه وهو ما أختاره أبو حيان حيث قال : ((والذي نختاره كونهم أمواتا من وقت استقرارهم نطفاً في الأرحام الى تمام الأطوار وبعد هاء^(١) يشير الى قوله تعالى : ((وقد خلقكم أطواراً)) (نوح : ١٤) وقوله : ((يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق)) (الزمر : ٦) وذكر نحو هذا صاحب الأضواء^(٢).

الموتة الثانية : هي الموتة المعهودة للعبد والسيرورة الى القبر. أما الحياة الأولى فهي التي تأتي بعد العدم كما تقدم وهي التي قال الله فيها : ((هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً)) (الإنسان : ١) الحياة الثانية حياة البعث من النشور للحساب والجزاء في ذلك اليوم الموعود ((يوم يخرجون من الأجدات سراعا كأنهم الى نصب يوفضون)) (المعارج : ٤٢) وآية المؤمن هذه نظيرها آية البقرة : (٢٨) ((كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون)) روي ذلك عن جماعه من السلف كابن عباس وابن مسعود ومجاهد وعطاء وقتاده وغيرهم^(٣). وقال ابن زيد : ((أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم وتلا قوله تعالى : ((واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم)) (الاعراف : ١٧٢) ثم أماتهم بعد أخذ الميثاق ثم أحياهم في بطون أمهاتهم بخلقهم ثم أماتهم في الدنيا ثم أحياهم يوم القيامة^(٤))) وقال السدي : أحيوا في الدنيا ثم أميتوا ثم أحيوا في قبورهم فخطبوا ثم أميتوا ثم أحيوا يوم القيامة^(٥). وهذا القولان فضلا عن مخالفتهما لجمهور السلف من الصحابة والتابعين فهما يخالفان النص الصريح حيث يلزم على قولهما ثلاث احياءات فلا يعول عليهما وقيل غير ذلك وكل ذلك أقوال اجتهادية لا دليل عليها من كتاب ولا سنه^(٦).

١ . البحر المحيط : ١ / ١٣١ .

٢ . الأضواء : ٧ / ٧٣ .

٣ . أنظر الطبري : ١ / ١٤٥ - ١٤٦ وابن كثير : ١ / ٦٨ ، ٤ / ٧٤ .

الدر المنثور : ٥ / ٣٤٧ - ٣٤٨ .

٤ . الطبري : ١ / ١٤٦ - ١٤٧ .

٥ . المصدر السابق والبحر المحيط : ١ / ١٣٠ - ١٣١ وأبي السعود : ٧ / ٢٦٩ .

٦ . روح المعاني : ٢٤ / ٥٢ - ٥٣ .

والصحيح ما ذهب إليه السلف وهو ما ارتضاه أكثر المفسرين كالطبري وابن كثير وغيرهما حيث قال ابن كثير: بعد إيراد لقول ابن عباس وابن مسعود المتقدم وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مريه^(١).

الاستدلال بهذه الآية على عذاب القبر^(٢).

ذهب بعض العلماء أن في هذه الآية ما يدل على ثبوت عذاب القبر كما هو رأي أهل السنة والجماعة وخالف المعتزلة ذلك وقالوا: لا دليل في هذه الآية ولا نسلم بكونها دليل على عذاب القبر لأن هذا من كلام الكفار قصه الله علينا ولا نشق بكلامهم ثم إنه يلزم على كونها دليلاً إثبات ثلاث إحياءات وثلاث إماتات وهذا مخالف للنص واستدلوا بما حكاه الله عن المؤمنين في قوله تعالى: ((أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين)) (الصافات: ٥٩) .

قالوا: ولو حصلت لهم حياة في القبر لكانوا قد ماتوا موتتين وذلك خلاف الآية^(٣).

والحق أنه لا علاقه بعدد مرات الموت والحياة قبل البعث في القبر لأن الروح تتصل بالبدن حيناً وتفارقه آخر بمشيئة الله تعالى^(٤).
قوله: ((فاعترفنا بذنوبنا))

وترتب على هذا الاعتراف من الكفار بعد معابنتهم للإحياء والإماتة حقيقة بعد أن كانوا يقولون في الدنيا: ((ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)) . (الجاثية: ٢٤) . وتقريرهم بهذا الاعتراف في عرصات القيامة لا ينفع الظالمين معذرتهم ولا اعترافهم ((فاعترفوا بذنوبهم فسحقاً لأصحاب السعير)) (الملوك: ١١) ليكون مقدمة لاستجدائه تعالى قبل طلب خروجهم من النار بعد معابنتهم له واصطلائهم بنارها وإيقانهم أن ما وعدهم ربهم على لسان رسوله حق وصدق قائلين: ((ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إننا موقنون)) (السجدة: ٦٢) . إنهم يتمنون العوده تمنى الآيس القانط

- ١ . تفسير ابن كثير: ٤ / ٧٤ .
- ٢ : سيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله .
- ٣ . انظر تفسير الرازي: ٢٧ / ٣٩ - ٤٠ .
- ٤ . انظر الفتاوى لابن تيمية: ٤ / ٢٧٤ - ٢٧٦ .

من تحقق أمنيته تعللا وكبرا فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ((بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون)) (الانعام : ٢٨) .
 قوله : ((فهل إلى خروج من سبيل)) أي هل من مخرج نسلكه وطريق نتبعه يخفف ما نحن فيه لا على سبيل الاستفهام لكن ذلك من فرط قنوطهم وتحيرهم . ويشهد سؤلهم لربهم ومناشدتهم بإياه حالة كونهم ((يصطرخون فيها)) قائلين : ((ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل)) فيقال او ما عشتم في الدنيا الزمن الذي يمكنكم من العمل الصالح لو كنتم فاعلين وقد جاءكم من يندرکم عذاب الله ويدعوكم لتوحيدہ ((أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكروا وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير)) (فاطر : ٣٧) .
 فيجابون على الفور بأنه لا سبيل لذلك لأنه قد علم جبل وعلا منهم عدم الايمان وحقت عليهم كلمة العذاب ((ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون)) (الانعام : ٢٨)

قوله : ((ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرک به تؤمنوا)) أي ذلكم العذاب الذي أنتم فيه والأمر بعدم الخروج من النار . وعلته اعراضكم عن كلمة التوحيد الخالصة التي كان يدعوكم اليها رسوله وتقولون له حينذاك ((اجعل الآلهة الها واحدا إن هذا لشيء عجاب)) (ص : ٥) وتؤمنون بما سوى ذلك من الأنداد والشركاء والأصنام وتستكبرون عن دعوته لكم وتعرضون عن قبولها ((إنهم كانوا اذا قيل لهم لا اله إلا الله يستكبرون)) (الصافات : ٣٥)

١ . قال محمد بن كعب القرظي لأهل النار خص دعوات يكلمهم الله في أربعة فاذا كانت الخاصة سكتوا : ففي غافر : ١٣ ((قالوا ربنا أمتنا أشنتين وأحييتنا أشنتين فاعترفنا بذنوبنا . . . الآية)) ومن ابراهيم : ٤٤ ((ربنا أخرجنا إلى أجل قريب نجيب دعوتك ونتبع الرسل . . . الآية)) ومن السجدة : ١٢ ((ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون)) ومن فاطر : ٣٧ ((ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل . . . الآية)) ومن المؤمنين : ١٠٦ - ١٠٨ ((قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فانعدنا فانا ظالمون)) فراجعهم قال : اخسئوا فيها ولا تكلمون . قال : فكان آخر كلامهم : أنظر البحر المحيط : ٤٥٤ / ٧ .

٢ . روح المعاني : ٥٤ / ٢٤ .

٣ . القرطبي : ٤٥٤ / ٧ ، البحر المحيط : ٤٥٤ / ٧ .

((فالحكم لله العلي الكبير)) أي ليس لأحد سواه بل هو الذي حكم فيكم بما تستحقونه من العذاب لأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ولا يقع في حكمه إلا ما يشاء هو الكبير المتعالي فوق خلقه بجلاله وعظمته وقدرته ليس كمثل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله ((إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون)) (يوسف: ٦٧) .

الربط بين الآيات :-

وبعد أن ذكر جل وعلا شيئاً من أحوال الكفار يوم القيامة وما أكثر أحوالهم هناك نسأل الله العافية - عقب ذلك بذكر بعض آياته الدالة على وحدانيته وكمال قدرته والتي توجب الإيمان به وإخلاص العبادة له . وأنه لا يجوز أن يصرف العبد شيئاً من عبادته لأحد من خلقه إذ هو الخالق الرازق المحي المميت .^(١) ثم يذكر من صفاته جل وعلا ما يبين للمؤمن أحقيته للعبادة دون سواه من الرغبة والقدرة والعلو والكمال المستوي على عرشه في عليائه يرسل أمره ووحيه لمن يشاء من عباده لينذروا عباده باليوم الموعود الذي يلتقي فيه العباد وأعمالهم مع ربهم لا يخفى عليه من ذلك شيء حين يقف الوجود كله خاشعاً لله وحده يجازي المحسن على إحسانه والظالم على ظلمه حين ينادي المنادي بصوت تذلل له القلوب وتخضع ((لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)) .

قال تعالى : هو الذي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَدْرَبُونَ لَا يُخْفَى

عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴿١٦﴾ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٧﴾

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ

اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾

الله سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾

معاني المفردات :

التذكر : الاتعاظ .

الانابه : الرجوع الى الله بالتوبه .

الاخلاص : الخالص الصافي الذي زال عنه شبهة بعد أن كان فيه وحقيقة

الاخلاص التجرد عن كل ما دون الله تعالى^(٢) .

١ . أنظر الرازي في تفسيره : ٢٤ / ٤٢ بتصرف .

٢ . الراغب : ١٥٤ - ١٥٥ .

- (١) رفيع : الرفع نقيض الخفض والمراد به هنا علو المنزله وشرفها .
- (٢) الدرجات : مفردها درجة وهي المنزله الرفيعة اذا اعتبرت بالصعود .
- (٣) الانذار : هو الابلاغ والاعلام ولا يكون الا في تخويف .
- (٤) بارزون : البروز الظهور بعد الخفاء .
- (٥) القهر : الغلبه والتذليل .
- الظلم : وضع الشيء في غير موضعه والأصل فيه الجور ومجاوزة الحد بزيادة أو نقصان . (٦)

الشرح :

قوله : ((هو الذى يريك آياته)) إخبار منه جل وعلا يعم المؤمن والكافر إلى النظر في آيات قدرته وعلامات وحدانيته التي تدعو إلى اغتراده بالعبادة وحده ومن هذه الآيات الليل والنهار والشمس والقمر وكل ما يحويه هذا الكون علويه وسفليه عما نعلمه وما لا نعلمه آيات تدل على كمال قدرته وكما قال ابن المعنز: (٧)

فيا عجباً كيف يعصي الاله . أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ؛ تدل على أنه واحد .

((إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون)) (البقره : ١٩٤) .

- ١ . الراغب : ٢٠٠ .
- ٢ . اللسان : ٢ / ٢٦٦ .
- ٣ . الصحاح : ٢ / ٨٢٥ .
- ٤ . اللسان : ٥ / ٣١٠ .
- ٥ . الصحاح : ٢ / ٨٠١ .
- ٦ . الراغب : ٣١٥ .
- ٧ . تفسير ابن كثير : ١ / ٢٥٠ .

قوله : ((فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون))
في هذه الآية تذكير لعباده بعد أن آمنوا بهذه الآيات ودلالتها على كمال
قدرته وأحقيته بالعبادة وحده . بأن تكون عبادتهم خالصة له لا يشوبها
شيء من دخن الشرك كبيرا كان أو صغيرا ((إن الله لا يفرأ أن يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) (النساء : ٤٨ ، ١١٦) ولهذا كان نصيب
التوحيد في ضرب الأمثلة العقلية والنقلية في القرآن كثير ولا سيما في السور
المكية كسورتنا هذه حتي يخلص العبد عمله لله الواحد الأحد ((وما أمروا
إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)) (البينة : ٥) .

قوله : ((ولو كره الكافرون)) أي ولو أغاظ الكافرون هذا الاخلاص وهذا التجرد
الكامل عنكم فإن قلوبهم تنقبض وتنفر وتستعلي على الحق كبيرا وعلوا متسى
سمعت ذكر الله لأن فيه بيان للحق وازهاق للباطل . ((وإذا ذكر الله
وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه
إذا هم يستبشرون)) (الزمر : ٤٥) انهم يودون الكفر لمن آمن بالله
ورسوله كما كفروا حسدا من عند أنفسهم ((ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون
سواء)) (النساء : ٨٩) . ولكن الله أبطل كيدهم وأعلى كلمته وأتم نوره
لعباده ((يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره
الكافرون)) (الصف : ٨) وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثّر من دعوة التوحيد الخالصة دبر كل صلاة ((لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول
ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل
وله الثناء الحسن . لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
قال ابن زيد راوى الحديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يهل بهن دبر كل صلاة^(١) .

١ . مسلم : ١ / ٤١٥ - ٤١٦ ح ١٢٩ - ١٤٠ وأحمد : ٤ / ٤

وأبو داود : ٢ / ١٧٣ ح ١٥٠٦ .

ما أكثر دلائله الكونية التي أورد لها جل وعلا للتدليل على كمال قدرته
وربوبيته جل وعلا في ثنايا هذا الكتاب الكريم.

قوله : ((وينزل لكم من السماء رزقا)) قرأ بالتخفيف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب.
وقرأ بالتشديد الجمهور. والمراد بالرزق هنا المطر وسماه الله رزقا لأنه سبب
له وبه قوام الحياة.

((وجعلنا من الماء كل شيء حي)) (الأنبياء : ٣٠) يحيى الله به الأرض بعد
موتها مما يخرج به من الثمار والزرع على اختلاف ألوانها وطعومها وأشكالها
قال تعالى : ((ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحبـ

الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد. رزقا للعباد)) (ق : ٩ - ١١) .
وأفرد الرزق بالذكر في آية المؤمن هذه مع أنه من جملة الآيات الدالة على
كمال قدرته تعالى لتفرد به بعنوان كونه من آثار رحمته وجلال نعمته الموجبه
لـللشكر^(٣) . وجمع بين آيات قدرته وانزال رزقه لعباده للاشارة الى أن هذه الآيات
والدلائل للأديان لتستقيم بها كهذه الأرزاق للأبدان لا تعيش بدونها^(٤) .

قوله : ((وما يتذكر الا من ينـ

أي لا ينتفع بهذه الدلائل ويتعظ بها ولا يرجع من الكفر والمعصية للـ
ولرسوله الى الايمان والطاعة لهما الا ذو عقل سليم خال من الآفات والعوارض
التي تصرفه عن عبادة غير الله وحده اذ هو المستحق لذلك . وقد أمتدح الله
في كتابه المتدبرين لآياته في أكثر من آية كقوله : ((ان في خلق السموات
والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب)) (آل عمران : ١٩٠) ومفهوم ذلك
أن من لم يتعظ بآيات الله ودلائله الكونية ويؤمن بها يكون ممن وصفهم الله
بقوله : ((وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها
معرضون)) (يوسف : ١٠٥) . وكذلك قوله : ((قل أنظروا ماذا فـ
السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)) (يونس : ١٠١) .

١ . البدور الزاهره : ٢٧٦ .

٢ . انظر تفسير ابن كثير : ٧٤ / ٤ ، والأضواء : ٧٦ / ٧ .

٣ . انظر أبو السعود : ٢٧٠ / ٧ .

٤ . الرازي : ٤٢ / ٢٤ والقرطبي : ٢٩٩ / ١٥ وأبو حيان : ٤٥٤ / ٧ .

قوله : ((رفيع الدرجات ذو العرش))

هذه اخبار ثلاثة مختلفة التكير والتعريف لهو في قوله : ((هو الذي يريكم))
أو اخبار لمبتدأ محذوف . ويجوز في رفيع النصب على المدح . ورفيع إما أن يكون
صيغة مبالغة بمعنى الفاعل فيكون المعنى رافع درجات أوليائه في الجنة
ومنه قوله تعالى : ((وما منا الا له مقام معلوم)) (الصافات : ١٦٤) . قاله
ابن سلام ^(٣) أو يكون الرفع لعباده في الدنيا والتفاوت فيما بينهم في العلم والفقر
والغنى ومنه قوله تعالى : ((وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم
فوق بعض درجات .)) (الانعام : ١٦٥) . أو يكون رفيع بمعنى فعيل صفة
مشبهة فتكون صفة من صفاته جل وعلا تدل على رفعة شأنه وعلو سلطانه
وكمال قدرته . ^(٤)

والدرجات . قيل صاعد الملائكة ((تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة)) (المعارج : ٤) . قال ابن كثير : ((وهذه مساحه
ما بين العرش الى الأرض السابعة في قول جماعة من السلف والخلف وهو الأرجح
إن شاء الله . ^(٥))) . وقال ابن عباس : ((رفيع الدرجات)) أي خالق السموات
رفعها فوق كل شيء . ^(٦) وبه قال الكلبي وابن جبير . ^(٧)
((ذو العرش)) مالكة ومدبره وخالقه وخصه بالذكر جل وعلا لكونه من أعظم
مخلوقاته على الاطلاق .

^(٨) ((يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده)) الإلقاء مقابلة الشيء ومصادفته
والمراد ما يلقيه الله لرسله من الوحي . واختلف المفسرون في المراد بالروح هنا
فقال ابن عباس : ((ينزل جبريل بالقرآن)) وقال قتاده : ((الوحي والرحمة
وروي عنه النبوه .)) ^(٩) ^(١٠)

١ . الكشاف : ٤١٩ / ٣ .

٢ . الأخص : ٤٦٠ / ٢ .

٣ . القرطبي : ٢٩٩ / ١٥ ، وأبوحيان : ٤٥٥ / ٧ .

٤ . تفسير ابن كثير : ٧٥ / ٤ .

٥ . القرطبي : ٢٩٩ / ١٥ ، وأبوحيان : ٤٥٥ / ٧ .

٦ . الراغب : ٤٥٣ .

٧ . عبد الرزاق مخطوط : ٢٤٥ ، الطبري : ٣٣ / ٢٤ ، الدر : ٣٤٨ / ٥ .

٨ . وأبوحيان : ٤٥٥ / ٧ .

وقال ابن زيد : ((الروح القرآن والكتاب ينزل على من يشاء وذكر نحوه الضحاك^(١) وقال : ((هذا القرآن هو الروح أوحاه الله الى جبريل)) (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا)) (الشورى : ٥٢) . وجبريل روح نزل به على النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ : ((نزل به الروح الأمين)) (المعراء : ١٩٣) . قال : ((غالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه هي الروح لينذر بها ما قال الله به يوم التلاق^(٢))) وقال الفراء : ((الروح في هذا الموضع النبوه لينذر من يلقي عليه الروح يوم التلاق^(٣)))

قلت : وكل هذه المعاني صحيحه ومقاربه فالروح يطلق ويراد به النبوه ويطلق ويراد به الكتاب ويطلق ويراد به جبريل وكما قال الطبري رحمه الله : وهذه الأقوال متقاربات المعاني وان اختلفت ألفاظ أصحابها بها^(٤) . وصح اطلاق الروح على هذه المعاني لأنه كما أن الضغّة اذا نخب فيها الملك الروح بأمر الله جل وعلا ويث فيها الحياة فكذلك الكتاب والوحي والنبوه تحيا بها القلوب من غفلة الجهل وظلمة الكفر ألا ترى أن الله سمى الكافر ميتا قبل أن يدب في قلبه نور القرآن وهديه ((أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس)) (الانعام : ١٢٢) غير أن الذي هو أولى بتأويل الروح في آية المؤمن هذه . أن يكون المراد به الوحي^(٥) . حيث عقب ذلك بقوله : ((يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده)) نظير ذلك قوله : ((ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون)) (النحل : ٢) فجاء بالوحي على لسان ملائكته ورسله لينذروا به أي بالوحي يوم التلاق . وقد سمى الله الوحي انذارا في قوله تعالى : ((قل انما أنذركم بالوحي)) (الأنبياء : ٤٥) .

قوله : ((من أمره)) أي من قضاءه وحكمه وقيل من قوله - وقيل من بمعنى الباء أي بأمره^(٦) .

-
- ٢٤١ . الطبري : ٢٤ / ٢٣ .
 ٣ . معاني القرآن للفراء : ٣ / ٦ .
 ٤ . أنظر تفسير الطبري : ٢٤ / ٢٣ .
 ٥ . أنظر الأضواء : ٣ / ١٩١ .
 ٦ . القرطبي : ١٥ / ٢٩٩ وأبوحيان : ٧ / ٤٥٥ .

((على من يشاء من عباده)) أي ينزل وحيه جل وعلا وأمره على من يختاره لحمل رسالته لأنه أعلم بمن يصلح لها ((الله أعلم حيث يجعل رسالته)) (الانعام: ١٢) قوله: ((لينذر يوم التلاق))
الملاقات الانذار في القرآن:

الانذار يطلق في القرآن على معنيين:

فيطلق ويراد به العموم نحو قوله تعالى: ((تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً)) (الفرقان: ١) وكقوله: ((يا أيها المدثر قم فأنذرن)) (المدثر: ١، ٢) فالانذار هنا عام للمؤمن والكافر.

ويطلق ويراد به الخصوص للكافر وهو الأكثر في القرآن الكريم كقوله تعالى:

((ولتنذر أم القرى ومن حولها)) (الانعام: ٩٢). لأنهم سيقعون في عاقبة

ما أنذروا به من قبل أنبيائهم ورسولهم وذلك يوم التلاق ((يوم يجمع الله الرسل

فيقول ماذا أجبتم))؟ (المائدة: ١٠٩). والمنذر هنا هو الرسول أو من

ينوب عنه من أمته لتبليغ رسالة ربه وقيل انه الله عز وجل يبعثه الرسل للخلق.^(١)

قلت: وكون الرسول هو المنذر لما ^{بُ}بلغ به هو الأولى بدليل القراءة الشاذة

فيما ذكره ابن خالويه لتنذر بالتأني^(٢).

قوله: ((يوم التلاق)) فيها قراءتان قرأ ابن كثير ويعقوب بإثبات الياء في الوقف

والوصل وغيرهما بالحدف.^(٣)

((والتلاق)) من اللقيا يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض ويقال يوم يلتقي

الخالق والمخلوق قاله ابن عباس وبه قال قتاده. وزاد يومهم بارزون لا يسترهم

جبل ولا شيء.^(٤) وقيل غير ذلك. وكلها أقوال لا تخرج عن ما قاله ابن عباس

وقتاده.^(٥)

١. أنظر الأضواء بتصرف: ٢٥٧/٢.

٢. أبو حيان: ٤٥٥/٧.

٣. البدور الزاهرة: ٢٧٦.

٤. تفسير عبد الرزاق مخطوط: ٢٥٤ والطبري: ٢٤/٣٣ وابن كثير: ٢٥/٤.

والدر: ٣٤٨/٥.

٥. انظر ابن الجوزي: ٢١١/٥، والقرطبي: ٢٩٩/١٥ وأبو حيان: ٤٥٥/٧.

ثم بين جل وعلا هذا اليوم ومتى يكون؟ فقال: ((يوم هم بارزون لا يخفي على الله منهم شيء)) ويوم بدل من ((يوم التلاق)) وكلاهما ظرف مستقبل عند غير سيومه لأنه لا يجوز اضافته الى الجملة الاسمية. (١)

وقيل يوم هنا منصوب على الظرفية ((وهم بارزون)) مبتدأ وخبر في موضع خفض بإضافة يوم اليه على أن الظرف هنا بمعنى إذ لأنه لا معنى للشرط فيها ولكونها تضاف الى الفعل والفاعل وإلى المبتدأ والخبر بخلاف إذا فهي ظرف لما يستقبل من الزمان ولا تضاف إلا إلى الفعل والفاعل. (٢)

والمعنى إن ذلك اليوم الذي لا يخفى على الله مما عطوه شيء عند ما يظهرون من تمييزهم لا يسترهم جبل ولا أكمة في أرض بيضاء نقية لا معلم فيها ولا

أثر للسكنى كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ((يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفرًا كقرصه النقي ليس فيها علم لأحد)) وهم حينئذ

((حفاة عراة غرلا)) ((كما بدأ أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين)) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧)

(الأنبياء: ١٠٤). أي كما خلقهم في بطون أمهاتهم فانهم يبعثون يوم التلاق كذلك. ويشد بهم الكرب في ذلك اليوم وينشغل كل بنفسه لا كما تصورت عائشة رضي الله عنها النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم الى بعض فيجيبها صلى

الله عليه وسلم قائلاً: ((الأعرأشد من أن يهتمم ذلك)) (٩)

١. أبو حيان: ٧/٤٥٥.

٢. أنظر معاني القرآن للأخفش: ٢/٤٦٠-٤٦١ وإعراب القرآن المكي: ٢/٦٢٥.

٣. العفر: بياض ليس بالناصع ولكن كلون الأرض أي بياض الى حموره:

النهاية: ٣/٢٦١-

٤. القرص: الدلك بأطراف الأصابع والأظافر مع صب الماء عليه. قلت: والمراد

هنا أن الأرض صارت كقرص العجين. أنظر النهاية: ٤/٤٠ واللسان: ٧/٧٠.

٥. النقي: يعني الخبز الحواري. النهاية: ٥/١١٢.

٦. العلم والمعلم: ما جعل علامه للطرق والحدود مثل أعلام الحرم ومعالمه

الضرورية عليه وقيل المعلم: الأثر. النهاية: ٣/٢٩٢.

٧. مسلم: ٤/٢١٥ ح ٢٧٩٠.

٨. البخاري: ١٤/١٧٦.

٩. البخاري: ٩/٢٥٥، مسلم: ٤/٢١٩٤ ح ٢٨٦٠ أحمد: ٦/٥٣.

الترمذي: ٩/٧ ح ٢٢١٥ جميعهم عن ابن عباس.

وفي رواية: ((الأمر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض))^(١) ولا يسع المقام لسرد اخبار ذلك اليوم الذي يعرض فيه الخلائق على ربهم لفصل القضاء بينهم متجردين عن كل سند وعون متكرين للقربة والمودة من أهوال ذلك اليوم الذي يجتمع الخلق فيه: ((إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين . يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون . إلا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم)) (الدخان : ٤٠-٤٢) قوله: ((لمن الملك اليوم)) ؟ . يقول ذلك رب العزه والجلال حال انكشافهم وبروزهم ((يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية)) (الحاقة : ١٨) .

في ذلك اليوم الذي تكون الأرض قبضته والسموات مطويات بيمينه ((يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ويرزوا لله الواحد القهار)) (إبراهيم : ٤٨) .
عند ما يسأل جل وعلا وهو أعلم: عن المتكبرين والطغاة والظلمة كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريره عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ؟))^(٢)

وكذا مارواه ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم وفيه ((يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول : أنا الملك . أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟))^(٣) ونحو هذا حديث ابن مسعود وفيه سؤال الحبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن امساكه جل وعلا للسموات يوم القيامة على أصبع
الحديث وتصديقه للحبر ثم قرأ : ((وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)) (الزمر : ٦٧)^(٤)
وعلى هذا يكون هو السائل والمجيب جل وعلا قاله : ابن عباس وهو قول الحسن ومحمد ابن كعب القرظي قاله القرظي في التذكرة وقال : ((ان المقصود اظهار انفرادة تعالى بالملك عند انقطاع دعوى المدعين وانتساب المنتسبين اذ قد ذهب كل ملك وملكه وكل جبار ومتكبر وملكه . . .))^(٥) وبه قال أغلب المفسرين كالطبري وابن كثير . وذكر ابن حجر : ما نقله أحمد بن مسلمه عن اسحاق بن راهويه قال : صح

١ . مسلم : ٤ / ٢١٩٤ ح ٢٨٥٩ .

٢ . البخاري : ١٠ / ١٧١ . مسلم : ٤ / ٢١٤٨ ح ٢٧٨٧ .

ابن ماجه : ١ / ٦٨ - ٦٩ ح ١٩٢ .

٣ . مسلم : ٤ / ٢١٤٨ ح ٢٧٨٨ . أبو داود : ٥ / ١٠٠ ح ٤٧٢٢ .

٤ . التذكرة : ١ / ٢١١ - ٢١٢ وتفسير القرظي : ١٥ / ٣٠١ .

٥ . الطبري : ٢٧ / ٣٤ وابن كثير : ٤ / ٦٤٠٠٧٥ .

أن الله يقول بعد فناء خلقه ((لمن الملك اليوم)) ؟ فلا يجيبه أحد فيقول لنفسه لله الواحد القهار^(١).

وقيل أن المنادي ينادي بعد الحشر عباده على أرض بيضاء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد لم يعص الله فيها قاتلاً أيها الناس أتتكم الساعة ومد بها صوته يسمعه الأحياء والأموات وينزل الله إلى السماء الدنيا ثم ينادي مناد ((لمن الملك اليوم)) ؟ فيجيبه العباد ((لله الواحد القهار)) روي هذا عن ابن مسعود^(٢) . ونحوه عن أبي سعيد رضي الله عنهم^(٣) .
وقيل يجيب نفسه والخلائق سكوت قاله عطاء^(٤) .

قلت: والذي أراه والله أعلم ما ذهب إليه ابن مسعود ومن وافقه أن المنادي ينادي وهم أحياء بعد البعث كما تقدم بيانه ((لمن الملك اليوم)) ؟ فيجيب المؤمنون على سبيل السرور والبهجة ويجيب الكافرون على سبيل الذل والصغار والحسرة والتندامة ((لله الواحد القهار)) . وهو ما ذهب إليه أبو جعفر النحاس قال: والقول الصحيح عن ابن مسعود وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل^(٥) .
وأما ما ذهب إليه ابن عباس بأنه هو السائل والمجيب فلا يلزم منه أن يكون الجميع أحياء غير أن الجميع مطرقتون خوفاً ومهابة لعظم الموقف كما ذهب إلى ذلك عطاء وما ذكره القرطبي من أن المقصود اظهار انفراده... الخ كلامه فإن ذلك لا ينافي كمال قدرته ووحدايته وانفراده بالملك جل وعلا وذهاب كل ملك وملكه وجبروته زال منذ أن فارق الحياة حيث لا ملجأ ولا منجاة لمن الله إلا إليه ((وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً)) (طه: ١١١) قوله: ((لله الواحد القهار))

أي هو المتفرد بالعظمة والجلال والعزة والغلبة قال مجاهد: ((الواحد القهار)) المتفرد بالربوبية الذي يقهر كل شيء فيغلبه ويصرفه لما يشاء كيف يشاء فيحي خلقه إذا شاء ويميتهم إذا شاء لا يغلبه شيء ولا يقهره من قبورهم^(٦) أحياء لموقف القيامة .

- ١ . الفتح: ١٧/١٣٨ .
- ٢ . التذكرة: ١/٢١٢ وأبو حيان: ٧/٤٥٦ .
- ٣ . الدر: ٥/٣٤٨ .
- ٤ . ابن الجوزي: ٥/٢١٢ .
- ٥ . التذكرة: ١/٢١٢ .
- ٦ . الطبري: ١٣/١٦٧ .

قوله : ((اليوم تجزى كل نفس بماكسبت لا ظلم اليوم))

أي في ذلك اليوم الذي مريبان شيء منه في عرصات القيامة ((يوم يقوم الناس لرب العالمين)) (المطففين : ٦) وتنصب الموازين وتوضع الكتب ويوفى العامل أجر عمله وماكسبت يده إن خيرا فخير وإن شرا فشر ((من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون)) (الانعام : ١٦٠) يوم توفى الأعمال لأهلها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلو من إلا نفسه . ((يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين)) (النور : ٢٥) .

((لا ظلم اليوم))

أي والشأن في هذا اليوم ألا ظلم فيه ولا هضم لأحد من حقه وأن الظلم المعهود بين الخلق فيما بينهم في الدنيا قد انتهى بانتهايمهم . بل في ذلك يكون العدل والمساواة والمقاصه حتى اللطمه فيما بين العباد في الدنيا حيث ينادى بذلك كما في حديث القصاص المشهور الذي يرويه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه (يناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك الذي لا ينفي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا أحد من أهل النار أن يدخل النار وعندة مظلمه حتى أقصه منها حتى اللطمه . قلنا : كيف؟ وإنما تأتي لله غرلا بهما . قال : بالحسنات والسيئات وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اليوم تجزى كل نفس بماكسبت)) (١) الآيه (٢))

أتى يكون الظلم حينئذ والحاله هذه؟ بل هو منزله عنه في ذلك اليوم وكل يوم غير أنه جيء به هنا لتأكيد عدله وامكانية وقوع الظلم في الدنيا . إن نفيه للظلم عن نفسه جل وعلا في مواضع من كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

١ . البهم : جمع بهيم وهو في الأصل الذي لا يخالط لونه لون سواه . يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض التي تكون في الدنيا كالعمى والعمور والعرج وغير ذلك ، وإنما هي أجساد صححه لخلود الأبدان في الجنة والنار . وقال : بعضهم وما البهم؟ قال : ليس معهم شيء . يعني من أعراض الدنيا . النهاية : ١ / ١٦٧ .

٢ . أحمد : ٣ / ٤٩٥ والحاكم في مستدركه وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه

الذهبي : ٢ / ٤٣٨ ، الدر : ٥ / ٣٤٨ .

كما في هذه الآية وسؤاله وهو أعلم ((لمن الملك اليوم)) ؟ قبل ذلك مع أن الملك ملكه في كل الأوقات ونفيه للشفاعة إلا لمن رضي من عباده وغير هذا من الأمور التي قد يحصل شيء منها في الدنيا . ويستحيل شيء من ذلك في هذا الموقف بعد أن كانت ممكنة قبله ليعلم الكفرة والملحدون الذين يحادون الله ورسوله أن مثل هذه الأعراض ماهي إلا ((كسر اب ببقية يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا)) (النور : ٣٩) . وسرعان ما تزول بزوالهم ليزداد الذين آمنوا إيمانا بربهم وبهذا اليوم الذي وعدهم الله ومع نفيه جل وعلا للظلم عن نفسه تنزهه عن ذلك فقد قيس بعباده في ذلك من بغض الطوائف الضالة من جبريه وقدرية وغيرهم فكيف يليق أن يقيسوا الخالق على المخلوق وأن يقولوا ((ما كان من بني آدم ظلما وقيحا يكون منه ظلما وقيحا^(١))) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا كيف يكون ذلك ؟ وهو الذي ينصب ميزان العدل ليوفى كل عامل عمله ((ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبه من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)) (الأنبياء : ٤٧) كيف يقاس على خلقه تعالى الله عن ذلك وقد نفى الظلم عن نفسه في مواطن كثيرة من كتابه ؟ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من مثل قوله تعالى ((ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما)) (طه : ١١٢) . والهضم هو النقص من حسناتهم . والظلم بأن يزداد في سيئاتهم فهم حينئذ لا يظلمون ولا يهضمون بزيادة في السيئات ولا نقص من الحسنات . هكذا فسرها السلف كابن عباس وقتاده ومجاهد والحسن وغيرهم^(٢) . ((ولا تزر وازره وزر أخرى)) (الاسراء : ١٥) . ونحو ذلك حديث أبي ذر المشهور والذي يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه وفيه : ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا . . . الحديث))^(٣)

قوله : ((ان الله سريع الحساب)) لما كان الموقف فيه من الخلق ما لا يعلمه إلا الله وحتى لا يظن ظان أن الأمر فيه كلفه وأنه يحتاج الى زمن لمحاسبة البشر عقب ذلك ببيان سرعة الحساب وأنه يحاسب الجميع منهم كما يحاسب نفسا واحدة . لكمال قدرته ونفاذ أمره جل وعلا وهو القائل : ((وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر)) (القمر : ٥٠) .

٠١ . انظر الطحاوية : ٤٤٨ - ٤٤٩ والفتاوى لابن تيمية : ٥٠٥ / ٨ - ٥١٠ .

٠٢ . ابن كثير : ١٦٧ / ٢ .

٠٣ . مسلم : ١٩٩٤ / ٤ ح ٢٥٧٧ وأحمد : ١٦٠ / ٥ .

وكما هو الحال في خلقهم وبعثهم ((ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة))
(لقمان : ٢٨) وذكر أنه في ذلك اليوم لا ينتصف النهار حتى يقيل أهل
الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقد فرغ من حسابهم والقضاء بينهم^(١)
وفي هذه الآية دليل على أنه جل وعلا هو الذي يخلق أفعال عباده وأن
الفعل منهم يوجب الطاعة والمعصية ((لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت))
(البقرة : ٢٨٦) .

وكل ذلك بمشيئة الله وقدرته ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن . ((وما تشاؤون الا
أن يشاء الله)) (الانسان : ٣٠) .

خلاف ما ذهبت اليه القدرية والجبرية . فالقدرية من المعتزلة قالوا ان جميع
أفعال العباد الاختيارية لا تعلق لها بخلق الله وأن العباد يخلقون
أفعال أنفسهم واستدلوا بقوله تعالى : ((فتبارك الله أحسن الخالقين))
(المؤمنون : ١٤) . وقالوا : ان الجزاء مرتب على العمل ترتيب عوض وأستدلوا
بما شابه هذه الآية من كتابه ((اليوم تجزى كل نفس بما كسبت)) .

فالباء في هذه الآية وما شابهها للسبب كقوله : ((جزاء بما كانوا يعملون))
(السجدة : ١٧) .

والجبرية على العكس منهم فقالوا : إن العباد مجبورون على أفعالهم
وأن هذه الأفعال منهم اضطرارية لا إراديه كحركة المرتعش وهبوب الريح
ولكنها أضيفت إلى الخلق على سبيل المجاز مستدلين بآيات من كتاب الله
ظنوا أنها دليل لمذهبهم الفاسد من مثل قوله تعالى : ((وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى)) (الانفال : ١٧) . فقالوا : نفى الله في هذه الآية
الرمي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأثبت ذلك لنفسه فتبين أنه لا صنع
ولا ارادة للعبد .

وأما الجزاء فهم على العكس من القدرية فقالوا : ان الجزاء غير مرتب على العمل
واستدلوا بقوله : صلى الله عليه وسلم ((ان ينجى أحدا منكم عملته)) . . .
الحديث^(٢) .

١ . الطبري : ٢٤ / ٢٤ ، والكشاف : ٣ / ٤٢٠ .

٢ . سلم : ٤ / ٢١٦٩ ح ٢٨١٦ .

أما ما ذهب إليه القدرية من القول بخلق العباد لأفعالهم مستدلين بقوله تعالى :
((فتبارك الله أحسن الخالقين)) فان الخلق الأصل فيه التقدير ويطلق في
اللغة ويراد به معنيان :

- ١ . الخلق بمعنى الابداع على غير مثال سابق وهذا لا يكون الا لله .
 - ٢ . الخلق بمعنى التقدير والتصوير وهو المراد بآيتنا هذه فيكون المعنى فتبارك
الله أحسن المقدرين المصورين .^(١)
- وتدخل أفعال العباد في عموم قوله تعالى : ((الله خالق كل شيء)) (الرعد : ١٦ ،
الزمر : ٦٢) .

أما ما ذهب إليه الجبرية وأنه لا صنع للعبد في أفعاله وان حركاته لا اراديه
مستدلين بتلك الآيه أو ما شابهها في المعنى المراد على زعمهم من مثل
قوله تعالى : ((ليس لك من الأمر شيء)) (آل عمران : ١٢٨) . فليس المراد
من الله جل وعلا أن يكون فعل الرسول بالرمي هو فعله هو كما خيل للجبرية
فيطرد على كلامهم هذا تعالى الله عن ذلك أن يقال : وما صمت اذ صممت
ولكن الله صام وما زنت اذ زنت ولكن الله زنى . . . الخ وهذا فيه كفر والحاد
لا يليق بجلال الله وعظمته ولكن المراد أنه صلى الله عليه وسلم في بدر ما هم
بالتراب ومعلوم أن قدرته لا تستطيع أن توصل هذه القيضة لتعم الجميع
وتصيهم إنما أوصلها الله اليهم بكمال قدرته وقيوميته فيكون المعنى
وما أصبت اذ حذفت ولكن الله أصاب . فنفى عنه الاصابه للجميع ولم ينفي
عنه الرمي ابتداءً . والله أعلم .^(٢)

أما ما ذهب إليه هذه الفرق في الجزاء فقد ضلوا الطريق السوي . لأن البناء
التي في النفي غير الباء التي في الاثبات فالنفي في قوله صلى الله عليه وسلم
((لن يدخل الجنة أحد بعمله)) للعبوس أي لا يظن ظان أن دخوله الجنة معاوضة
له عن عمله كالثمن له كما هو مذهب المعتزلة ولكن دخوله للجنة رحمة منه جل
وعلا وما ورد في هذه الآيه من أن الباء للسببية وكذا غيرها من الآيات في قوله :
((بما كسبت)) أي بسبب أعمالكم . فالهداية لهذه الأعمال والأخلص فيها وقبولها
منكم وثباتكم عليها توفيق منه جل وعلا فإن الأسباب والمسببات من ايجاده وقدرته
وفعله جل وعلا . فهو يدخل الجنة من يشاء برحمته وفضله وكرمه ويدخل النار من تمرد
عليه وعصاه وكفر به بعد له وحكمته وعلمه ((لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)) (الأنبياء : ٣٣)^(٣)

١ . أنظر الراغب : ١٥٧ واللسان : ١٠٠ / ٨٥ .
٢ . الفتاوى لابن تيمية : ٢ / ٣٣١ - ٣٣٢ بتصرف .
٣ . انظر حول هذا المبحث شرح الطحاوية : ص ٤٣٦ - ٤٣٩
والنووي على مسلم : ١٧ / ١٥٩ - ١٦١ .

قال تعالى :
وَأَنْذِرْهُمْ بِمَا الْآرِثَةُ إِذِ الْقُلُوبِ
لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَالٍ لِّلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ
يُطَاعُ ﴿١٨٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٨٩﴾
وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
بِشَيْءٍ إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٩٠﴾

مناسبة الآيات لما قبلها :

بعد أن بين جل وعلا لعبادة شيئا من دلائل قدرته وعلامات وحدانيته وبعض صفاته جل وعلا التي تدل على الرفعة وعلو القدر مما يوجب على العبد اخلاص العبادته له وحده .
وكون الخلائق يبرزون له يوم القيامة فيجازي المحسن لاحسانه والمسيء لاساءته .
يستطرد السياق في توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانذار قومه قرب هذا اليوم الذي توعدهم به ربهم فيقضى فيهم بالحق ((ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)) (البقرة : ٢٨١) .

معاني المفردات :

- أزف : بمعنى قرب الوقت وضاق .^(١)
الظم : مخرج النفس . والمراد كونهم محزونين يتردد الغيظ في أجوانهم .^(٢)
الشفيع : هو الشافع والجمع شفعاء وهو الطالب لغيره ينتفع به الى المطلوب .^(٣)
الحميم : هو القريب الذي يهك أمره .
الخائنه : ما يخون فيه المرء بمسارقه النظر الى ما لا يحل أو أن ينظر نظرة بريية .^(٤)
الصدور : المراد بها القلوب .
القضاء : الفصل في الأمر قولا كان أو فعلا .^(٥)

- ١ . الراغب : ٣١٧ .
- ٢ . اللسان : ١٢ / ٥٢٠ .
- ٣ . الصدر السابق : ٧ / ١٨٤ .
- ٤ . البصائر : ٢ / ٥٨٢ .
- ٥ . الراغب : ٤٠٦ .

الشرح :

قوله : ((وانذرهم يوم الآزفة))

أي أنذر قومك يا محمد وخوفهم ذلك اليوم الموعود الذي قرب وقوعه . والآزفة اسم من أسماء القيامة قاله جماعة من السلف كابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد^(١) . ومنه قوله : ((اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون)) (الأنبياء : ١) . وكذلك قوله : ((اقتربت الساعة وانشق القمر)) (القمر : ١) . وكذلك قوله تعالى جواباً لأهل مكة عند استعجالهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ((أتى أمر الله فلا تستعجلوه)) (النحل : ١) .
وعبر عن قرب قيام الساعة في آيات كثيرة من كتابه بالماضي لتحقق وقوعه ومن ذلك قوله : ((أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفه)) (النجم : ٥٨) . أي قربت ودنت ومنه قول النابغة :

أفد^(٢) الترحل غير أن ركابنا لما تنزل برحالنا وكان قد^(٣) .

هذا اليوم الرهيب أهواله ينقلب فيه نظام الكون كله علويه وسفليه تكشف فيه سماؤه وتندك فيه جباله وتتهاوى نجومه وتسجر بحاره وتعطل عشاره وتحشسر وحوشه وتبعثر قبوره يخفض فيه أقوام ويرفع آخرون وعند ذلك تقف القلوب لدى الحناجر مكروبه مغمومه من الهم والهلع فلا هي الى الخروج فيستراح منها ولا الى النزول فيهدأ حال صاحبها ولكنه كرب فوق كرب .
قال قتادة : تقف القلوب في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود الى أماكنها .

- ١ . الطبري : ٣٤ / ٢٧ - ٣٥ وابن كثير : ٧٦ / ٤ والدر : ٣٤٩ / ٥ .
- ٢ . روى البيت بأزف بدل أفد كما هو في الشواهد عند كثير من أهل التفسير واللغة والمعنى بين أزف وأفد متقارب . أنظر الرازي : ٤٩ / ٢٧ والقرطبي : ٣٢ / ١٥ . واللسان : ٧٤ / ٣ وشرح ابن عقيل : ١٩ / ١ .
- ٣ . انظر ديوان النابغة ص ١٠٥ .

وقال: بذلك غير واحد من السلف كعكرمه والسدي^(١). وقيل المراد بالكظم السكوت حيث لا حركة ولا كلام^(٢) ((إلا لمن أذن له الرحمن وقال صوابا)) (النبا: ٣٨).
 وقيل باكين قاله: ابن جريج. قلت: كل هذه المعاني متقاربة وحاصله لكل البشر في هذا الموقف المهيب ((إلا من رحم ربك)) فالمؤمن يخاف من الهلكة على نفسه إن حوسب بعمله دون فضل الله عليه ورحمته. فيكون مكروبا مهموما قبل أن يعطى نتيجة الحساب ويأخذ كتابه بيمينه ويقول حين ينجو من الفضيحة فيه إني كنت أعلم موقنا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة ((اني ظننت اني ملاق حسابه)) (الحاقة: ٢٠). وأما الكافر والمنافق فكيف لا يجتمع لهم كل هذه الأمور من هم وهم وكاء وغيره إذ هم يعلمون الآن عين اليقين تحقق ما كانوا يوعدون به عن طريق رسلهم في الدنيا عند الحديث عن هذا اليوم ((ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين)) (المؤمنون: ٣٧).
 ويعلن فيهم على رؤوس الأشهاد تشهيرا بهم ((ألا لعنة الله على الظالمين)) (هود: ١٨). وقيل: أن المراد بيوم الآزفة هو حضور المنية لكل فرد يعينه لأنه سبق الانذار به انذارا عن وصف يوم القيامة حال بروز العباد وحال سؤال الرب لهم وكل ذلك أوصاف ليوم القيامة فصح أن يكون المراد بهذا اليوم القيامة الصغرى لأن المرء قد يعاني فيه من سكرات الموت مما يجعله يتمنى مفارقة الحياة لقوله تعالى: ((وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)) (ق: ١٩) ولما روته عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه وفيه: ((إن للموت سكرات^(٤))) وعلى هذا تكون القلوب هنا بمعنى النفوس^(٥). وقيل يجوز أن يراد بذلك حاله مشارفه الكفار على النار لدخولها ترتفع قلوبهم الى حناجرهم.^(٦)

- ١ . تفسير عبد الرازق بمخطوط: ٢٥٤، الطبري: ٢٧/٣٥ وابن كثير: ٤/٧٦.
- ٢ . ابن كثير: ٤/٧٦.
- ٣ . البخاري: ١٤/١٤٩.
- ٤ . ابن الجوزي: ٥/٢١٣ وانظر الرازي: ٢٤/٢٩ وأبو حيان: ٧/٤٥٦.
- ٥ . الكشاف: ٣/٤٢٠ والرازي: ٢٤/٢٩.

قلت والمختار ما ذهب اليه السلف من أن المراد بالآزفة يوم القيامة عندما يعرض الجميع للحساب ولما ذكر في هذا اليوم من نفي الشفاعة عن الظالمين من الكفرة والمشركين دون غيرهم من المؤمنين . وإن تكررت بعض صفات هذا اليوم قبل ذلك فإن هذا بيان لشيء مما يحدث فيه من أهوال .

وانتصاب كاظمين هنا على الحال إما من القلوب فيكون المعنى أن القلوب كاظمة على غم و كرب بلغ معه الحناجر وخوطبت خطاب من يعقل نظير إطلاق الخضوع على الأعناق مع أنه من أفعال العقلاء في مثل قوله تعالى : ((فظلت أعناقهم لها خاضعين)) (الشعراء : ٤) أو يكون حال من أصحاب القلوب على المعنى إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها .^(١)

قوله : ((ما للظالمين من شفيع ولا حميم يطاع))

في هذا اليوم بيان لمصير أعداء الله من الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمحاده لله ورسله حيث ينتفي عنهم في هذا الموقف الشفعاء والأنداد والأحابيب وتتقطع بهم الأسباب ويعلن البراء بينهم ((إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب)) (البقره : ١٦٦) . وينادي الأتباع متبوعهم الذين أشركوهم في عبادة الله فلا يستجيبون لهم ((ويوم يقبـول نادوا شركائهم الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا)) (الكهف : ٥٢) .

وهذه الآية من أدلة المعتزلة على نفي الشفاعة عن المذنبين من العصاة لأن الشفاعة عندهم لا تكون إلا في زيادة الثواب والأجر حيث يقول الزمخشري وهو عمدة في المذهب : ((ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)) (الأنبياء : ٢٨) .
ولأن الشفاعة لا تكون إلا في زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته إنما هم أهل الثواب . . .))^(١) قال شارح الطحاوية : ((وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة أي رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم وخالفوا فيما عداها مع تواتر الأحاديث فيها))^(٢) .
وذكر القرطبي في التذكرة عن القاضي عياض في معرض ذكره لأنواع شفاعاته صلى الله عليه وسلم ومن ذلك شفاعته لمن استوجب النار من أمته في عدم دخولها قال : ((وهذه الشفاعة التي أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة فمنعتها على أصولهم الفاسده وهي الإستحقاق العقلي الصنعي على التحسين والتقيح))^(٣) قال القرطبي : ((وإذا منعوا الشفاعة فيمن استوجب النار بذنبه وإن لم يدخلها فأحرى أن يمنعوها فيمن دخلها))^(٤) .
وعليه يتبين أن المعتزلة تثبت نوعين من الشفاعة : الشفاعة العامة لرسولنا صلى الله عليه وسلم في الإراحة من الكرب . والشفاعة في رفع الدرجات وتنكير ما سوى ذلك من أنواع الشفاعة^(٥) . قلت وأما الآية هذه فلا دليل لهم فيها لنفي الشفاعة لأن المراد بالظالمين هم المشركون ومن حقت عليه كلمة العذاب لأنه سبق الحديث عن مجادلتهم في آيات الله وكفرهم وعليه فلا شفاعة لهم باتفاق . وأما إذا كانت الآية عامة فليس فيها ما ينفي الشفاعة ولكن النفي منصب عن كون الشافع غير مطاع كما تقول ما عندي قلم يباع فليس فيه نفي وجود القلم أصلاً وإنما المنفي ببيعه^(٦) .

١ . الكشاف : ٣ / ٤٢١ .

٢ . الطحاوية : ٢٣٢ .

٣ . ٤ التذكرة : ٣٠١ .

٥ . عقيدة التوحيد لابن حجر : ٦٥٨ .

٦ . الرازي : ٢٧ / ٥٠ - ٥١ .

قوله تعالى : ((يعلم خائنة الأعين))

في هذه الآية بيان إحاطة علمه جل وعلا لخلقه ليعلم العبد بأنه يعلم منه الظاهر والباطن فيحسن العمل ويصدق النية مع ربه فيراقبه في حركاته وسكناته كأنه يراه حتى النظرة التي ينظرها الى محرم ويوهم الناس النزاهة فيها مستخفيا منهم غير مستخف عن الله فليعلم من هذه حاله أن الله يعلم ذلك كله وما تنطوي عليه تلك النظرة من خير أو شر .

قال ابن عباس : ((يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)) قال : ((الرجل يكون في القوم تمر بهم المرأة فيريهم أنه يفض بصره عنها وإذا غفلوا لحظ اليها وإذا نظروا غض بصره عنها وقد اطلع الله من قلبه أنه ود أنبسه ينظر الى عورتها)) وذكر سعيد بن جبير عنه قوله : ((يعلم خائنة الأعين إذا نظرت تريد الخيانة أم لا . وما تخفي الصدور إذا قدرت عليها أتزني بها أم لا .)) وذكر نحو هذا مجاهد وقتادة .^(١)^(٢)

قوله تعالى : ((وما تخفي الصدور))

في ذلك تقرير لعلمه جل وعلا بما يترتب على تلك النظرة من خطرات القلب ووساوسه هل هي من النظر المحرم المنهي عنه أم هي من نظر الفجاءة المعفو عنه كما ورد في الأثر عنه صلى الله عليه وسلم واخباره لعلي بن أبي طالب بقوله : ((يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الأولى وليست لك الآخرة))^(٣) قال الفراء : ((وقوله يعلم خائنة الأعين في النظرة الثانية وما تخفي الصدور في النظرة الأولى فان كانت النظرة الأولى تعمدا كان فيها الاثم أيضا وان لم يكن تعمدا فهي مغفورة .))^(٤)

٢٠١ الطبري : ٢٤ / ٢٥ - ٣٦ . وابن كثير : ٤ / ٧٦ وابن الجوزي : ٣١٢

والدر : ٥ / ٣٤٩ .

٠٣ أبو داود : ٣ / ٦١٠ - ح - ٢١٤٩ والترمذي : ٨ / ٦٠ - ح - ٢٩٢٧ .

٠٤ معاني القرآن للفراء : ٣ / ٧ .

فاذا كان مجرد الايماء بالعين خيانة فكيف بما سوى ذلك من أنواع المعاصي كما يتبين من كلامه صلى الله عليه وسلم عندما أهدر دم أربعة من أهل الكفر فى يوم فتح مكة وكان منهم عبد الله ابن أبى السرح الذي أهدر دمه ولو كان معلقا بأستار الكعبة . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة وكان عبد الله قد أختبأ عند عثمان وطلب من الرسول مبايعته . فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يأبى مبايعته ثم بايعه ثم أقبل على أصحابه فقال : ((أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رأي كفت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومأت الينا بعينك فقال انه لا ينفي لنبي أن يكون له خائنة الأعين ^(١)))

قوله تعالى : ((والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير)) قرأ نافع وهشام بالتاء ((تدعون)) بدل ((يدعون)) ^(٢) وفي هذه الآية يبين جل وعلا عدله وحكمه بين عباده في أفعاله التي يقضيها بينهم متحكما بالمدعومين بالعبادة دونه جل وعلا من الأوثان والأنداد وأنه لا حول ولا طول لهم ويعرض بهم أيضا بأنه لا سمع لهم ولا بصر ومن هذه حاله فلا يقضى بشيء دونه جل وعلا فهو البصير بأحوال عباده وأعمالهم لا يخفى عليه شيء منها فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بإساءته . قال ابن عباس : ((يقضى بالحق)) أي قادر على أن يجزي بالحسنة أو بالسيئة ^(٣) وذلك يدل عليه قوله تعالى : ((ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى)) (النجم : ٣١)

١ . أبوداود : ١٣٣/٣ - ح - ٢٦٨٣ . النسائي : ١٠٥/٧ - ١٠٦ .

٢ . الغاية : ٢٥٣ . البدور الزاهرة : ٢٧٧ .

٣ . الطبري : ٣٥/٢٤ وابن كثير : ٧٦/٤ والدر : ٣٤٩/٥ .

قال تعالى :

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
 بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ
 قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾

مناسبة الآيات لما قبلها :

بعد أن بين جل وعلا ما يكون في يوم القيامة من كرب وشدة وأهوال وما أذرب به عباده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وتحقق قرب وقوعه وعلمه المحيط بهم وعدله فيهم دون آلهتهم التي لا تعقل أنكر عليهم عدم اتعاضهم بمن سبق لهم من الأمم المكذبة لرسول ربها وفي ذلك إيحاء لهؤلاء المجادلين من مشركي مكة للنظر والاعتبار.

وكما قال سيد قطب رحمه الله : ((هذا المعبر بين قصة موسى عليه السلام وموضوع السورة قبلها يذكر المجادلين في آيات الله من مشركي العرب بعبارة التاريخ قبلهم ويوجههم الى السير في الأرض ورؤية مصارع الفابرين الذين وقفوا موقفهم . وكانوا أشد منهم قوة وأثارا في الأرض ولكنهم مع هذه القوة والعمارة كانوا ضعافا أمام بأس الله وكانت ذنوبهم تعزلهم وما كان لهم من الله من واقٍ . . .)) (١)

معاني المفردات :

الأثر للشيء : هو حصول ما يدل على وجوده .
 العاقبة : المال والمرجع .

الشرح :

قوله تعالى : ((أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وأثارا في الأرض)) استفهام تقريرى يتوصل

به الى انكار عدم اتعاطهم بتقلبهم في البلاد وأسفارهم وما بلغهم عن تلك
الأمم التي كذبت رسل ربها وكيف أهلكهم بذنوبهم ((فأصبحوا لا يرى الا
مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين)) (الأحقاف : ٢٥) .

مع أن هذه الأمم تفوق قومك عددا وعده وما بقي من آثارهم من الحصون والقصور
ما لا يقوى عليه قومك مما مكنهم الله فيه من القوة واليأس والشده من اتخاذهم
من السهول قصورا ومن الجبال بيوتا كما قال تعالى : ((وكانوا ينحتون من
الجبال بيوتا آمنين)) (الحجر : ٨٢) . ومع كل هذه القوة وهذه الامكانيات
التي منحهم الله لم تغني من بأس الله شيئا وأخذهم أخذ عزيز مقتدر
قوله : ((وما كان لهم من الله من واق))

أي لم يكن لهم ناصر ينصرهم من دونه ويمنعهم ما حل بهم من بأس الله الذي
لا يرد عن القوم المجرمين قال قتاده : ((ما كان لهم من الله من واق))
(١)
((أي يغنيهم ولا ينفعهم))

(٢)
وفي قوله تعالى : ((أشد منهم)) قراءتان فقرأ ابن عامر بالكاف بدل الهاء .
وذلك من الغيبة الى الخطاب لأهل مكة ((أي أشد منكم)) وأما على قراءة
الباقيين فهي على لفظ الغيبة لموافقة ما قبله من ألفاظ الغيبة .

قوله : ((ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا))
وذلك إشارة إلى العذاب الذي أصيبت به تلك الأمم المكذبة برسول ربها
بعد أن جاءتهم الدلائل والبينات الواضحة على توحيدهم جل وعلا بالعبادة
وأستحقاقه لها دون غيره وعدم ايمانهم وترددهم في قبولها هو علة اهلاكهم
قوله : ((إنه قوي شديد العقاب))

أي ذو قوة عظيمة ومطش شديد قادر على اهلاك المشركين من أهل مكة
كما أهلك من هو أشد بطشا وقوة من الأمم السابقة لهم فعذابه شديد مؤلم
لمن كذب به ورسوله من الأولين والآخرين نسأله الثبات على الحق في الأولى
والآخرة .

١ . تفسير عبد الرزاق مخطوط : ٢٥٤ والطبرى : ٣٦ / ٢٤ .

٢ . انظر الغاية ص ٢٥٣ والتبصرة : ٦٦٢ .

من أسرار التكرار في القرآن كقصة موسى وفرعون :

وبعد أن عرضت الآيات السابقة لبعض قصص الأمم المكذبة لرسول ربها ومالحق بهذه الأمم من الخزي والعار في الدنيا قبل الآخرة لقاء تكذيبهم بآيات الله ورسله ليكون في ذلك العبرة والعظة للمكذبين من بعدهم .

أن يصيبهم ما أصاب تلك الأمم وذلك مقصد من مقاصد التنزيل الكريم في تثنية مثل هذا القصة ((لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)) (يوسف : ١١١) .

وفي ذلك القصة الثبات والهدى لمن آمن به ورسله ((وليعلم الله ممن ينصره ورسله بالغيب)) (الحديد : ٢٥) .

قال القاسمي : ((وفائدة تكريره القصة تطرئة المواعظ وتشديد هذا لأن منها ما يحث على الطاعة والایمان ، ومنها ما يزرع عن الكفر والعصيان^(١) ولكي يُعَلِّم رسوله صلى الله عليه وسلم أن هذا شأن الرسالات قبله وشأن الأمم معها فيكون في ذلك الثبات له على الحق والعظة والعبرة لأمته قال تعالى : ((وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين)) (هود : ١٢٠) .

وفي سورتنا هذه يبين جل وعلا الصراع الذي دار بين الكفر والایمان بين الهدى والضلال بين أكفر خلق الله فرعون وأتباعه من جهة وموسى عليه السلام من جهة أخرى .

١ . محاسن التأويل للقاسمي : ٢٥٧/١ .

٢ . فرعون : إسم أعجمي ممنوع من الصرف وهو اسم لكل من ملك مصر وأصبح وصفا لكل ظالم كفرعون موسى وأختلف في اسمه فقيل الوليد بن مصعب وقيل ريان بن مصعب وذكر عبد الوهاب النجار في قصص الأنبياء أن اسمه منفتح ابن رمسيس الثاني بناء على الآثار التي وجدت في مصر . وقد خصه القرآن بهذا الوصف حيث سار علماءه وذكر مصرحاً به في أربع وسبعين موضعاً من كتاب الله . أنظر نهاية الأرب للنويري : ١٢٣/١٢ والكامل : ٩٥/١ والبصائر : ٦٩/٦ . قصص الأنبياء للنجار : ص ٢٠٣ .

تكرار القصص عن فرعون :

تكرر القصص عنه في مواضع متعددة من كتابه مجملته تارة ومفصلة أخرى لكون ذلك من أعظم قصص القرآن لما فيه من العبرة والعظة ولما في ذكره من التسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتشبيته لما يواجهه في سبيل دعوته من صعاب وعقبات. لأن كفر فرعون أشد فظاعمة من كفر قومه لزعمه الألوهية والربوبية من دون الله في مثل قوله تعالى : ((أنا ربكم الأعلى)) (النازعات ٢٤) ومع ذلك صبر موسى على دعوته ومحاجته فنصره الله عليه وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا وأهلكه وقومه وجعله عبرة لكل ظالم وكافر ومعاند ((فالיום ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)) (يونس ٩٢) .

ويذكر ابن تيمية رحمه الله حول كثرة القصص عن فرعون . قوله : ((والله شئى قصة فرعون في القرآن في غير موضع لا احتياج الناس إلى الإعتبار بها فإنه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والألوهية والعلو ما لم يحصل مثله لأحد من المعطلين وكانت عاقبته الى ما ذكر الله وليس له صفة يماثله فيها غيره فلهذا لم يجر أن يستعمل في حقه قياس الأولى فإنه سبحانه)) (وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)) (الروم: ٢٧) . فهو أحق من غيره بصفات الكمال وأحق من غيره بالتنزيه عن صفات النقص^(١) .

أما عن تشبيه قصة موسى مع فرعون :

فيذكر القاسمي نقلا عن ابن تيمية قوله : ((وشئى في القرآن قصة موسى مع فرعون لأنها في طرفي نقيض في الحق والباطل فان فرعون في غاية الكفر والباطل حيث كفر بالربوبية وبالرسالة . وموسى في غاية الحق والايان من جهة أن الله كلمه تكليما لم يجعل الله بينه وبينه واسطة من خلقه فهو مشيت لكمسال الرسالة وكمال التعليم ومشت لرب العالمين بما أستحقه من النعوت، وهذا بخلاف أكثر الأنبياء مع الكفار ، فإن الكفار أكثرهم لا يجحدون وجود الله ولم يكن أيضا للرسول من التكليم ما لموسى . فصارت قصة موسى وفرعون من أعظم القصص وأعظمها اعتبارا لأهل الايمان ولأهل الكفر . . .))^(٢)

١ . الفتاوى : ١٣ / ١٦٤ .

٢ . محاسن التأويل للقاسمي : ١ / ١٦٤ .

وذكر في البرهان في معرض بيانه لأسرار التكرار في القرآن مانصه : ((إن القصة الواحدة من هذا القصر كقصة موسى مع فرعون وإن ظن أنها لا تغاير الأخرى فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير وتلك حال المعاني الواقعة بحسب الألفاظ فإن كل واحدة لا بد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها فكأن الله تعالى فرق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء ثم قسم تلك الأجزاء على تارات التكرار لتوجد متفرقة فيها . ولو اجتمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب المتقدمه من انفراد كل قصة منها بموضع . . . وقد كان المشركون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنبياء مع أنواع النظم وبيان وجوه التأليف فعرفهم الله سبحانه وتعالى أن الأمر مما تعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية ولا يقع على كلامه عدد . لقوله تعالى : ((قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)) (الكهف : ١٠٩) .

ثم هذا السياق الذي تعرضه لنا هذه السورة من هذا القصر الحق بدءاً بما يحمله من حجة دامغة وآية بيّنة لتبليغ رسالة ربه والمناظرة التي واجهه بها فرعون وأعدائه ((ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا)) (النمل : ١٤) وماتلى ذلك من جدل بالباطل فخير الرجل المؤمن من آل فرعون ومناصحته لقومه فانتهاه بالعاقبة السيئة لفرعون وقومه وما يعقب ذلك من الخصام والمحاجه في النار ((واذا يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تيعاقهون أنتم مغنون عنا نصيبا من النار)) (غافر : ٤٧) .

١ . البرهان : ٢٧/٣ - ٢٨

٢ . أنظر الظلال : ٣٠٧٧/٥

قال تعالى :
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
 وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَلُمْنَا
 فِقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ
 عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا نِسَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَأَسْتَحْيُوا
 نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٤﴾
 وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٥﴾
 وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
 لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

مناسبة الآيات لما قبلها :

وبعد أن سلى الله رسوله صلى الله عليه وسلم بما قص عليه من خير الأمم
 المكذبة برسالتها وماتلا ذلك التكذيب من عاقبة سـ لاه كذلك بما
 وقع لموسى من قبله وأنه مع ما جاء به من الآيات الدالة على نبوته فقد
 كذبوه ورموه بالسحر والكذب ومع هذا نصره ربه وكذلك أنت لا تعتد
 بما تلقاه من مشركي قومك من صد وتكذيب (١).

معاني المفردات :

- (٢) أرسلنا : الأصل في الإرسال الرفق والتؤدة والانبعاث على مهل .
- السلطان : من السلاطه وهي التمكن والقهر وسمى الحجة سلطاننا
 لما للحق من الهجوم على القلوب. (٣)
- ساحر : السحر الأخذ وكل مالطف مأخذه ودق فهو ساحر وسخره
 بمعنى خدعه. (٤)
- الاستحياء : من الحياه وهو الابقاء على نساءهم أحياء للانتفاع بهن .

١ . الرازي : ٢٤ / ٢٧ وابن كثير : ٧٧ / ٤ .
 ٢ . البصائر : ٦٩ / ٣ .
 ٣ . الراغب : ٢٢٨ .
 ٤ . الصحاح : ٦٧٩ / ٢ .

الكيد : هو الخبث والمكر وهو ضرب من الاحتيال. فيكون مذمومًا وممدوحًا (١)
واستعماله في المذموم أكثر.

الضلال : ضد الهدى وهو العدول عن الطريق الحق .

الفساد : نقيض الصلاح وهو الخروج عن الاعتدال .

قوله : ((ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين))

يبين الحق تعالى ما أرسل به موسى لهذا الطاغية اللعين حتى يؤمن بالله وقومه وعدم قبوله لهذه الرسالة واستكباره عنها ورفضه لها مع كثرة الدلائل العقلية والنقلية الدالة على صدقها ومعابنته لها ومعرفة وجه الدلالة منها كما قال الحق تعالى : ((ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى)) (طه : ٥٦) قوله : ((وسلطان مبين)) المراد بالسلطان هنا الحجج الظاهرة والدلائل البينة التي تقهر القلوب وتلزم الخصم الاذعان لها والتسليم بها .
واختلف في المراد بالسلطان :

فقيل إما أن يراد بها الآيات الدالة على نبوة موسى من المعجزات التي خصه الله بها كالعصا واليد وغيرها من الآيات وعطف السلطان على الآيات من باب التغاير. (٢)

أو يراد بالآيات التوراة مع ما فيها من شرائع واحكام والسلطان المعجزات الباهرة التي أوتيتها موسى (٣)!

وقيل المراد بذلك بعض هذه المعجزات التي عظم شأنها كالعصا واليد وعطف على الآيات للتعظيم والعناية بها كما عطف جبريل وميكايل عليهما السلام على الملائكة في مثل قوله تعالى : ((من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكايل فان الله عدو للكافرين)) (البقرة : ٩٨) فخصهما بالذكر مع دخولهما في عموم الملائكة. (٤)

أو يكون المراد بالسلطان كل المعجزات التي أوتيتها موسى (٥)!

١ . الصحاح : ٥٣٣/٢ . واللسان : ٣٨٣/٢ .

٢ . أبو السعود : ٢٧٣/٧ ، الألوسي : ٦١/٢٤ .

٣ . الرازي : ٥٢/١٧ - ٥٣ .

٤ . أبو السعود : ٢٧٣/٧ ، والألوسي : ٦١/٢٤ .

٥ . الرازي : ٥٢/١٧ - ٥٣ .

(١)

وقيل المراد بالسلطان التوراة .

(٢)

وقيل المراد بالآيات حجج التوحيد وبالسلطان المعجزات الدالة على نبوته .

وكأنني بآبني جرير رحمه الله يحذ هذا فيقول : ((ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا وحجه تبين لمن عاينها وتأملها بقلب صحيح أنها تدل على توحيد الله وكذب كل من أدعى الربوبية دونه . . .))^(٣)

والمختار والله أعلم أن المراد بالآيات في الآيه جميع الآيات الدالة على توحيد وكمال قدرته جل وعلا ما كان منها متصل بالعقيدة أو ما كان مختص بموسى من المعجزات الدالة على نبوته وصدق دعوته وخص بالسلطان من هذه الآيات ما كان منها أعظم وقعاً وأشد أثراً على القلوب كالعصا واليد تعظيماً لشأنهما ولقوة تسلطهما على العقول والقلوب مما دعا السحرة إلى الإيمان به جل وعلا ((وألقي السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون .)) (الأعراف : ١٢٠ - ١٢٢) . وقد سماهما الله كبيرى في قوله تعالى : ((فأراه الآيه الكبرى)) (النازعات : ٢٠) والمراد بذلك العصا واليد كما فسرها جماعة من السلف كمجاهد وقتادة والحسن^(٤) . إذ هما الدليلان القاطعان على كمال قدرته جل وعلا وصحة نبوة موسى عليه السلام الى فرعون وهما المشار اليهما بقوله تعالى : ((فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائته)) (القصص : ٣٢) . ومع كل هذا كذب هذا الطاغية بكل ما جاء به موسى من آيات ودلائل وأبى قبولها والاذعان لها كبرا وعلوا ((ولقد أرينا آياتنا كلها فكذب وأبى)) سواء ما كان منها متصلاً بالعقيدة كالذي جرى بين موسى وفرعون من مناظره في مثل قوله تعالى : ((قال فمن ربكما يا موسى . قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)) (طه ٤٩ - ٥٠) وكذا قوله : ((وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين)) (الشعراء : ٢٣ - ٢٤) أو ما كان منها متصلاً بدلائل نبوته صلى الله عليه وسلم كالعصا واليد .

١ . أنظر تفسير القرطبي : ١٥ / ٣٠٤ .

٢ . تفسير الطبري : ١٢ / ٦٦ .

٤ . الطبري : ٣٠ / ٢٦ والبيهقي : ٤ / ٤٤٤ .

ولقد فسرت هذه الآيات التي بعث بها موسى الى فرعون وقومه في قوله تعالى : ((ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)) (الاسراء : ١٠١) وكذلك قوله : ((وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه)) (النمل : ١٢) .

وبما أن موسى أوتي آيات كثيرة منها ما كان في مصر مع فرعون ومنها ما كان مع بني اسرائيل بعد عبوره .

فقد اختلف العلماء في تعيين هذه الآيات :

فقال جماعه من السلف كابن عباس ومجاهد وقتاده وعكرمه وعطاء والشعبي هذه الآيات هي : اليد والعصا - والسنين - ونقص الثمرات - والطوفان - والجراد والقمل والضفادع والدم وذكر نحو هذا الحسن غير أنه جعل السنين والنقص في الثمرات آية واحدة وجعل العصا آيتين في حالة الالتقاء فاذا هي شعبان مبين والالتقاء الآخر فاذا هي تلفف ما يافكون . وقال محمد بن كعب القرظي : هي الخمس التي في الاعراف . والطمس . والبحر . والسنين . والثمرات واليد والعصا .

وروي عن ابن عباس والضحاك : العصا - واليد البيضاء والعقده التي كانت بلسانه فحلها الله - وفلق البحر - والطوفان - والجراد - والقمل - والضفادع وقال البعض : هن آيات الكتاب . وذلك ما جاء في خبر اليهوديين وسؤالهما الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : ((ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)) (الاسراء : ١٠١) وذلك فيما رواه عبد الله بن سلمه عيين صفوان بن عسال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه : ((لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحرروا ولا تمشوا بالبريء الى سلطان فيقتله ولا تسرقوا ولا تقذفوا محصن ولا تفروا من الزحف - وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبي . . . الحديث)) (٢) (٣)

- ١ . يشير الى قوله تعالى : ((فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات)) (الاعراف : ١٣٣) . والطمس اشاره الى قوله تعالى : ((ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم . . .)) (يونس : ٨٨٤) .
- ٢ . أحمد : ٤ / ٢٣٩ و ٢٤٠ والترمذي : ٧ / ٢٢٥ ح ٢٨٧٧ وقال حديث حسن صحيح .
- ٣ . انظر ما تقدم من خلاف حول تعيين الآيات التسع : الطبري : ١١٤ / ١٥ - ١١٦ والبقوي : ٣ / ١٣٩ - ١٤٠ والقرطبي : ١٠ / ٣٣٥ - ٣٣٦ وابن كثير : ٣ / ٦٧ - ٦٨

وأولي الأقوال في ذلك ما ذهب إليه ابن عباس ومجاهد وقتاده ومن وافقهم من أن المراد بذلك: اليد - والعصا - والسنين - ونقص الثمرات - والطوفان والجراد - والمقمل - والضفادع - والدم .

وقد رجحه ابن كثير وقال عقيب هذا القول : ((وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي))^(١) أما ما قيل سوى ذلك فعلى اعتبار أنها من الآيات التي أوتيتها موسى جملة . غير أن المراد بالتسع هنا تلك التي أوتيتها في مصر مع فرعون وقومه وشاهدوا دلالاتها وغاينوها لتقوم الحجة عليهم ويؤمنوا بها وذلك كله قبل المشهد الأخير من الدعاء عليهم بالطمس والتشديد وما أعقب ذلك من أحداث . فالدعاء بالطمس عليهم لم يكن من موسى إلا بعد أن نفذ صبره وعلم ألا سبيل لهم إلى الهداية فغضب لله . ودعا عليهم بعد أن عرض عليهم آيات نبوته وصدق رسالته فقال : ((ربنا أطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم (يونس: ٨٨) . فأجاب الله دعاءه)) قال قد أجيبت دعوتكما (((يونس: ٨٩) .

وهذه الدعوة من موسى عليه السلام نظير الدعوة من نوح عليه السلام بعد أن أعجزه قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ولم يؤمنوا فقال : ((رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)) (نوح: ٢٦) .

وبعد الطمس يتم المشهد الأخير لنهاية الباطل ففلق البحر لعبور موسى والمؤمنون معه وإهلاك فرعون والظالمين معه .

أما ما ذهب إليه الحسن من جعل السنين ونقص الثمرات آية واحدة فهو قول حسن لأن نقص الثمرات قد يكون مترتبا على نقص المطر وإن لم يكن على إطلاقه لأن المطر قد يكون سببا في إهلاك الزروع والثمار كما هو شاهد ومعلوم . وقد جعلها ابن عباس وهو ترجمان القرآن آيتين فقال : ((ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات)) قال : ((السنين في أهل البوادي - ونقص الثمرات لأهل القرى فهاتان آيتان))^(٢)

أما ما قيل من أنهن آيات الكتاب كما في خبر اليهوديين المتقدم . فلا دليل فيه البتة إذ لا يستقيم أن تكون هذه الوصايا والأحكام فيها الحجج والبراهين لفرعون وقومه .

١ . أنظر تفسير ابن كثير: ٦٧/٣ وقصص الأنبياء لأبن كثير: ٣١٥ .

٢ . أنظر الطبري: ١١٥/١٥ .

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تشركوا . . . الخ الحديث)) كلام مستأنف جاء عقب الجواب عن التسع آيات التي أوتيتها موسى كالعصا واليد . . . الخ ولكن الراوي أغفل ذكرها لكونها معلومه من الكتاب أو غيره كما ذكر السدي في حاشيته على النسائي بعد أن بيّن المعجزات التسع التي أوتيتها موسى عليه السلام فقال: ((وعلى هذا فالجواب في الحديث متروك ذكره الراوي وقوله لا تشركوا . . . الخ كلام مستأنف ذكره عقب الجواب وأما الأحكام العامه شاملة للملة كلها كما جوز ذلك في قوله تعالى: ((ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)) الخ . . . وعلى هذا فالمذكور في الحديث هو الجواب لكن زيد فيه ذكر وعليكم خاصة يهود لزيادة الإفاده^(١))).

وذكر نحو هذا صاحب التحفه على اعتبار أن قوله صلى الله عليه وسلم ((لا تشركوا . . . كلام مستأنف جاء عقب الجواب عن التسع آيات وأدريجه^(٢) الراوي لكونه معلوما قال: ((ويؤيده ما في رواية الترمذي في التفسير)) فسألاه عن قوله تعالى: ((ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)) (الاسراء ١٠١).

قلت ورواية الترمذي هذه نص في تقييد الاطلاق الذي جاء في الروايات الأخرى وفيها ((فسألاه عن تسع آيات بينات)) فعلم أن المراد بالتسع الآيات تلك التي أوتيتها موسى على ما تقدم بيانه . وما ورد في الحديث وصايا وأحكام عامه لكل الشرائع فيستقيم الحديث خلاف ما يراه ابن كثير^(٤) رحمه الله في تفسيره من أنه خبر مشكل وأن هذا من أوهام عبد الله بن سلمه لأن في حفظه شيء وقد تكلموا فيه .^(٥) أقول: وإن تكلم في الراوي فلا اشكال في الحديث ولا وهم على التأويل الذي مر بيانه والله أعلم.

١ . النسائي: ١١١/٧

٢ . ٥٨٠/٨ - ح - ٥١٥٢

٣ . التحفه: ٥٢٦/٧

٤ . ٦٨/٣

٥ . قلت وعبد الله بن سلمه قال فيه ابن حجر: عبد الله بن سلمه بكسر اللام المراد في الكوفي صدوق تغير حفظه من الثاني^٥ أنظر التقريب: ١٧٦ .

قوله تعالى : ((الى فرعون وهامان وقارون))

بعد أن بين جل وعلا ما أرسل به رسوله موسى من الحجج والدلائل القطعية الدالة على توحيده وصدق رسالة رسوله ودعوته لهم وخص من هؤلاء المدعوين طاغيتهم الكبير وبطانته السيئة رؤوس الكفر والاحاد في قومه ووزيري مملكته هامان وزير شئون دولته ومدبر رعيته قبطي ملحد فاجر أغراه منصبه وسلطانه عن الحق واتباعه فأهلكه الله بالفرق مع فرعون وقومه .

وقارون وزير ماليته اسرائيلي من قوم موسى قيل عمه أو ابن عمه لكنه بغى عليه (١) وتجبر وخذعه ماله فتكبر عن الحق ويضرب به المثل لكثرة ماله حتى أن العصابة من الرجال ليصعب عليها حمل مفاتيح خزائن ملكه قال تعالى : ((إن قارون كان من قوم موسى فيغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة)) (القصص ٧٦) . ولكن ذلك لم يغنه عن الله شيئاً فأهلكه الله وماله وخسف به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ((فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان ممن المنتصرين)) (القصص ٨١) .

وقيل : (٢) انه المعنى بالحديث الصحيح المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته اذ خسف الله به فهو يتجلجل الى يوم القيامة)) (٣)

فكفروا ببرهم واتهموا رسوله بالكذب والافتراء والسحر والكهانة ((فلما جاءهم موسى بآياتنا قالوا ما هذا الا سحر مفترى)) (القصص ٣٦) . وطوى السياق في سورة المؤمن هذه كثيراً من الأحداث والصراع بين الحق والباطل بين كلیم الله موسى وفرعون اللعين وقومه اكتفاء بما مر بيانه في مواضع متعددة من كتابه مما يصور تلك الوقائع والاحداث . وتلاشى الباطل واضمحل وعلا الحق وانتصر ((فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون)) (الاعراف : ١١٨)

١ . انظر تفسير البغوي : ٣ / ٤٥٤ وتفسير ابن كثير : ٣ / ٣٩٩ والفتح : ٧ / ٢٥٩ .

٢ . انظر تفسير البغوي : ٣ / ٤٥٧ وابن كثير : ٣ / ٤٠٢ والفتح : ١٣ / ٣٧٣ .

٣ . انظر البخاري : ١٣ / ٤٣٧٣ .

٤ . انظر الأعراف من الآية : ١٠٣ - ١٠٦ ويونس من الآية : ٧٥ - ٨٢

وطه من الآية : ٢٧ - ٧٣ والشعراء من الآية : ٢٩ - ٥١ .

قوله تعالى : ((فقالوا ساحر كذاب))

اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسحر والكذب ((كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا)) (الكهف : ٥) .

والسحر في اللغة مزياه . وفي الشرع : عزائم ورقية تؤثر في القلوب والأبدان فتمرض وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه . باذن الله ((وما هم بضاريين به من أحد الا باذن الله)) (البقرة : ١٠٢) . والصحيح ان له حقيقة كغيره من الأشياء المؤثرة باذن الله تعالى بخلاف من أنكر حقيقته وزعم أنه تخييل فقط كابن حزم وبعض الطوائف الأخرى كالمعتزلة . إذ التخيل^(٢) معنى من معانيه^(٣) .

قال القرطبي : ((وعندنا انه حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء))^(٤) قلت : وذلك ما يؤيده الكتاب والسنة ورأي جمهور أهل العلم .

ويضئ السياق الكريم في بيان الحق الذي وقف في طريق فرعون وأعوانه معلنين عدم الإيمان به وبدعوته مهما جاء هم به من آيات ودلائل : ((وقالوا مهما جئتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين)) (الاعراف : ١٣٢) وهكذا يستمر الباطل في الوقوف في طريق الحق مستخدمين أهله كل ما أمكنهم لصدده والحيلولة دونه ((ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)) (الصف : ٨) .

فيقول الحق عن ذلك : ((فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال)) .

١ . انظر تيسير العزيز الحميد : ٣٨٢ .

٢ . انظر العقيدة الطحاوية : ٥٠٥ . وتفسير الرازي : ٢٠٦ / ٣ - ٢١٣ .

والقرطبي : ٤٤ / ٢ . وعقيدة التوحيد لابن حجر : ٢٧٥ .

٣ . انظر تقسيمات الراغب للسحر في مفرداته حيث قسمه الى أربعة

أقسام ص ٢٧٤ وقسمه الرازي في تفسيره الى ثمانية أقسام أنظر

تفسيره : ٢٠٦ / ٣ - ٢١٣ وأشار ابن كثير لهذه التقسيمات في تفسيره

نقلا عنه : ١٤٦ / ١ - ١٤٨ .

٤ . القرطبي : ٤٤ / ٢ .

وهكذا بعد أن أعيت الحيلة فرعون مصر ورووس الكفر في قومه لمواجهة الحق الذي جاء به موسى عليه السلام من دلائل التوحيد والأمر بطاعته جل وعلا وحده دون سواه أصدر أوامرهم بقتل الذكور من ذرية بني إسرائيل ليستضعفهم ويذلهم بقتل أبناءهم واستحياء نساءهم لخد متهم وفي ذلك إهانة لهم أيما إهانة فيضيق المؤمنون بموسى ذرعا فيخالفوه في منهجه الذي دعاهم إليه وهو ما كان يتمناه فرعون موسى من هذه الضغوط على بني إسرائيل حتى شكوا إلى موسى الأمر مما لحق بهم من الأذى .

((قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون)) (الاعراف : ١٢٩) وهذا القتل المأمور به من فرعون وأعوانه هو غير ذاك (١) الذي كان قد أمر به فرعون مصر قبل ولادة موسى بقتل الذرية من بني إسرائيل حتى لا يكون فيهم المولود الذي أخبر بأن ذهاب ملكه وهلكته على يديه . قال قتاده : ((فلما جاءهم بالحق من عندنا . . .)) قال : ((هذا قتل غير القتل الأول)) (٢) وذلك نظير قوله تعالى عن فرعون : ((قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون)) (الاعراف : ١٢٧) .

١ . قيل أن سبب الأمر بالقتل الأول مارآه فرعون في منامه قبل ولادة موسى أن نارا أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط ماعدا الاسرائيليين فلما أستيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة والسحرة وقالوا غلام يولد من هؤلاء يكون سبب هلاك مصر على يديه فلماذا أمر بقتل الغلمان . روي ذلك عن السدي عن ابن عباس وروي نحوه عن ابن مسعود وقيل إن بني إسرائيل كانوا يتد ارسون فيما بينهم ما أثره عن إبراهيم عليه السلام من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك مصر على يديه وذلك ما كان من فرعون ابراهيم الذي كان قد طلب منه زوجه سارة فعصمها الله منه فسمع بذلك فرعون عن طريق أقباطه فأمر بقتل الذرية وقبيل أن المنجمين هم الذين أخبروا فرعون بخبر ظهور هذا الغلام الذي سيكون على يديه هلاك فرعون وقومه . أنظر الكامل لابن الأثير : ١ / ٩٦ .

وقصص الأنبياء لابن كثير : ٢٩٧ . وعلى أي من هذه الاحتمالات الثلاثة فقد وقع ما كان يخشاه فرعون بل ورباه في بيته ((ليكون لهم عدا وحرزنا)) (القصص : ٨) وإن ما حصل لموسى منذ ولادته إلى أن صار نبيا آية لفرعون وقومه لو كانوا يعقلون .

قوله تعالى : ((وما كيد الكافرين الا في ضلال))
أي ومهما كاد هؤلاء الطغساء من الكفرة والملحدون قديما أو حديثا لدعوة
الحق فمكائدهم هذه وحيلهم سيروها الله في نحورهم ولو بعد حين
لأنها على غير هدى ((وأن الله لا يهدي كيد الخائنين)) (يوسف : ٥٢)
قال قتاده : ((وما احتيال أهل الكفر لأهل الايمان بالله الا في جور
عن سبيل الله وصد عن قصد المحجة وأخذ على غير هدى)) (١)
وهكذا يمضي السياق في سرد وقائع الباطل يعلوه الصلف والغرور الذي
أدى بهذا الطاغية الى مطالبة أتباعه بالتخلى بينه وبين موسى عليه
السلام ليقتله فيقول الحق عن ذلك ((وقال فرعون ذروني أقتل موسى
وليدع ربه اني أخاف أن يبديل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد))
وهكذا تطور الصراع بين الحق والباطل من فرعون موسى من الجدال
بالباطل فجمع السحره وقتل الذرية الى التفكير بقتل موسى عليه السلام .
يقوله : ((ذروني أقتل موسى وليدع ربه)) ويشعر هذا الخطاب بأن
هناك تردد من قبل فرعون موسى على الاقدام على القتل إما من قبل
نفسه خوفا من إله موسى الذي يعتقد حقا وصوابا ولكنه جده . إذ
الجحد أخص من الإنكار لأنه إنكار لشيء ظاهر وجلي والإنكار يكون في
شيء قد يخفى على المنكر كتقوله تعالى ((يعرفون نعمة الله ثم
ينكرونها)) (النحل : ٨٣) فالنعمة قد تكون خافية على البعض وإن كان
الجحد هو إنكار الشيء مع العلم به ((وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم)) (النمل : ١٣) فقرن الجحد باليقين والعلم بالمجحد .
قال الصرد ((لا يكون الجحد الا بما يعلمه الجاحد)) (٢)
ومن ثم كان خوفه من إله موسى أن يعاجله بالعقوبة بإهلاكه في نفسه
أو بمعجزة أخرى تفضحه بين قومه فأراد أن يوهم قومه باخفاء خوفه
وهلعهم بأنهم هم الذين يحولون بينه وبين مآربه فقال لهم : ((ذروني
أقتل موسى)) . قال ابن عطية : ((الظاهر من أمر فرعون أنه لما بهوته
آيات موسى انهبط ركنه واضطربت معتقدات أصحابه ولم يفقد منهم من

١ . الطبري : ٢٤ / ٣٧ .

٢ . أنظر الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري : ص ٣٧ بتصرف .

وكذا الأصنام التي يعبدونها من دون الله والمشار إليها بقوله تعالى :
((ويذرك وآلهتك)) (الأعراف: ١٢٧) . أو ما يخافه من الفساد في الأرض
بكثرة الهرج وافتراق الرعية وتعطل المصالح وهذا على قراءة الكوفيين
ويعقوب بهمزة قبل الواو مع سكون الواو في قوله : ((أو أن يظهر)) . وعلى
قراءة الباقيين من القراء بفتح الواو من غير ألف قبلها^(١) فيكون الخوف هنا
ناشئاً من الأمرين كليهما تبادل الدين والفساد في الأرض وقرأ نافع
وأبو عمرو وحفص ((يظهر)) بضم الياء وكسر الهاء ونصب الفساد بإسناد
الفعل لموسى وقرأ الباقيون بفتح الياء ورفع الفساد .
وكلا القراءتين متقاربتا المعنى كما قال الطبري رحمه الله : ((إن الفساد
إذا أظهره مظهرٌ ظاهراً وإذا ظهر فبإظهار مظهره يظهر . . .))^(٢)
توافق الأحداث مع تباعد الزمن :

ونقف هنا وقفة متألمة مع موعظة فرعون لقومه في قوله لهم : ((اني أخاف أن
يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد))^(٤)
ما جعل موعظته تلك موضع السخرية والاستهزاء حتى قيل ((ضار فرعون مذكراً))
وهكذا يدور الزمن فهي العصا الغليظة التي يحكم بها الطغاة والظلمة
رقاب أتباعهم إذا استقاموا على منهج الله وواجهوا باطلهم بكلمة الحق التي
تشغل سمعهم وتقلق راحتهم فيرون الحق باطلاً والباطل حقاً وما اختلف
هؤلاء الظلمة المبطلون عن فرعون موسى سوى ما أتيج لهم من الوسائل الحديثه
والتقنية المتطورة التي استخدمها هؤلاء في تعذيب أتباعهم . قال سيد
قطب رحمه الله وهو واحد من النفر الذين أودوا في سبيل الله : ((ولعله
من الطريف أن نقف أمام حجة فرعون في قتل موسى . . . فهل هناك أطرف
من أن يقول فرعون الضال الوثني ، عن موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم
((اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد))

١ . التبصرة : ٢٦٢ والبدر الزاهرة : ٢٧٧

٢ . الغاية : ٢٥٣ - ٢٥٤ والتبصرة : ٦٦٣ .

٣ . الطبري : ٣٧ / ٢٤ .

٤ . قصص الأنبياء لأبن كثير : ٣٣٣ .

أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح ؟ أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل ؟ أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادي ؟ إنه منطوق واحد يتكرر كل ما ألتقى الحق والباطل والإيمان والكفر والصلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان والقصة قديمة مكررة تعرض بين الحين والحين ^(١) . أ . هـ

وما كان من موسى عليه السلام بعد أن علم بما بيته له هذا الطاغية اللعين من شر إلا أن يستعيز بالله ربه فهو ((نعم المولى ونعم النصير)) (الانفال : ٤٠) فقال : ((اني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب))

فبين جل وعلا ما كان من موسى عليه السلام من مخاطبته لفرعون وملئه بعد مقولته المفكرة : ((ذروني أقتل موسى وليدع ربه)) فيجيب صلى الله عليه وسلم مصدرا كلامه بالتأكيد ومظهرا لمزيد الاعتناء بما يقوله ^(٢) . انني أستجير بهذا الرب الذي تسخر به وأعتصم به من كل متكبر معرض عن الحق وعن الطريق السوي الذي ينبغي أن يكون عليه ممن يؤمن بيوم الجزاء والبعث والنشور وكانت هذه الاستعاذة مطلقة لتعم فرعون ومن نحا نحوه وهو في استعاذته هذه يقرر لهم وحدانية ربه وربوبيته لهم وله جل وعلا وإن أنكروا ذلك نظير ذلك قوله تعالى : ((وإني عدت بربي وربكم أن ترجمون)) (الدخان : ٢٠) . وفي تخصيص موسى الإيمان بيوم الحساب يقول الطبري مانصه : ((لأن من لم يكن بيوم الحساب صدقا لم يكن للثواب على الإحسان راجيا ولا للعقاب على الاساءة وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفا ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من ^(٣) الناس خاصة)) .

وقال الزمخشري : ((لأنه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجرأة على الله ^(٤) وعباده ولم يترك عزيمة إلا ارتكبها)) .

- ١ . الظلال : ٣٠٧٨ / ٥ .
- ٢ . أبو السعود : ٢٧٤ / ٧ .
- ٣ . الطبري : ٣٨ / ٢٤ .
- ٤ . الزمخشري : ٤٢٣ / ٣ .

وفي هذه الآية يتبين لنا منهج الأنبياء عليهم السلام كل ما ألم بهم
 أمر من أمور الدنيا . لجأوا الى الله وأعتصموا به في كل أحوالهم
 كما كان منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر من أمور
 الدنيا عدواً كان أو غيره أسرع الى الالتجاء الى الله والاعتصام به
 ووجه أمته اليه في قوله : ((من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله
 التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك))^(١)
 وهو كذلك إذا خاف من عدوه . يروي ذلك أبو موسى الأشعري عنه
 قال : كان يقول صلى الله عليه وسلم : ((اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم
 وندراً بك في نحورهم))^(٢) .

وكذلك يجب أن يفعل المسلم كل ما حزبه أمر من أمور الدنيا فزع إلى
 الله في كشفه ((ومن يتوكل على الله فهو حسبه)) (الطلاق : ٣)

١ . مسلم على النووي : ٣١ / ١٧ .

٢ . أبو داود : ١٧٨ / ٢ ح - ١٥٢٧ ، وأحمد : ٤١٤ / ٤ ، ٤١٥ .

وهكذا يضي السياق في سرد وقائع الأحداث مع هذا الطاغية اللعين
ويبدو في القصة مشهد الرجل المؤمن من آل فرعون وعشيرته تنفرد
بعرضه هذه السورة يعلن فيهم إنكاره قتل موسى لا لشيء سوى
إيمانه بربه فيقول الحق تعالى:

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ
اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي
يَعِدُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾

معاني المفردات:

- مؤمن : الإيمان في اللغة هو التصديق . وفي الشرع إعتقاد
بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية .^(٢)
يكتُم : الكتمان ستر الحديث وإخفاؤه .^(٣)
يعدكم : الوعد يكون في الخير والشر ولكن الوعيد يكون في الشر
خاصة .^(٤)

-
- ١ . معجم مقاييس اللغة : ١ / ١٣٣ .
 - ٢ . الإيمان لابن منده : ١ / ٢٠٥ . الطحاوية : ٣٦٣ . الفتاوى : ٧ / ١٤٤ .
 - ٣ . اللسان : ١٢ / ٥٠٦ .
 - ٤ . مقاييس اللغة : ٦ / ١٢٥ .

(١)

يهدي : الهداية دلالة بلطف، والمراد هداية التوفيق والدلالة .
مسرف : المسرف هو المتجاوز للحد في الفعل الذي يفعله أي
كان هذا الفعل واستعماله في النفقة أشهر .^(٢)

قوله : ((من آل فرعون))

قال السدي والحسن ومقاتل : كان ابن عم فرعون وقيل بل كان قبطيا
من رعية فرعون وعلى هذا تكون من متعلقة بمحذوف صفة لرجل .^(٣)
وأبعد آخرون فقالوا : كان اسرائيليا فيكون التقدير وقال رجل مؤمن يكتم
إيمانه من آل فرعون . ومن متعلقه بيكتم .^(٤)^(٥)

والصحيح انه كان من رعية فرعون ومن يدين يدينه قبل أن يؤمن بموسى
بل وكان من علية القوم وخاصتهم المقربين إلى فرعون وانه كان ممن
يدبر بعض شؤون مملكته وسياق الحديث معه والإصغاء لسماعه
يؤيد ذلك إذ المعهود من الطغاة والجبابرة عدم قبول النصح والمشورة
إلا ممن يثقون بصدق ولاءه ولو كان اسرائيليا كما قيل لعاجله
العقوبة وماتحمل مثل هذه الموعظة منه مع أنه لم يقبلها من نبي
الله موسى حتى يقبلها من شخص عادي من بني اسرائيل ((وفيه بعد
من جهة اللغة فيقال كتمت فلانا كذا ولا يقال كتمت من فلان كذا .^(٦)

قال تعالى : ((ولا يكتمون الله حديثا)) (النساء : ٤٢)

ويقال : أنه الرجل الذي أنذر موسى بتآمر القوم عليه وقتله وذلك قوله
تعالى : ((وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ
يأترون بك ليقتلوك فأخرج إنسي لك من الناصحين)) (القصص : ٢٠)

-
- ١ . الراغب : ٥٣٨ .
 - ٢ . البصائر : ٢١٦ / ٢ .
 - ٣ . الطبري : ٣٨ / ٢٤ ، وابن الجوزي : ٢١٧ / ٥ ومفحمت الأقربان
للسيوطي : ص ٩٥ ، وفتح القدير : ٤٨٨ / ٤ .
 - ٤ . ابن الجوزي : ٢١٧ / ٥ وأبو حيان : ٤٦٠ / ٧ .
 - ٥ . القرطبي : ٣٠٦ / ١٥ .
 - ٦ . أبو حيان : ٤٦٠ / ٧ .

قال قتاده : كنا نتحدث أنه مؤمن آل فرعون وذكر عن ابن جريح وابن إسحاق نحو ذلك^(١) واختلف في إسمه فقال البغوي : أكثر أهل التأويل : اسمه حزقييل مؤمن من آل فرعون وقال عنه في سورة المؤمن وكان إسمه حزبييل عند ابن عباس وأكثر العلماء^(٢) . وقيل كان إسمه شمعان قال السهيلي : وهو أصح ما قيل فيه وذهب إليه جماعة من العلماء ونقل عن الدار قطني قوله لا يعرف شمعان بالشين المعجمة إلا مؤمن آل فرعون وقيل غير ذلك^(٣) .^(٤)

قلت : ولا عبرة في خفاء هذه الأسماء المبهمة التي وردت في القرآن الكريم ما لم يرد نص من كتاب أو سنة يُبين تعلق العظة بها وما سوى ذلك فلا طائل تحت تعيين اسمه سواء كان حزقييل أو حزبييل أو غير ذلك فالقرآن لا يهتم بمثل هذا وإنما يهتم بمواقع العبرة والعظة وذلك من إعجاز القرآن وبيانه إذ مثل ذلك من فضول الكلام الذي لا معنى لإيراده والله أعلم .

قوله : ((يكتُم إيمانه)) أي يخفيه عن قومه خوفاً على نفسه وإن كان ذلك لا يمنعه من إعلان إيمانه وتلفظه بلسانه والعمل به فيما بينه وبين ربه .

١ . الطبري : ٣٣ / ٢٠ .

٢ . قلت : لعل الذي ذكره البغوي في سورة المؤمن عن اسم الرجل بالباء بدل القاف هو ذاك الذي ذكره في القصص بالقاف (حزقييل) ووقع ذلك تصحيفاً . أنظر البغوي : ٤٤٠ / ٣ ، ٩٦ / ٤ . قلت : وهو كذلك بالقاف في نهاية الأرب : ١٣ / ١٩٦ . وفي

- الكامل : ٣١٠٣ / ١ -

٣ . أنظر الإعلام في ما أبهم من القرآن للسهيلي : ص ٩٦ ، ص ١١٥ .

٤ . أنظر الطبري : ٣٣ / ٢٠ ، البغوي : ٤٤٠ / ٣ وابن الجوزي : ٥ / ٢١٧

والقرطبي : ١٥ / ٣٠٦ وقصص الأنبياء لابن كثير : ص ٣٣٤ . وأنظر

كذلك مفحمت الأقران للسيوطي : ص ٨١ .

اختلاف الناس في حقيقة الايمان .

قال ابن العربي : تحت قوله تعالى : ((وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه)) ظن بعضهم أن المكلف اذا كتم ايمانه ولم يتلفظ بلسانه لا يكون مؤمنا باعتقاده وقد قال مالك ان الرجل اذا نوى بقلبه طلاق زوجته أنه يلزمه كما يكون مؤمنا بقلبه وكافرا بقلبه فجعل مدار الايمان على القلب وأنه كذلك ولكن ليس على الاطلاق . . . ان المكلف اذا نوى الكفر بقلبه كان كافرا وان لم يتلفظ بلسانه وأما اذا نوى الايمان بقلبه فلا يكون مؤمنا بحال حتى يتلفظ بلسانه ولا تمنعه التقية والخوف من أن يتلفظ بلسانه فيما بينه وبين الله . . .))^(١)

قلت: اذا كان يقصد رحمه الله من كلامه هذا أن الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان دون بقية الأعمال فذلك رأى جماعة من المرجئه^(٢) . أتباع أبي حنيفة رضی الله عنه ومن وافقه قال ابن حزم: ((وذهب قوم الى أن الايمان هو المعرفة بالقلب والاقرار باللسان معا فاذا عرف المرء الدين بقلبه وأقر بلسانه فهو مسلم كامل الايمان والاسلام وان الأعمال لا تسمى ايمانا ولكنها شرائع الايمان وهذا قول أبي حنيفة النعمان الفقيه وجماعة من الفقهاء^(٣)))

١ . أحكام القرآن لابن العربي : ٤ / ١٦٥٩ .

٢ . قلت : والارجاء على معنيين ذكرهما الشهرستاني :

أحد هما : التأخير ((قالوا أرجه وأخاه)) (الاعراف : ١١)
أمله وأخره .

والثاني : اعطاء الرجاء . أنظر المثل والنحل على هامش الفصل لابن حزم . أما الطلاق اسم المرجئه على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والقصد .

وعلى الثاني : فظاهر لأنهم كانوا يقولون لا تضر مع الايمان معصية كما لا ينفخ مع الكفر طاعة .

وقال آخرون : بل حقيقة الإيمان الإقرار بالقلب دون اللسان وهو قول طائفة من أتباع أبي الحسن ^(١) كأبي بكر الباقلاني . وهو قول أبي منصور الماتريدي وبعض الطوائف الضالة كالجهم بن صفوان وأتباعه .

وأبعد آخرون النجعة : فقالوا : بل حقيقة الإيمان الإقرار باللسان دون القلب وهم الكرامية ^(٢) .

قلت : وهذان القولان الأخيران يلزمهما الفساد إذ يترتب عليهما إدخال الكفرة من المشركين والمنافقين في الإيمان ^(٣) .

أما حجة هذه الفرق فيما ذهبت إليه كما يذكر ابن حزم عنهم فقالوا : إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين وبلغت العرب خاطبنا الله ورسوله والإيمان في اللغة التصديق فقط والعمل بالجوارح لا يسمى في اللغة تصديقا قالوا والإيمان هو التوحيد والأعمال لا تسمى توحيدا . قال ابن حزم : ((ما لهم من حجة غير ما ذكرنا)) ^(٤) .

-
- ١ . قلت : وهذا خلاف ما يعتقده إمامهم أبي الحسن الأشعري أخيرا إذ الإيمان عنده ((قول وعمل يزيد وينقص)) أنظر الإبانة : ص ٩٥ وذلك خلاف ما كان ينسب إليه من القول بالإرجاء على مذهب جهم ومن وافقه قال ابن حزم : وذهب قوم إلى أن الإيمان إنما هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط قال : وهذا قول أبي محرز الجهم بن صفوان وأبي الحسن الأشعري البصري وأصحابهما . أنظر الفصل : ١٨٨ / ٣ .
 - ٢ . الكرامية : أتباع محمد بن كرام السجستاني وهم طوائف متعددة عدتها الشهرستاني إلى اثني عشر فرقة أصلها من خراسان لهم ضلالات وكفريات . أنظر الفرق بين الفرق للتميمي : ص ١٩ ، ١٦١ والنحل للشهرستاني على هامش الفصل لابن حزم : ١ / ١٤٤ / ١٤٥ .
 - ٣ . أنظر ما تقدم ذكره عن هذه الفرق . الإيمان لابن منده : ١ / ٣٣١ ، شرح الطحاوية : ٣٣٢ ، والفصل لابن حزم : ١٨٨ / ٣ ، فتح الباري لابن حجر : ١ / ٥٢ . والفتاوى : ٧ / ١١٩ - ١٢١ .
 - ٤ . أنظر الفصل لابن حزم : ١٨٩ / ٣ .

حقيقة الإيمان :

وحقيقة الإيمان إذا هي كونه اعتقاداً بالقلب ونطقاً باللسان وعملًا بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

وذلك ما يدل عليه الكتاب والسنة فمن الكتاب قوله تعالى : ((و تلذك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون)) (الزخرف : ٧٢) وقوله تعالى ((إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)) (الأنفال : ٣ ، ٤) ومن السنة ما ذكره البخاري قال : باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((بني الإسلام على خمس . . . الحديث)) قال : وهو قول وفعل يزيد وينقص .^(١)

ونحو ذلك ما ذكر في حديث وفد عبد القيس عند قوله صلى الله عليه وسلم : ((آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع الإيمان بالله ثم فسرها لهم .^(٢) فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . . الحديث))^(٣) والآيات والأحاديث في هذا كثيرة .

وذلك ما ذهب إليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين كمالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين .^(٤) وسأذكر بعض تعاريف أهل العلم في ذلك مكتفياً بذكر نماذج من تعاريف هؤلاء الأئمة لحقيقة الإيمان .

- ١ . أنظر فتح الباري : ١ / ٥١ ، وتمام الحديث تحت باب ((دعاؤكم إيمانكم)) : ١ / ٥٥ ، الفصل لابن حزم : ٣ / ١٨٩ ، والنووي على مسلم : ١ / ١٧٦ - ١٧٧ .
- ٢ . الإيمان لابن منده : ١ / ١٦٠ .
- ٣ . فتح الباري : ١ / ١٩٣ - ١٩٤ ، والنووي على مسلم : ١ / ١٨٣ .
- ٤ . أنظر الطحاوية : ٣٣٢ والفتاوى : ٧ / ٦٤٢ .

قال العكبري: الإيمان ومعناه التصديق والتصديق بعد ذلك قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان يزيد كثره العمل والقول بالإحسان وينقصه العصيان^(١).

وقال ابن منده: ذكر ما يدل على أن إسم الإيمان واقع على من يصدق بجميع ما أتى به المصطفى صلى الله عليه وسلم نية وإقراراً وعملاً وإيماناً^(٢). قال البيهقي: إتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان لقوله سبحانه: ((إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم... الآيات)) (الأنفال ٣، ٤) فجعل الأعمال كلها إيماناً قال: وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية على ما نطق به القرآن في الزيادة^(٣) وجاء غي الحديث بالنقصان في وصف النساء^(٤).

قال ابن حجر: فالسلف قالوا في الإيمان: هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان يزيد وينقص^(٦).

وفي القدر الذي ذكرت من أقوال أئمة السلف وعلمائها في حقيقة الإيمان ما يبين أن هذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه لما سواه من أقوال أما مناقشة أدلة المخالفين فيما ذهبوا إليه والرد عليها فقد بسط ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والنحل الرد عليهم وكذا ابن تيمية في الرد على أبي بكر الباقلاني ومن وافقه في فصل كامل من كتاب الإيمان ضمنه أكثر من خمسة عشر دليلاً سوى ما ذكره في مواضع متفرقة من كتابه. مما يغني عن ذكره هنا^(٧).

١. أنظر السراج والابان في أصول الديانة: ص ١٧٦ - ١٧٨.

٢. الإيمان لابن منده: ٣٠٥/١ النوع ٣٥ من كتابه.

٣. كتبه تعالى: ((ليزداد وإيماناً مع إيمانهم)) (الفتح: ٤).

٤. وذلك قوله صلى الله عليه وسلم: في حديث النساء المشهور الذي أخرجه الشيخان وغيرهما وفيه ((مارأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من أحد اكن)) فتح الباري: ٢١/١ مسلم: ٨٧/١ ج ٧٩ واللفظ للبخاري.

٥. أنظر شرح السنه للبيهقي: ٣٩/١. ٦. الفتح: ٥٢/١.

٧. أنظر الفصل: ١/١٨٩ - ٢٤٧ وابن تيمية في الفتاوى: ٧/١٢٢ - ١٥٣.

قوله : ((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله)) إنكار شديد من هذا الرجل المؤمن لفرعون وملئه. أما ولتتهم قتل موسى لا إلهي سوى كونه يؤمن بربه ويدعوهم إليه مع أنه جاءهم بالأدلة والشواهد على صدق نبوته ما يدعوههم إلى الإيمان به والتصديق بدعوته فلا أتمل من أن يتركوه ودعوته إذا لم يؤمنوا به وذلك مطلب من مطالب موسى ((وإن لم تؤمنوا لي فأعترسون)) (الذخا : ٢١) . ولكنها عادة الشرك والمشركين ممن تتعارض ومضالهم

دعوة التوحيد الخالصة التي يدعوهم إليها المصلحون من عباد، قد يما وحديثا يقفون في طريقهم ويتعرضون لهم بصنوف الأذى والتنكيل لأشياء سوى إيمانهم بربهم وكفرهم بما دونه ((وما نعلمهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)) (البروج : ٨) وهو ما يحدثنا به القرآن عن رسولنا صلى الله عليه وسلم ومالقيه وصحبه من الأذى والظلم والتشريد من هؤلاء المشركين في مكة بقوله : ((أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله)) (الحج : ٣٩ ، ٤٠) .

وهكذا يتلطف المؤمن في دعوته لقومه على سبيل التقسيم ليستجيبوا النصيحة لهم شفقة بهم فيقول : ((فإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم)) أي إن كان ما يدعيه من دعوى الرسالة والنبوة كذبا فذلك لا يتعداه بل هو يحتمل وزر ذلك وتبعاته وإن كان ما يدعوهكم إليه حقا وحقا يصبكم بعض الذي وعدكم به من الفوز بالجنة والنجاة من النار واستمرار التمكن في الأرض إذا أجبت دعوته أو ما يقابل ذلك من الخيبة والهلاك المدمر وتغيير ما أنتم فيه من النعمة إن عرضتم عن قبول دعوته . وقول الرجل المؤمن يصبكم بعض الذي يعدكم تلطف مع القوم وإلا فما وعدهم الله به من العذاب والهلاك كائن لا محالة قال الزمخشري : ((وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيسه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد ولكن أردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وانفيا فضلا أن يتعصب له أو يرمى بالحصا من وزائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل)) (١)

قلت: وقد اختلف العلماء في المراد بالبعض في قيل المؤمن ((يصيكم بعض الذي يعدكم)) قال أبو عبيد: ^(١) البعض الكل وأنشد قول لبيد:

ترآك أمكنة إذا لم أرضها ^(٢) أو يعتلق بعض النفوس حماها.

وأشار بعض المفسرين إلى ما ذهب إليه أبو عبيدة وأنكر عليه آخرون منهم هذا الإطلاق كالزمخشري. ^(٤) ولأن محل الشاهد هنا لا يسعفه فيما ذهب إليه

إذ المراد نفس لبيد. قال الطبري: ولا شك أنها بعض لا كل. ^(٥) وأجاب آخرون فقالوا إن البعض على ظاهره والمراد به نفسه والمعنى لا أزال ^(٦)

أترك ما لم أرضه من الأمكنة إلا أن أموت ثم أن البعض تأتي بمعنى الكل في لغة العرب وذكروا قول الشاعر القطامي:

^(٧) قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال الليث: بعض هنا صلة يريد يصلكم الذي يعدكم. ^(٨) وقال أهل المعاني:

هذا على المناهضة في اللجاج كأنه قال أقل ماغي صدقه أن يصيكم بعض

الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم فذكره للبعض هنا يوجب الكل. ^(٩) وقيل غير ذلك. ^(١٠)

-
١. أنظر مجاز القرآن: ٢/٢٠٥.
 ٢. ديوان لبيد: ص ١٧٥.
 ٣. أنظر البيهقي: ٩٦/٤، وابن الجوزي: ٢١٨/٥، القرطبي: ٣٠٧/١٥.
 ٤. أنظر الزمخشري: ٤٢٥/٣.
 ٥. أنظر الطبري: ٥٥/٢٥.
 ٦. أنظر الألويسي: ٦٥/٢٤، وفتح القدير: ٤٨٩/٤.
 ٧. أنظر شواهد التلخيص للعباسي: ١٨٣/١.
 ٨. البيهقي: ٩٦/٤، ابن الجوزي: ٢١٨/٥.
 ٩. أنظر الصدرين السابقين.
 ١٠. أنظر القرطبي: ٣٠٧/١٥، ٣٠٨، فتح القدير: ٤٨٩/٤.

قوله : ((إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)) كأنه قال لهم لا تستعجلوا في أمركم وأنظروا وترووا فلو كان كاذبا في دعواه لخذله الله وما أيداه بالحجج والبراهين التي جاءكم بها وفي ذلك تعريض بفرعون إذ هو المسرف الكذاب الذي أسرف على نفسه بالقتل والشرك والإفتراء على الله بدعوى الربوبية من دونه . قال قتادة : ((إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)) أي مشرك أسرف على نفسه بالشرك .^(١) وقيل عني بذلك من هو قتال سفاك للدماء بغير حق . قاله السدي ومجاهد .^(٢)

وهكذا يبضي الرجل في دعوة الحق غير هيب ولا وجل يذكر قومه نعم الله عليهم ويحذرهم بأسه الشديد وعقابه .

فيقول الحق عن ذلك :

يَقُومُ

لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ نَصُرْنَا مِنْكُمْ
بِأَسْنِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿١٩﴾

معاني المفردات:

- ظاهرين : أي بارزين عالين في الأرض .
النصر : هو العون والنصره سؤال العون .
النيأس : الشدة والمكروه والمراد هنا العذاب .^(٣)
السبيل : جمع سبل وهو الطريق السهل يستعمل في كل ما يتوصل به إلى الشيء خيرا كان أو شرا .^(٤)
الرشاد : الرشد خلاف الغي ويستعمل استعمال الهداية .^(٥)

١ . ٢ الطبري : ٢٤ / ٢٩ ، ٤٥

٢ . اللسان : ٦ / ٢٠

٣ . البصائر : ٣ / ١٨٥

٤ . الراغب : ١٩٦

يبين جل وعلا مضي هذا المؤمن في دعوته لقومه شارحا لهم ما ينعمون به من الملك والريادة والعلو في أرض مصر ظاهرين على بني إسرائيل وانتصاب ظاهرين على الحال محذرا إياهم أن الكفر بمثل هذه النعم بمحادثته جل وعلا والتعرض لرسله بالصد والتكذيب وعدم شكره عليها سبب لأن ينتقم الله لذلك ويرسل بأسه الشديد وعذابه الذي لا يرد عن القوم المجرمين ومتى وقع هذا فلا أحد يحول بيننا وبين عذابه ((فمن ينصرتنا من بأس الله إن جاءنا)) وكونه خص نفسه معهم بالخوف من بأس الله وعقابه دليل على أن الرجل من قوم نرعون .

ولكن الباطل يفرى ما حبه بما يلبسه الشيطان له وتكبر عليه كلمة الحق فتعمى بصيرته عن ذلك ويعتد برأيه الذي يراه وإن كان سفها وضللا وإن كان حقا وطيشا وإن كان بالطلا وغرورا وذلك عين ما حدث من فرعون موسى فور سماعه لنصيحة المؤمن ((ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيلا الرشاد))

يخاتل قومه ويراهم ويوهمهم النصح والحدب عليهم . وأنه يسلك بهم المسلك الذي يراه هو رشيدا وما هو برشيد .

فإن كان هذا اللعين يقصد من الرؤية التي يراها لقومه العلم والمعرفة بحقيقة موسى ودعوته وأنه غير صادق في دعواه وأن ما توصل إليه من علم ومعرفة عنه تقضي بقتله حتى لا يترتب على بقائه فساد الدين وظهور الفساد في الأرض . وأنه بهذا اختار لهم الرأي الذي اختاره لنفسه ورآه صوابا . قال الضحاك : ((ما أعلمكم إلا ما أعلم))^(١) .

فقد كذب والله في كلتا المقدمتين :

أولا : في كونه يرى لهم ما يراه صوابا . فلم يكن ناصحا لقومه وأخفى في نفسه ما الله مبيديه فهو مؤمن بأن ما جاء به موسى من ربه حق وصدق ولكنه جحد ذلك تعاليا عن الحق وغرورا ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا)) (النمل : ١٠٣) .

وهو ما أكده الله على لسان رسوله موسى عليه السلام وأنه يعلم هذه
الدلائل ويوقن بها وهذا خلاف ما أظهره لقومه في قبلة لــــه
((قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإنني
لأظنك يا فرعون مشورا .)) (الاسراء: ١٠٢) .

وإن كان يقصد في قبلة ((ما أريكم إلا ما أرى)) المشورة لقومه وأن هذا
هو الرأي الذي يراه في أمر موسى فإن كان رأي الخيال . فقد غلب
الحمق تحكيم العقل في ذلك وأطاعه قومه وهو ما أشار إليه جل وعلا
في قوله : ((فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين))
(الزخرف: ٥٤) .

وثانيا : قوله : ((وما أهدى لكم إلا سبيل الرشاد)) فكذب وربه ما هداهم
إلا سبيل الردى والهلاك وما ذلك برشاد ((فاتبعوا أمر فرعون
وما أمر فرعون برشيد)) (هود : ٩٧) إنه سبيل الضلال والغواية
لا سبيل الرشاد والهداية ((وأضل فرعون قومه وما هدى^(١))) . (طه ٧٩) .
وهكذا يعطي الرجل المؤمن في دعوته لقومه محذرا إياهم ما ليحقيق
بالأمم السابقة لهم والتي كذبت رسل ربها فأهلكها لذلك عارضا لهم
بعض مشاهد القيامة وما سيكون في ذلك اليوم من مناداة بعضهم لبعض
دون جدوى ((يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون)) (الدخان : ٤١)

قال تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَا وَيْلَنَا
أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٢١﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٢٢﴾
وَيَقُولُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تُنَادُونَ مَذْبُوحِينَ
مَالِكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٤﴾

١ . أنظر ما تقدم ذكره للزمخشري : ٤٢٥ / ٣ وابن كثير : ٧٩ / ٤ .

والأنواء : ٨٦ / ٧ ، ٨٧ .

معاني المفردات:

- دأب : الدأب العادة والشأن^(١).
التناد : التفرق والتنافر^(٢).
عاصم : الإعتصام التمسك بالشيء^(٣) والمعنى لاشيء يعصم منه .
الإدبار : نقيض الإقبال ودبر القوم يدبرون دباراً : أي هلكوا
وأدبروا إذا ولى أمرهم إلى آخره فلم يبق منهم باقية^(٤).

ولا زال هذا المؤمن مستمرا في دعوته لقومه لم يصدده عن ذلك عناد القوم ولا ما ختم به فرعون موسى موعظته تلك بقلبه لقومه : ((ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد)) بل هو يحذرهم بأس الله وشدته ونقمته وعذابه أن يحل بهم لكفرهم وتكذيبهم لرسوله كما حل بالأمم السابقة لهم والذين تحزبوا على رسلهم ممن دأبوا على الكفر وتمرسوا به . قال الطبري : وأعمل الدأب من دأبت في الأمر دأبا إذا أدمنت العمل والتعب فيه . ثم إن العرب نقلت معناه إلى الشأن والأمر والعادة وذكر قول امرؤ القيس :

- (٥)
كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل
وإن كان هذا المؤمن جمع هذه الأمم في يوم واحد فإنه بإضافة الأحزاب إلى اليوم علم أن لكل أمة من هذه الأمم يومان خصها الله به ثم ذكر لهم بعض هذه الأمم وإن لم يستقص كل هذه الأمم المكذبة برسول ربها كقوم هود وقوم صالح وغيرهما ممن سلط الله عليها وأذاقها بأسه الشديد في الدنيا قبل الآخرة وأكتفى بذكر قوم نوح وعاد وثمود لأن سبب الإهلاك لهذه الأمم واحد وهو تكذيب الرسل .

١ . الصحاح : ١ / ١٢٣

٢ . البصائر : ٥ / ٣١

٣ . الراغب : ٣٣٧

٤ . اللسان : ٤ / ٣٧٢

٥ . الطبري : ٣٠ / ٢٧ قلت : وقد وجدته في ديوان امرؤ القيس بالدين

بدل الدأب . أنظر شرح ديوانه للشنمري : ص ٦٣ .

((إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب)) (ص : ١٤) .

قوله : ((والذين من بعدهم)) أي من الأمم اللاحقة لهم المكذبة لرسولها وهذا دليل على أن الهلاك لمن هذا شأنه في الصد والتكذيب لدعوة الحق سنة مستمرة (١) .

قوله : ((وما الله يريد ظلما للعباد)) أي أن ما حدث لهذه الأمم التي عاقبها الله بسبب ذنوبها وصدها لرسول ربها لم يكن ما حل بهم من العذاب ظلما منه تعالى الله عن ذلك ((وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين)) (الزخرف : ٧٦) .

قوله : ((وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد)) القراءة في التناد كالقراءة في التلاق (٢) ولا يزال هذا الداعية المؤمن يطمع في إيمان قومه وإخلاص النصح لهم وهاهو يخوفهم أهوال يوم القيامة . قال الرازي : أجمع المفسرون على أن المراد بيوم التناد يوم القيامة . سمي كذلك من مناداة الناس بعضهم لبعض في ذلك اليوم على حد قول أمية :

وبث الخلق فيها إذ دحاها فهم سكانها حتى التنادي (٤) .

١ . الرازي : ٢٧ / ٦٠ والقاسمي : ٢٣٣ / ١٤ .

٢ . أنظر البدور الزاهرة : ٢٧٧ .

٣ . الرازي : ٢٧ / ٦١ .

٤ . أنظر القرطبي : ١٥ / ٣١٠ وأبو حيان : ٧ / ٤٦٤ وأنظر ديوان أمية بن أبي الصلت : ص ٢٣٢ .

قلت : وقد أنكر محقق ديوانه الدكتور عبد الحفيظ السطلي أن يكون هذا من شعر أمية لأن فيه من دلالات الآيات القرآنية ما يوحي أنه منحول عليه وأنه من الشعر الإسلامي الخالص . أنظر ص : ٢٣٢ من الديوان . قلت : وليس كما قال محققه إذ المشركون يؤمنون بما جاء به القرآن ويعلمون حقيقة ذلك ومنهم أمية هذا .

قال تعالى : ((فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)) (الأنعام : ٢٣) . وما ذكره صلى الله عليه وسلم عنه وتصديقه لشيء من شعره كقوله ((صدق أمية في شيء من شعره)) كيف لا يكون هذا من شعره وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم حبه لسماع شعره لا سيما ما يتضمن دلائل التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء من مثل قوله : ((يوقف الناس للحساب جميعا)) فشقي معذب وسعييد

أنظر ديوانه ص : ٢٤٣ . وقد روى عمر بن الشريد عن أبيه قال رد فست رسول الله فأنشدته من شعر أمية بيتا ولا زال يستزيدني حتى أنشدته مائة بيت إلى أن قال عليه الصلاة والسلام ((فلقد كاد يسلم في شعره)) وفي رواية ((أو كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم)) مسلم : ١ / ١٧٦٧ .

قال سيد قطب: ((وتسميته يوم التناد)) تلقي عليه لالال التصايح وتناوح الأصوات من هنا ومن هناك وتصور يوم زحام وخصام^(١) .
وذلك حين ينادي أهل الجنة أهل النار ((ونادي أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا)) (الأعراف: ٤٤) .
أوحين ينادي أصحاب النار أهل الجنة ((ونادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء)) (الأعراف: ٥٠) .
أو يكون ذلك عند مناداة أهل الأعراف وذلك قوله: ((ونادي أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم)) (الأعراف: ٤٨) . أو يكون ذلك حين ينادي المشركون وشركاؤهم ((ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون)) (القصص: ٦٢) . أو يكون ذلك حين يذبح الموت بين الجنة والنار وينادي مناد ((يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت))^(٢) . أو يكون ذلك حين ينادي للسعيد بسعادته وينادي للشقي بشقاوته أو يكون ذلك من الندب بتشديد الدال على القراءة المروية عن ابن عباس ومن وافقه^(٣) . فيكون المعنى يوم تندون هارين كما تهرب الإبل بصاحبها على ما روي عن الضحاك وذلك حين تنزل الملائكة من السماوات فتحيط بأقطار الأرض ويحيا جهنم فإذا رأوها هالتهم فندوا في الأرض كما تند الإبل فلا يتوجهون قطرا إلا رأوا ملائكة فيرجعون من حيث جاءوا وذلك قوله: ((يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان)) (الرحمن: ٢٣) وذلك قوله: ((وجاء ربك والملك صفا صفا . وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى)) (الفجر: ٢٢ - ٢٣) .
وذلك قوله: ((ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا))^(٤) (الفرقان: ٢٥) .

١ . الظلال: ٥ / ٣٠٨٠

٢ . مسلم: ١ / ٢١٨٨ ح ٢٨٤٩

٣ . أنظر الطبري: ٢٤ / ٤٠ وابن الجوزي: ٥ / ٢١٩ - ٢٢٠

والقرطبي: ١٥ / ٣١١

٤ . أنظر الفراء: ٣ / ٨ والطبري: ٢٤ / ٤٠ - ٤١

أو يكون تسميته كذلك لمجموع ذلك كله لأن التنادي فيه يكون على صور شتى كما هو اختيار البغوي^(١) قال ابن كثير. ((واختار البغوي وغيره أنه سمي بذلك لمجموع ذلك وهو قول حسن جيد والله أعلم))^(٢) قوله : ((يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم)) وذلك بعد انقضاء الحساب يولون هاربين في الأرض حذار عذاب الله وعقابه ولا مانع لهم حينئذ من عذابه إذ لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه . ((ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير)) (الشورى : ٤٧) . قال قتاده : يوم تولون مدبرين منطلقاً بكم إلى النار^(٣) وقال مجاهد : فارين غير معجزين^(٤) .

قوله : ((ومن يضل الله فما له من هاد)) أي من يضل الله عن الطريق السوي فلا أحد من الخلق كائناً من كان يهديه إليه وذلك على حد قوله تعالى : ((ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين)) (النحل : ٣٧) . وكذا قوله ((ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولصم في الآخرة عذاب عظيم)) (المائدة : ٤١) إلى غير ذلك من الآيات .

وقبول المؤمن لقومه كقول نوح لقومه بعد أن أعجزوه ((ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون)) (هود : ٣٤) . أي ان كانت قضت مشيئته جل وعلا فيكم و ارادته الكونية القدرية بأن يكون هذه حالكم فذلك له جل وعلا وحسب المؤمن هذا وكل داعيه سواء مع قومه هداية الدلالة والارشاد إلى الطريق السوي وما سوى ذلك من هداية التوفيق فذلك إليه سبحانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن .

١ . أنظر البغوي : ٩٧ / ٤ .

٢ . أنظر تفسير ابن كثير : ٨٠ / ٤ .

٣ . أنظر الطبري : ٤١ / ٢٤ .

٤ . أنظر البغوي : ٩٧ / ٤ .

((فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء)) (فاطر: ٨) .
على حد قول لبيد :

من هداه سبيل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل (١)
وهكذا ينكر المؤمن على قومه استمرارهم في التكذيب والشك في رسول
الله منذ أن جاءهم يوسف بالبينات وما وصلوا الى ما وصلوا اليه من
العناد والاعراض عن الحق الا الكبر والتعالي الذي كان سببه مقت
الله وفضبه ونقمته منهم في الدنيا والآخرة .

قال تعالى :
وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ
مَعَا جَاءَكُمْ بِهِ حَقًّا إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ
مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُرْتَابٌ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَتْهُمْ كُفْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

معاني المفردات :

الشك : هو اعتدال النقيضين عند الانسان وتساويهما وربما يوجد
الشك في الغرض الذي لأجله أوجد وهو ضرب من الجهل
بل هو أخص منه لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين
رأساً (٢)

الهلاك : يطلق على أوجه والمراد هنا الموت (٣)
البعث : الارسال وبعثه وابتعثه أرسله (٤)
المرتاب : أصل الريب الشك وهو ما رابك من أمر .

١ . أنظر ديوان لبيد : ص ١٣٩ .

٢ . أنظر البصائر : ٣ / ٣٣٣ .

٣ . الراغب : ٥٤٤ .

٤ . الصحاح : ١ / ٢٧٣ .

الطبع : هو مثل على نهاية ينتهي اليها الشيء حتى يختم عند ها
يقال طبعت على الشيء طابعا ومن ذلك طبع الله على
قلوب الكفار كأنه ختم عليها حتى لا يضل اليها هدى ولا نور
فلا توفق اخير (١)

الجبار : هذه صفة من صفات الله عز وجل . والمراد بالجبار هنا
المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقا متكبيرا عن عبادة الله
كثيرا للقتل بغير حق . (٢)

الفرق بين قوم فرعون يوسف وفرعون موسى :

قوله : ((ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما
جاءكم به . . . الآية))

من تمام تيل المؤمن لقومه وقيل من قول موسى (٣) والأول أولى وموعظته لهم
وانكاره الشديد عليهم وتوبيخه لهم لما كان منهم من الشك في رسل الله
وتكذيبهم لهم حيث بعث الله فيهم يوسف بن يعقوب هاديا ومرشدا
وداعيا الى الحق باذن ربه وقيل يوسف بن أفرائيم بن يوسف (٤)

قال السيوطي : وقد قيل ان الذي في غافر ليس هو هو انما هو حفيده
يوسف بن أفرائيم لبث فيهم عشرين سنة وعاش يوسف بن يعقوب مائه
وعشرين سنة وبينه وبين موسى أربعمائه سنة (٥) وقيل غير ذلك (٦)

قلت : والظاهر أنه يوسف بن يعقوب الا أن فرعون في زمنه غير فرعون
موسى خلاف ما يحكى عن ابن وهب من أنه فرعون موسى وهو ما استظهره
أبو حيان (٧) وان القوم الذين بعث فيهم يوسف كانوا أقل صلفا وعنادا

من فرعون موسى ويذهب ابن تيمية الى أنهم كانوا مشركين فيقول :

((وأما الذين في زمن يوسف فالقرآن يدل على أنهم كانوا مقرين بالله

وهم مشركون به ولهذا كان خطاب يوسف للملك والعزيز ولهم يتضمن

الإقرار بوجود الصانع كقوله : ((أرباب متفرقون خيرأمر الله الواحد القهار))

(يوسف : ٢٩) .

١ . مقاييس اللغة : ٤٣٨ / ٣ .

٢ . اللسان : ١١٣ / ٤ .

٣ . القرطبي : ٣١٢ / ١٥ وأبي حيان : ٤٦٣ / ٧ .

٤ . الكشاف : ٤٢٦ / ٣ ، القرطبي : ٣١٢ / ١٥ - ٣١٣ .

٥ . القرطبي : ٣١٣ / ١٥ وأبي حيان : ٤٦٤ / ٧ .

٦ . انظر التحبير : ص ٣٨١ .

٧ . انظر القرطبي : ٣١٣ / ١٥ وأبي حيان : ٤٦٤ / ٧ .

قال : وقد قال مؤمن آل حم ((ولقد جاءكم يوسف بالبينات)) فهذا يقتضي أن أولئك الذين بعث لهم يوسف كانوا يقرون بالله . . . ولهذا كان اخوة يوسف يخاطبونه قبل أن يعرفوا أنه يوسف ويظنون أنه من آل فرعون بخطاب يقتضي الاقرار بالصانع كقولهم : ((تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين)) (يوسف : ٧٣) . . . قال : وذلك أن فرعون الذي كان في زمن يوسف أكرم أبويه وأهل بيته لما قدموا إكراما عظيما مع علمه بدينهم واستقراء أحوال الناس يدل على ذلك ^(١) ويؤكد ما ذهب إليه ابن تيمية من أن فرعون يوسف غير فرعون موسى ما ذكره ابن الأثير في تاريخه عن ابن عباس وغيره قال : (إن الله تعالى لما قبض يوسف وهلك الملك الذي كان معه وتوارث الفراعنة ملك مصر . . . لم يزل بني إسرائيل تحت يد الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم حتى كان فرعون موسى وكان أعتاهم على الله وأعظمهم قولا وأطولهم عمرا ^(٢)) وعليه فيكون الخطاب لفرعون موسى وأتباعه في قيل المؤمن ((ولقد جاءكم يوسف بالبينات)) على نسبه أحوال الآباء إلى الأولد ^(٣) . وأن أولئك لم يؤمنوا بما جاءهم من الآيات والدلائل الواضحة على صدق دعوتهم لهم وانكار أولئك وشكهم في رسل الله مستمر حتى إذا هلك يوسف وتوفاه الله قالوا على سبيل التمني والتشهي لن يبعث الله من بعده رسولا فافتروا على الله الكذب بدعواهم عدم بعثه الرسل بعده وليكون هذا عزا منهم لانكار الرسالات اللاحقة له وتكذيبها وليس قولهم هذا ((لن يبعث الله رسولا)) تصديقا لرسالة يوسف لأنهم كفروا بها ولكن ذلك صريح منهم بتكذيب الرسالات بعده مضموما لها تكذيبهم برسالته ^(٤) . وخطاب المؤمن لهم وانكاره عليهم لكونهم سلكوا سبيل الآباء والأجداد في الصد والتكذيب برسل الله والاقامة على الشرك به جل وعلا وذلك نظير دعوتهم صلى الله عليه وسلم لمشركي مكة وعناد القوم معه دأبهم دأب آبائهم في ذلك .

١ . الفتاوى : ٧ / ٦٣٠ - ٦٣١ .

٢ . انظر الكامل : ١ / ٩٦ .

٣ . أبو السعود : ٧ / ٢٧٦ .

٤ . الزمخشري : ٣ / ٤٢٧ والرازي : ٢٧ / ٦٢ .

وذلك قوله تعالى : ((واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)) (البقرة : ١٧٠) .
والمراد بالبينات في الآية :

قيل المراد بذلك الآيات الدالة على توحيد الله ^(١) وذلك قوله تعالى ((أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)) (يوسف : ٣٩) وقيل المراد بذلك تعبير الرؤيا روي ذلك عن ابن جريج ^(٢) . وذلك قوله تعالى : ((وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث)) (يوسف : ٦) . وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا وسمى ذلك تأويلاً أنه يؤول أمره إلى ما رأى في منامه ^(٣) . قال القرطبي : وأجمعوا أن ذلك في تأويل الرؤيا ^(٤) . وقيل أن التأويل هنا شامل لذلك كله ممن العلم والكتب وأحاديث الأمم وتأويل ما خفى على الناس بيانه وممن ذلك الرؤيا ^(٥) . يدل لذلك قوله تعالى : ((ولما بلغ أشده آتياه حكماً وعلماً)) (يوسف : ٢٢) . وهو ما اختاره صاحب الأضواء حيث قال : الظاهر أن الآيات المذكورة تشمل ذلك كله من تأويل الرؤيا وعلوم كتب الله وسنن الأنبياء والعلم عند الله ^(٦) .

قوله : ((كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب)) أي ومن تكن هذه حالته وشأنه مع ربه ورسله من الصد والتكذيب والاسراف في الشرك والريبه في الدلائل الموجبه لتوحيده جل وعلا يستحق ما يعاقبه الله به لذلك من الاضلال والغواية عن الحق وذلك قوله تعالى : ((ومن يذغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) سبأ : ١٢) .

- ١ . أنظر البغوي : ٩٧/٤ وابن الجوزي : ٢٢١/٥ .
- ٢ . ابن الجوزي : ٢٢١/٥ ، والدر : ٣٥١/٥ ، فتح القدير : ٤٩٣/٤ .
- ٣ . الطبري : ٩٢/١٢ ، البغوي : ٤١٠/٢ .
- ٤ . القرطبي : ١٢٩/٩ .
- ٥ . المصدر السابق ، والأضواء : ٤٦/٣ .
- ٦ . الأضواء : ٤٦/٣ .

قوله : ((الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم))
الذين في موضع نصب على البذل من ((من)) في قوله : ((من هو مسرف))
أو في موضع رفع على اضمار مبتدأ أي هم الذين. قاله مكي^(١) وقيل
غير ذلك^(٢). واختار أبو حيان أن يكون الأولى في اعراب الذين مبتدأ
خبره كبر والفاعل ضمير المصدر المفهوم من يجادلون. وهذه الصفة
موجودة في فرعون وقومه ويكون الواعظ لهم قد عدل عن مخاطبتهم
الى الاسم الغائب لحسن محاورته لهم واستجلاب قلوبهم وإيراد ذلك
في صورة تذكيرهم ولا يفاخئهم بالخطاب وفي قوله : ((كبير مقتا))
ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجهم
عن حد اشكاله من الكبائر^(٣) وذلك من تمام نصح المؤمن لقومه
محذرا إياهم بأنه لا يحق لهم الجدال في آيات الله ودفع الحق
بالباطل دونها حجة أوبرهان من الله قال الزجاج : لا هذا تفسير
للمرتاب يعني الذين يجادلون في آيات الله أي في ابطالهم
بالتكذيب^(٤) قال ابن تيمية : ((بيان أنه لا يجوز أن يعارض كتاب الله
بغير كتاب الله لا بفعل أحد ولا أمره لا دولة ولا سياسه فانه حال
الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم))^(٥)
قلت : وهناك وجه شبه بين المنكرين للحق في القديم والحديث
والمرغبة في دحض الحق بالباطل وذلك ما وقع لرسولنا صلى الله عليه
وسلم من مشركي مكة وكثرة جدلهم بالباطل وذلك قوله : ((وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب)) (غافر : ٥)

- ١ . أنظر اعراب القرآن : ٦٣٦ / ٢ .
- ٢ . أنظر الزمخشري : ٤٢٧ / ٣ ، وفتح القدير : ٤٩١ / ٤ .
- ٣ . البحر المحيط : ٤٦٥ / ٧ .
- ٤ . البيهقي : ٩٨ / ٤ .
- ٥ . قلت : مقصوده رحمه الله من معارضة كتاب الله بكتاب الله ما يكون
من الناسخ والمنسوخ كما هو معلوم .
- ٦ . أنظر الفتاوى : ٧٨ / ١٩٠ .

وقوله : ((كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا)) أي عظم مقت الله عليهم
لما حصل منهم من جدل ودحض للحق وكذلك تحصل لهم من المؤمنين
الكراهه والبغض أشد البغض لمن هذه حاله وصفته مع ربه ومن كان
كذلك يختم الله على قلبه يختم لا يرى للنور سبيلا فلا يوفق لخير البتة
نسأل الله العافية والسلامة من الزيغ والضلال بعد الهدى . وذلك
قوله : ((كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار)) قرأ أبو عمرو
البصري وابن ذكوان ((على كل قلب)) بتنوين الباء وقرأ الباقيون
بغير تنوين^(١) . فيكون ذلك باضافة القلب الى المتكبر وجبار صفة
للمتكبر ويشهد لذلك قراءة ابن مسعود ((كذلك يطبع الله على قلب
كل متكبر جبار)) ومن نونه جعل القلب هو المتكبر الجبار لأنها من
صفاته^(٢) . واختار الطبري قراءة الجمهور لأن التكبر فعل الفاعل
كما أن القاتل اذا قتل قتيلا وان كان قتله بيده أضيف الفعل
اليه وان كان القلب جارحة من جوارحه يكون بها التكبر مع اجازته
للقراءة الثانية لأن العرب تضيف الأفعال للجوارح فتقول بطشست
يدا فلان ورأى بعينه وهكذا . وعليه يكون المعنى في الآية كما
طبع الله على قلوب المجادلين في آيات الله فكذلك أولئك المتكبرين
المتجبرين المتعاليين على الحق يطبع الله على قلوبهم ((فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الأليم)) (يونس : ٨٨) . جزاء كيدهم وتعاليتهم
عن الحق .

وبعد سماع هذا الطاغية لقليل المؤمن وموعظته والجامه الحجة
أراد أن يوهم قومه أنه لا زال شاكا في دعوى موسى وأنه ينشد الحقيقة
في ذلك فطلب من وزير السوء هاما أن يتخذ له قصرًا عاليًا ليتأكد
من خلاله عن حقيقة هذه الدعوى لموسى فيقول الحق عن ذلك :

١ . الغاية : ٢٥٤ والتبصره : ٦٦٣ .

٢ . أنظر الفراء : ٨ / ٣ - ٩ والطبري : ٢ / ٢٧ والبحر المحيط : ٦٥٨

٣ . الطبري يتصرف : ٤٢ / ٢٧ .

قال تعالى :
 وَقَالَ فِرْعَوْنُ
 يَنْهَكُنْ ابْنَ لِي صَرْحًا عَلَيَّ أَنْبُلُغُ الْأَسْبَبَ ﴿٢٦﴾ : أَسْبَبٌ
 السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى اللَّهِ مُوسِيًّا وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا
 وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
 وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٢٧﴾

معاني المفردات:

- الصرح : هو البيت العالي المزوق سمي بذلك لكونه منفردا ضخما
 طويلا في السماء (١).
- البلوغ : هو الانتهاء الى أقصى المقصد والمنتهى مكانا كان أو
 زمانا أو أمرا من الأمور المقدره (٢).
- الأسباب : السبب هو الحبل الذي يصعد به وجمعه أسباب وسمي
 كل ما يتوصل به الى الشيء سببا (٣).
- الظن : يدل على معنيين مختلفين يقين وشك تقول ظننت أي أيقنت
 وفي الشك يقال ظننت الشيء إذا لم تتيقنه (٤).
- الزین : الزين نقيض الشين (٥) والمراد استحسان فرعون لعمله .
- السوء : هو كل ما يفهم الانسان من الأمور الدنيوية والآخروية
 ومن الأحوال النفسية والبدنية وسيء العمل قبيح (٦).
- الصد : هو الاعراض والصدود تقول صدته عن كذا منعه وصرفه عنه (٧).
- التباب : هو الخسران والنقص (٨).

- ١ . اللسان : ٥١١/٢ والبصائر : ٤٠٩/٣ .
- ٢ . الراغب : ٦٠ .
- ٣ . الصدر السابق : ص ٢٢٠ .
- ٤ . معجم مقاييس اللغة : ٤٦٢/٣ - ٤٦٣ .
- ٥ . الصدر السابق : ٤١/٣ .
- ٦ . الراغب : ٢٥٢ - ٢٥٣ .
- ٧ . اللسان : ٢٤٥/٣ .
- ٨ . البصائر : ٢٩٢/٢ .

يبين لنا جل وعلا في هذه الآية استمرار هذا الطاغية في صلفه وعتوه وتمرده على الحق جل وعلا الى أن يأمر وزيره هامان بأن يشرع في بناء صرح عال يمكنه من خلاله الاطلاع على اله موسى وذلك من الطين المطبوخ الاجر حيث يقال أنه أول من اتخذه كما روي عن قتادة وابن زيد وابن جريج وغيرهم^(١). ويحكي أهل السير أنه جمع الصناع من بني اسرائيل من الأجراء والأتباع بلغوا خمسين ألفا عامل لصناعة هذا الصرح العالي وأنه بعد الفراغ منه أمر الله جبريل فخربته ودبر كل ما صنعوا وأهلك كل من عمل فيه من صانع ومستعمل^(٢). وذكر نحو هذا بعض المفسرين^(٣). قلت: اما أن يكون أمر فرعون لوزيره ببناء الصرح لا لأنه يعتقد أنه من خلاله يمكنه الاطلاع على اله موسى كما زعم فانه يعلم أن ذلك محال ولكنه أراد أن يشغل قومه ببناء الصرح حتى لا يفتتنوا بموسى فيؤمنوا به وليصد هم به عن سبيل الله. أو يكون هذا الأمر من فرعون لوزيره لا يراد الشبهه على قومه لنفي الصانع المدبر لهذا الكون فيكون هذا منه ايها ما بالبناء ولم يكن ثمة بناء وهو ما اختاره الرازي في تفسيره حيث قال: ((والذي عندي في تفسير هذه الآية أن فرعون كان من الدهرية وفرضه من ذكر هذا الكلام ايراد شبهه في نفي الصانع وتقريره أنه قال: انا لا نرى شيئا نحكم عليه بأنه اله العالم فلم يجز اثبات هذا الاله أما انه لا نراه لو كان موجودا لكان في السماء ونحن لا سبيل لنا الى صعود السموات فكيف يمكننا أن نراه ثم انه لأجل المبالغة في بيان أنه لا يمكنه صعود السموات ((قال يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب)) والمقصود أنه لما عرف كل أحد أن هذا الطريق ممتنع كان الوصول الى معرفة وجود الله بطريق الحس ممتنعاً ونظيره قوله تعالى: ((فان استطعت أن تتنفي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيتهم بآية)) (الانعام: ٣٥).

١. أنظر الطبري: ٤٩/٢٠.

٢. أنظر الكامل: ٤/١، وقصص الأنبياء لأبن كثير: ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

٣. الطبري: ٤٩/٢٠ والبيهقي: ٤٤٦/٣ والقرطبي: ٢٨٨/١٣ - ٢٨٩.

وليس المراد منه أن محمداً صلى الله عليه وسلم طلب نفقا في الأرض أو وضع سلتما إلى السماء، بل المعنى أنه لما عرف أن هذا المعنى ممتنع فقد عرف أنه لا سبيل لك إلى تحصيل ذلك المقصود فكذا هنا غرض فرعون من قوله: ((ياها مان ابن لي صرحا)) يعني الاطلاع على الله موسى لما كان لا سبيل إليه إلا بهذا الطريق وكان هذا الطريق ممتنعا فحينئذ يظهر منه أنه لا سبيل إلى معرفة الإله الذي يشته موسى فنقول هذا ما حصلت في هذا الباب. (١)

وقال سيد قطب رحمه الله: ((وبعيد عن الاحتمال أن يكون هذا نهم فرعون وادراكه. وبعيد أن يكون جادا في البحث عن الله موسى على هذا النحو المادي الساذج وقد بلغ فراعنة مصر من الثقافة حدا بعيدا معه هذا التصور. إنما هو الاستهتار والسخرية من جهة والتظاهر بالانصاف والتثبت من جهة أخرى. (٢))

قوله: ((لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السموات والأرض)) قيل طرقت السموات روي ذلك عن أبي صالح والسدي وابن جبير (٣) وقيل المراد بالأسباب أبواب السموات روي ذلك عن قتادة (٤) واختار الطبري أن يكون السبب شاملا لهذا كله مما يتوصل به إلى رؤية الله موسى أبوابا كانت أو طرقا أو منازل أو غير ذلك (٥) وذلك على حد قول زهير:

ومن غاب أسباب المنايا ينلنه ولورام أسباب السماء يسلم (٦)

١. أنظر تفسير الرازي: ٦٥/٢٧.
٢. أنظر الظلال: ٣٠٨٢/٥.
٣. أنظر الطبري: ٤٣/٢٤ وابن كثير: ٨١/٤ والدر: ٣٥١/٥.
٤. الطبري: ٤٣/٢٤ والدر: ٣٥١/٥.
٥. الطبري: ٤٣/٢٤.
٦. القرطبي: ٣١٤/١ وديوان زهير: ص ٨٧.

قوله : ((فاطلع الى اله موسى)) قرأ عامة القراء بالرفع^(١) عطفًا على أبلغ على معنى الترجي أي لعلي أبلغ الأسباب ولعلي أطلع على اله موسى وقرأ حفص بالنصب جوابًا للعلي^(٢) وهما قراءتان مشهورتان واختار الطبري قراءة الرفع^(٣)

وذلك غاية ما وصل اليه من السفاهه والحمق والطيش.

قوله : ((واني لأظنه كاذبا)) أي في قول موسى أن له اله وذلك على حد زعمه لقومه ((ما علمت لكم من اله غيري)) (التقص: ٣٨) . أو يكون اتهامه لموسى لكونه يقول انه مرسل من ربه . والاحتمال الأول أولى لأنه عقب دعوته للألوهيه بطلب بيتاء الصرح بزعم أن موسى كاذبا في أن يكون هناك اله .

قوله : ((وكذلك زين فرعون سوء عمله)) أي بعمله هذا الذي أراد أن يوهم به قومه ويصد هم به عن سبيل الله الى الشرك والتكذيب به وذلك من تزيين الشيطان له وذلك على حد قوله تعالى : ((أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء)) (فالجر: ٨) .

قوله : ((وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب)) قرأ بضم الصاد الكوفيون ويعقوب وفتحها غيرهم . فعلى الرفع يكون من قبيل زيين على البناء للمفعول أي زين له سوء عمله وصده الله عن السبيل روي ذلك عن ابن عباس وقتاده^(٥) وعلى الفتح يكون الفاعل فرعون صد عن السبيل أعرض عن دعوة الحق وصد قومه كذلك لدعوتهم الى سبيله سبيل الضلال والهلاك في قبيله لهم : ((وما أهدى لكم الا سبيل الرشاد)) . قوله ((وما كيد فرعون الا في تباب)) أي وما هذا العمل الذي يعمل به في الأمر ببناء الصرح وصرف الناس عن الإيمان بموسى وما كيده لإبطال آيات الله الا في ضلال لا ينفعه مكره وحيلته .

١ ٤١ ٢ الغايه : ص ٢٤٥ ، التبصره : ٦٦٣ .

٣ الطبري : ٤٣ / ٢٤ .

٤ أنظر البدور الزاهرة : ٢٧٨ .

٥ أنظر الطبري : ٤٣ / ٢٤ والبغوي : ٩٨ / ٤ .

قاله جماعة من السلف كابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم (١)
نظير ذلك قوله تعالى ((وما زاد وهم غير تتبيب)) (هود : ١٠١) .
وكقوله تعالى في عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبولهب) . ((تبنت
يدا أبى لهب وتب)) (المسد : ١)

اثبات صفة العلو ونماذج مما تعتقده بعض الطوائف في هذه الصفة :

قلت: وفي هذه الآية اثبات العلو له جل وعلا . إذ أن فرعون
عرف من دعوة موسى له ان الاله الذى يدعو اليه فى السماء .
وذلك خلاف ما يعتقده الجهمية ومن وافقهم فى تعطيل صفاته ومن ذلك
نفى العلو عنه بزعم التنزيه له .

قال ابن تيمية : ((وهؤلاء المشبهون لفرعون الجهمية نفاه الصفات
الذين وافقوا فرعون فى جحده وقالوا : انه ليس فوق السموات
كما قال فرعون ((ياها مان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب . . .))
وكان فرعون جاحدا للرب فلولا أن موسى أخبره أن ربه فوق العالم
لما قال : ((أطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا)) (٢)

قلت: وقد ذهب الى نفى هذه الصفة عنه جل وعلا بعض المفسرين الذين
يؤولون الصفات عن ظاهرها المراد . أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر
ثلاثة من أبرزهم :

١- الزمخشري : مثلا وهو عمده فى مذهب المعتزلة يقول تحت تأويل هذه
الآية ((فاطلع الى اله موسى)) قال : ((لعله يطلع الى اله موسى عليه
السلام وان كان جاهلا مفرطاً به وبصفاته حيث حسب أنه فى مكان كما
كان هو فى مكان وأنه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد فى عليته)) (٣) أهـ .
قلت: واعتقاد المعتزلة أنه موجود فى كل مكان .

٢- الرازى: وهو من المبرزين فى المذهب الأشعرى بعد أن أورد بعض
أدلة أهل السنة والجماعة تحت هذه الآية ، وقد وصفهم عفا الله عنا وعنهم
بالمشبهه فقال :

١ . الطبرى : ٤٣ / ٢٤ وابن كثير : ٤ / ٨١ .

٢ . الفتاوى : ١٣ / ١٧٣ .

٣ . الكشاف : ٣ / ١٧٩ .

مجيبا عليهم: ((ان هؤلاء الجهال يكفيمهم في كمال الخزي والضلال
أن جعلوا قول فرعون اللعين حجة لهم على صحة دينهم وأما موسى
عليه السلام فانه لم يزد في تعريف اله العالم على ذكر صفة الخلاقية
فقال في سورة طه: ((ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى))
وقال في سورة الشعراء: ٢٦ ((ربكم ورب آبائكم الأولين رب المشرق
والمغرب وما بينهما)) فظهر أن تعريف ذات الله بكونه في السماء
دين فرعون وتعريفه بالخلاقيه والموجودية دين موسى فمن قال بالأول
كان على دين فرعون ومن قال بالثاني: كان على دين موسى ثم نقول
لا نسلم أن كل مايقول فرعون في صفات الله تعالى فذلك قد سمعته
من موسى عليه السلام بل لعله على دين المشبه فكان يعتقد أن الاله
لو كان موجودا لكان حاصلا في السماء فهو إنما ذكر هذا الاعتقاد من
قل نفسه لا لأجل أنه قد سمعه عن موسى عليه السلام ((^(١)

٣. القشيري: وهو من علماء المذهب الصوفي يقول تحت هذه الآية:

((فاطلع الى إله موسى)) ((ولو لم يكن من المضاهاة بين من قال
أن المعبود في السماء وبين الكافر إلا هذا لكفى به خزيا لمذهبيهم^(٢)
وقد غلط فرعون حين توهم أن المعبود في السماء ولو كان في السماء
لكان فرعون مصيبا في طلبه من السماء))^(٣)

قلت: ولست هنا بصدد الرد على هؤلاء العلماء ومناقشتهم فيما
أوردوه من نفي العلو. ولا يسرد الأدلة المثبتة لعلوه تعالى على خلقه
ولا الحديث عن صفاته جل وعلا نذاك واضح من كتاب الله وسنه رسوله
صلى الله عليه وسلم وكتب العقيدة مليئة ببسط الأدلة في ذلك
ويجد طالب الحق فيها بغيته.

١ . التفسير الكبير: ٢٧/٦٤ .

٢ . يتصد المثبتين لصفة العلو من أهل السنة والجماعة .

٣ . أنظر لطائف الإشارات: ٥/٣٠٦ .

منهج السلف في الصفات.

أما منهج سلف هذه الأمة خير القرون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو امرارهم للصفات على ما علموا من كتاب الله وسنة رسوله وأثبات ما أثبتته لنفسه جل وعلا واعتقاد نفي المثلية والمشابهة لشيء من خلقه ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)) (الشورى : ١١) قال ابن تيمية : ((ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل ، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فيعطلون أسماءه الحسنى ، وصفاته العليا ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته)) (١) .
وقال البيهقي : ((لا يجوز وصفه تعالى الا بما دل عليه كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه سلف هذه الأمة)) (٢) .
وإذا كان الأمر كذلك فهل في المسلمين اليوم من هو بحاجة لبيان ما كان يعتقدُه أبي الجهم ومن وافقه في أسماء الله وصفاته مع أنها مذاهب قد عفا عليها الزمن ولم يعد لها مكان ؟ بل وقد ثبت رجوع بعض مؤسسي هذه المذاهب المشهورة في الأسماء والصفات كأبي الحسن الأشعري الى ما يعتقدُه أهل السنة والجماعة .

جوابا لكل من يدور بخلده مثل هذا السؤال ممن عافاه الله في معتقده وسلم عقله من هذه الشبهة فليحمد الله وليسأله الثبات على الحق اذ الواقع يخالف ما يعتقدُه حيث لا زال لتلك المذاهب روايب مما خلفه لها واصل بن عطاء المعتزلي والجهم بن صفوان السمرقندي تلميذ الجعد بن درهم عليهم من الله ما يستحقون من شبه التعطيل لصفات الله فضل عن العقائد الأخرى التي يدنون بها مما يسري في أذهان كثير من المسلمين الى اليوم وأعني بعض علمائهم وطلبة العلم فيهم ممن تأثروا بعلمائهم في التحريف والتعطيل لأعوامهم متى ما تركوا وفطرتهم

١ . الفتاوى : ٢٧/٥ .

٢ . الأسماء والصفات للبيهقي : ص ١٢٧ .

فلن يختلف اثنان منهم على اثبات العلو والفوقية له جل وعلا .
وها هو أبو الحسن الأشعري الذي يعتقد مذهبه في الصفات الكثير
اليوم يجيب عن ما يعتقد في ذلك في كتابه الابانه تحت باب : ابانه
قول أهل الحق والسنة . وأنه يدين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث وبما يقوله
أبو عبد الله أحمد بن حنبل ^(١) . ويجيب عما يعتقد في مسألة الاستواء
والعلو بما يعتقد أهل الحق في ذلك ويخالف ما يعتقد بعض أتباعه
اليوم من المعطله ^(٢) . فضلا عما ذكره الجويني وهو من أتباع أبي الحسن
الأشعري في عقيدة الأسماء والصفات يبين في رسالته الفوقية والأستواء
ما كان يعتقد في الصفات والفوقية والحرف والصوت مصرحا بالحيرة
التي وقع فيها برهة من الزمن الى أن هداه الله للحق ووقفه .

داعيا من كان يعتقد ذلك عن أتباع أبي الحسن الأشعري من مشايخه
ومحبيه الى اتباع طريق السلف في صفات الله تعالى وامرارها
دون تأويل أو تحريف أو تعطيل ومن ذلك العلو والفوقية ^(٣) . وبعد أن
أورد الأدلة من الكتاب والسنة على اثبات علوه جل وعلا قال :

« إذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبهه التأويل وعمارة التعطيل
وحماقة التشبيه والتمثيل وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستوائه
على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح في ذلك والصدور
تنشرح له فان التحريف تأباه العقول الصحيحة ^(٤) . ومن أولئك

الرازي الذي مريبان معتقده في العلو عند تفسيره لقوله تعالى
« فأطلع الى إله موسى » وقد ثبت رجوعه عما كان يعتقد في العلو
وتغيره وأقراره بافلاس الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية عمالا فائدة
فيه واعترافه بذلك في وصيته التي أملاها على تلميذه ابراهيم بن أبي
بكر الأصبهاني كما اشار الى ذلك السبكي ^(٥) .

١ . الابانه : ص ١٥٢ بتصرف .

٢ . أنظر الابانه : ص ١١٩ - ١٢٧ .

٣ . أنظر الرسائل الضمنية : من ص ١٧٤ - ١٧٦ . بتصرف .

٤ . الصدر السابق - الفوقية والاستواء : ص ٦٨١ .

٥ . طبقات الشافعية : ص ٩٠ - ٩٢ .

مما يدل على ندمه وتصحيح معتقده عفا الله عنا وعننا ومما يذكر عنه ابن خلكان قوله : ((رأيت له وصية أملاها في مرض موته على أحد تلامذته تدل على حسن العقيدة))^(١) .
وغير هؤلاء كثير ممن عرف الحق فاتبعه وعدل عما كان يعتقد وتاب من ذلك^(٢) .
إذا فماذا بقي لهؤلاء المعطلين لصفاته جل وعلا من مستند يستندون عليه في معتقد هم سوى ما خلفه لهم جهم وأتباعه من المعطله . وكيف يحرفون صفة العلو هذه أو ينفون ذلك عنه جل وعلا مع تواتر الأخبار اللفظية والمعنوية وثوتها^(٣) .
وها هو شارح الطحاوية كمثل ممن ساق الأدلة على اثبات علوه جل وعلا يورد من الأدلة المتنوعة المحكمة ما يقرب من عشرين نوعا . يقول بعد إيراده لها ((وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل . فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله وهيهات له بحواب صحيح عن بعض ذلك))^(٤) . سوى ما ذكره من أقوال السلف لاثبات صفة العلو . ثم ها هو الذهبي الذي وصفه أحد العلماء^(٥) المحدثين من المنكرين لصفة العلو بالتغليل في تعليقه على كتاب الأسماء والصفات للبيهقي تحت قوله تعالى : ((أمنتهم ممن في السماء)) (الملك : ١٧) وهي من أدلة الفوقية كما ذكر المؤلف يقول مانصه : ((ويقع وصف الله سبحانه بالعلو على العرش في كلام المصنف وكلام ابن مهدي الطبري ومرادهما ليس العلو الحسي

- ١ . ابن خلكان : ٤ / ٢٥٢ .
- ٢ . أنظر العقيدة الطحاوية : ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .
- ٣ . أنظر الفتاوى : ٥ / ٢٧ .
- ٤ . أنظر شرح الطحاوية : ص ٢٨٥ - ٢٨٨ .
- ٥ . قلت : وهو من العلماء المعروفين بعدائهم لأهل السنة والجماعة الذين يخالفونه في معتقده في الأسماء والصفات ووصفهم بأوصاف متعسدة كالحشوية تارة والمجسمة أخرى . والذي يجعله محلا للشبهة عدم ذكر اسمه على كتاب الأسماء والصفات للبيهقي كما هو المعهود فيمن يتصدر كتاب مشهور كهذا وذلك في الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م التي وقفت عليها . وقد أشار إليه الألباني ومن وافقه في معتقده من علماء اليوم في مقدمة كتاب مختصر العلو للذهبي في مواضع متفرقة أنظر : ص ٣٤ ، ص ٦٥ .

فإنه يراد ان علو الشأن والمكانه كما هو طريق أهل الحق فلا تغفل مع الغافلين فتجعل كلام هؤلاء من قبيل العلو الحسي الذي يتخيل به أمثال الذهبي من المغفلين ((^(١) ما هو أعني الذهبي يفرد كتابا خاصا لاثبات عفة العلو جمع فيه من الأدلة العقلية والنقلية وكلام سلف هذه الأمة ضمنه قول أكثر من خمسين ومائه عالم في مختلف العصور والأزمنة منذ ظهور هذه الفتنة في أوائل القرن الثاني للهجرة الى أواخر القرن السادس للهجرة.^(٢)

وماذا بقي ؟ هل يتساءل متسائل أو يعيب علي من يتكلم عن هذه المذاهب والمعتقدات ويبين عورها للمسلمين ناهيك عن فسادها وتخلي أئمة كانوا يعتقدونها بعد أن وضح لهم الحق كما مر بيانه ومع هذا لا زال هناك من يعتقدها بل ويدعو لها بقلمه ولسانه ويشنع علي من يخالفه في ذلك . وقد وصف أبو حاتم الرازي من هذه حاله من أهل الأهواء ممن يلمزون أهل السنة والجماعة ببعض الصفات تلميحا أو تصريحاً فقال : ((وعلامة أهل البدع الوقعية في أهل الأثر ، وعلامة الجهمية أن يسموا أهل السنة مشبهة ونابته ، وعلامة القدرية أن يسموا أهل السنة مجبرة وعلامة الزنادقة أن يسموا أهل الأثر حشوية.^(٣)

ومن المناسب هنا أن أذكر ما وقفت عليه بجريدة المسلمون من جواب كان قد أجاب به مسؤول لمجمع علمي من دولة شقيقة من دول شمال افريقيا نص في المسألة التي نتحدث عنها لا للاستشهاد به . ولكن تدعيما لما سبق بيانه من القول برواسب التعطيل التي ورثها المسلمون عن الجهمية وغيرهم من نفاة العلو.

- ١ . أنظر الأسماء والصفات : ص ٥١٨ .
- ٢ . أنظر العلو للعلي الغفاري من ص ٧٩ الى النهاية حيث ذكر ما قاله الأئمة منذ أن ظهرت هذه المقالة على لسان الجهم وأتباعه مبتدئا بأبي حنيفة النعمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ ومنتها بأبي عبد الله القرطبي صاحب أحكام القرآن المتوفى سنة ٦٧١ هـ سوى ما ذكره عن الأئمة التابعين لكعب الأخبار والحسن البصري وحمام بن سلمه وغيرهم

أنظر ص ٧١ - ٧٨ .

٣ . أنظر العلو للذهبي : ص ١١٤ .

٤ . جريدة المسلمون العدد الستون : ٢٥ / ١٩ رجب ١٤٠٦ ص ١٠ .

والسؤال هو: أين الله؟ قلت لا اعتراض هنا على السائل والسؤال —
إذا قصد الحق في ذلك. وقد سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم
للجارية في الحديث المشهور وجوابها له بقولها ((في السماء))^(١) واقتراره
صلى الله عليه وسلم لها على الجواب وشهادته لها بالايان تبعاً لذلك
وهو من الأدلة المشهورة التي أفتتح بها الذهبي كتابه هذا فقال:
((فمن الأحاديث المتواترة الواردة في العلو حديث معاوية بن الحكم
السلمي ثم ذكر الحديث . . .))^(٢) بالطرق التي ورد بها ثم ذكره مرة أخرى
بعد ذكره لبعض الآثار الدالة على علوه سبحانه وقال هذا حديث صحيح
وهكذا رأينا كل من يسأل أين الله؟ يبادر بفطرته ويقول في السماء.
ثم قال: ((ففي الخبر مسألتان:

أحدهما: شرعية: قول المسلم أين الله؟
وثانيهما: قول المسلم: في السماء؟ فمن أنكرهاتين المسألتين فانما ينكر
على المصطفى صلى الله عليه وسلم.^(٣)

قلت: ومحل الشاهد الذي أنشده بعد بيان مشروعية السؤال.
هو ما أجاب به فضيلته السائل وهذا نصه: ((أين الله؟ سؤال حارت
فيه الأذهان واضطربت فيه الآراء وهو اضطراب وحيره يدل على عجز
الإنسان وقصوره وأن الله محيط بكل شيء متحكم في كل ما في الكون
ويكفي أن نذكر بآية سورة الحديد: ((وهو معكم أينما كنتم
والله بما تعملون بصير)) وآية سورة الأنعام: ١٠٣ ((لا تدركه الأبصار
وهو يدرك الأبصار)) أ. هـ.

قلت: وهل هذا إلا عين ما تعتقده الجهمية من نفاة الصفات معتزلة
كانوا أو غيرهم من أن الله حالٌ في كل مكان

-
١. مسلم: ١/٣٨١ ح ٥٣٧. أحمد: ٥/٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩.
 - ابوداود: ٢/٥٨٨ ح ٣٢٨٤. البيهقي في الاسماء والصفات: ص ٥٣٢.
 ٢. ذكره ابن عاصم في كتاب السنه تحت باب ان الله في السماء
دون الأرض: ١/٢١٥ ح ٤٨٩.
 ٣. أنظر العلو للذهبي: ص ١١، ص ١٢.

تعالى الله عن ذلك^(١). ولست هنا بصدد الرد أو التعليق على الحيصرة
والاضطراب اللذين أصابا فضيلته.
وحسبي أن أوضح رأي سلف هذه الأمة في المراد بالمعية التي أشار إليها
في سورة الحديد والمراد بالادراك في آية الأنعام التي أوردها.
أما المعية فهي نوعان :

معية عامة : شاملة لجميع الخلق وعلمه تعالى بكل شيء عن ذلك ومعرفته
لأحوال عباده كافرهم ومؤمنهم أينما كانوا من بر أو بحر يعلم سرهم ونجواهم
وذلك قوله تعالى : ((ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض
ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى
من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة
ان الله بكل شيء عليم)) (المجادلة : ٧) .

(٢)
قال أحمد بن حنبل : ((يفتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه)) .

قال ابن كثير : ((حكى غير واحد الاجماع على أن المراد بهذه الآية
معية علمه تعالى ولا شك في ارادة ذلك))^(٣) .

وقال ابن تيمية رحمه الله : ((لفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة
في مواضع يقتضي في كل موضع أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر ، فاما
أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع
مواردها وان امتاز كل موضع بخاصية فعلية التقديرين ليس مقتضاها
ان تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت
عن ظاهرها))^(٤) .

١ . قلت : ولينفاة العلو عنه جل وعلا مذهبين في ذلك أحلاهما مر :
فطائفة قالوا هو تحت الأرض السابعه كما هو على العرش فهو على
العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان ولا يخلو منه مكان
ولا يكون في مكان دون مكان . أنظر الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ١٣٥
وأخرى قالت : انه لا فوق ولا تحت ولا يسار ولا أمام ولا خلف ولا داخل
العالم ولا خارجه . ولازم هذا المعتقد نفي وجود الخالق . وذلك
ما يدين به أهل وحدة الوجود عن غلاة الصوفية . أنظر الفتاوى :

٢٧٢/٥ ، ٢٧٣ ، والعلو للذهبي : ص ١٦٢ - ١٦٣ .

٢ . أنظر الرد على الجهمية : ص ١٣٨ .

٣ . تفسير ابن كثير : ٤ / ٣٢٤ .

٤ . الفتاوى : ١٠٤ / ٥ .

أما قوله تعالى : ((لا تدركه الأبصار)) فالمراد بذلك الاحاطه كما هو اختيار جماعة من السلف . قال قتادة : ((لا تدركه الأبصار)) قال : هو أعظم من أن تدركه الأبصار ونحوه عن سعيد بن المسيب وعطاء^(١) . وروي عن ابن عباس قوله : ((لا تدركه الأبصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة))^(٢) . قلت : وقد ضعف ابن تيمية القول بأن الإدراك بمعنى الرؤية وقال : ((الإدراك عند السلف والأكثرين هو الاحاطة وقالت طائفة هو الرؤية وهو ضعيف لأن نفي الرؤية عنه لا مدح فيه فان العدم لا يرى وكل وصف يشترك فيه الوجود والعدم لا يستلزم أمراً ثبوتياً فلا يكون فيه مدح اذ هو عدم محض بخلاف ما اذا قيل لا يحاط به فانه يدل على عظمة الرب جل جلاله . وأن العباد مع رؤيتهم له لا يحيطون به رؤية كما أنهم مع معرفته لا يحيطون به علماً ، وكما أنهم مع مدحه والثناء عليه لا يحيطون ثناءً عليه بل هو كما أثنى على نفسه المقدسة ولهذا قال أفضل الخلق وأعلمهم : ((لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك .))^(٣) . أ . هـ .^(٤)

ومثال آخر : لتوضح الرؤية لدى من يشك في تغفل مثل هذه المعتقدات الفاسدة لدى كثير من المنتسبين للعلم اليوم كالذي نشرته مجلة البلاغ الكويتية . لواحد من هؤلاء الذين تأثروا بمثل هذه المعتقدات وذلك في تأويله لقوله تعالى : ((ثم استوى على العرش))^(٥) ان استوى على العرش بمعنى استولى عليه وملكه واستدل على ذلك بقول القائل .

قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مہراق

١ ، ٢ أنظر الطبري : ١٩٩ / ٧ والبغوي : ١٢٠ / ٢ وابن كثير : ١٦٣٦٢ .

٣ . مسلم : ٣٥٢ / ١ ح ٤٨٦ .

٤ . الفتاوى : ١١١ / ١٧ .

٥ . أنظر العدد رقم ٦٣٧ ومجلة البحوث الإسلامية العدد رقم ١٤ ص ٣١٧ - ٣٢٠ لعام ١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ ورد فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز على هذا التأويل الفاسد .

٦ . الاعراف : ٥٤ ، يونس : ٣ ، الرعد : ٢ ، الفرقان : ٥٩ ، السجده : ٤ الحديد : ٤

ونسب ذلك لأهل السلف . وهل هذا التأويل إلا عين ما يدىن به
المؤلفون لصفات الله من جهمية ومعتزلة ومن سلك سبيلهم
في نفي صفاته وتعطيله جل وعلا عما وصف به نفسه فضلا عن كـون
ما استدل به ليس من لغة العرب ولم يؤلوا الاستواء بمعنى الاستيلاء!)
وان هذا التأويل لهذه الصفة خلاف ما علمه وأعتده سلف هذه الأمة
قدىما وحديثا من كـون الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن
ما سوى ذلك بدعه .

ويمضى المؤمن في دعوته مبينا لقومه صدق دعوته ورغبته الصادقة في
اتباعهم له معرضا لهم بدعوه فرعون لهم وخطل دعوته في الرشاد الذي
ادعى هدايتهم اليه في قوله لهم : ((وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد))
ثم بين لهم ما قد يكون سببا لصددهم عن اتباع الهدى وطريق الحق
بما ينخدعون به من زينة الحياه الدنيا وزخرفها وان كل ذلك متاع
زائل لا يقاس بما عند الله في الآخرة من الفضل والثواب وان ما وعد
الله به الصالحين من عباده في الدار الآخرة خير وأبقى ((وان الآخرة

هي دار القرار)) . قال تعالى : وَقَالَ الَّذِي

ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٨﴾
يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
دَارُ الْقَرَارِ ﴿٢٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَوْا وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٠﴾

معاني المفردات:

الاتباع : هو اقتفاء الأثر وتتبعه (١).

المتاع : المتعة والمتاع المنفعة وقيل المتاع ما فيه لذة عاجلة (٢).

القرار : هو المكان الذي يستقر فيه ولا يزول عنه الى غيره . مأخوذ من المكان الذي يستقر فيه الماء (٣).

الصلاح : ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وقول في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة (٤) قال تعالى : ﴿ لا تملطوا عملا صالحا وأخر سيئا ﴾ (التوبة : ١٠٢) .

الرزق : هو ما ينتفع به والجمع أرزاق ويراد به العطاء والأرزاق نوعان : ظاهرة للأبدان كالأقوات ومبطنة للقلوب كالمعارف والعلوم (٥).

قوله : ((يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد)) بين جل وعلا ما كان من هذا الداعية المخلص في نصحه لقومه ودعوته لقومه بالاعتداء به في المسلك الذي سلكه وذلك باتباع الطريق السوي طريق الايمان بالله تعالى الذي يهدي سالكه الى الجنة وهو الذي يرشدون به عن الغي والسفاهة والضلال الذي كان يدعوهم اليه الا هم المزعوم فرعون .

ثم يزهدهم في هذه الحياه الفانيه ويبين لهم أن ما أغتروا به من زخرفها ونضارتها ما هو الا متاع زائل لا بقاء له ولا قياس له مع ما في الآخرة من عيش رغيد وراحة دائمة . قال تعالى : ((فمتاع الحياه الدنيا غي الآخرة الا قليلا)) (التوبة : ٩) وكذا قوله تعالى يصف الحياه الدنيا بالنسيه للآخرة ((وما هذه الحياه الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)) (العنكبوت : ٦٤) الى غير ذلك من الآيات الداله على حقارة الدنيا وشأنها بالنسيه للآخرة . ((وان الآخرة هي دار القرار))

١ . الراغب : ٧٢ .

٢ . مقاييس اللغه : ٢٩٤ / ٥ .

٣ . اللسان : ٨٤ / ٥ - ٨٥ .

٤ . البصائر : ٤٣١ / ٣ .

٥ . اللسان : ١١٥ / ١ .

لإنها المستقر الذي يستقر فيه عباد الله بما أهداه الله لهم من الخير والفضل وطيب المقام ((في جنات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر)) (القمر: ٥٤، ٥٥) . يأسعادة من كان ذلك مقره ومقيله ((أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا)) (الفرقان: ٢٤) . وكما أن الجنة دار مقام واستقرار لأهلها ينعمون فيها بما لذ وطاب فكذلك النار دار بؤس وشقاء لأهلها . وذلك قوله تعالى: ((وإن المجرمين في عذاب جهنم خالدون . لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون)) (الزخرف: ٧٤، ٧٥) قال قتادة: ((وإن الآخرة هي دار القرار)) قال: ((استقرت الجنة بأهلها والنار بأهلها))^(١).

قوله: ((من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها)) يبين الله تعالى لنا ما بينه المؤمن لقومه عن كيفية الجزاء والحساب يوم القيامة وإن من عدله جل وعلا بعباده معاملته المسيء منهم على قدر إساءته وذلك قوله تعالى: ((ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها)) (الأنعام: ١٦٠) . وكذا قوله: ((ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون)) (القصص: ٨٤) وهذا على اعتبار عموم السيئة فما كان منها من قبيل الكفر والشرك على حد قول قتادة: ((اذ السيئة عنده الشرك))^(٢) . فحسب صاحبه جهنم وساءت مصيرا . قال تعالى:

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتَ وَجْهَهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) (النمل: ٩٠) . وما كان دون ذلك من ذنب فالحق فيه ما قاله الرؤوف الرحيم بعباده ((يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم)) (آل عمران: ١٢٩) . ما لم يكن هناك كفراً أو شركاً وإن مات صاحب الذنب قبل توبته منه وذلك خلاف ما تعتقده المعتزلة والخوارج من القول بتأييد صاحب الكبيرة في النار إذا مات قبل توبته من معصيته.^(٣)

٢٤١ الطبري: ٤٤/٢٤ والدر: ٣٥١/٥ .

٣ . أنظر الطحاوي: ٣٧٠ .

والمثلية في الآية عامة تتناول أحكام الجنايات إذ هي أصل من
الأموال التي يحكم بها فلا يتعدى المثل في الجناية ((ومن جاء
بالسئته فلا يجزى إلا مثلها)) (١) (الأنعام: ١٦٠).

ويعد أن ذكر المؤمن ما يترتب على السيئة من العقاب شرع في بيان
ما يترتب على الحسنة من الثواب والأجر من العبد ذكرا كان أو أنثى
وانه ليس كالسيئة يقصر على المثل وذلك قوله تعالى: ((من جاء
بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها
وهم لا يظلمون)) (الأنعام: ١٦٠) وفي ذلك بيان لتغليب جانب
الفضل والرحمة على الشدة والعقاب فيقول الحق تعالى عن ذلك
((ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير حساب))

فبين أن صلاح العمل من العبد ذكرا كان أو أنثى مرتبط بالإيمان
بالله وبرسوله وبما جاء عنهما إذ هو أساس العمل الصالح وبدونه
لا يسمى العمل صالحا البتة فارتباط سعادة المؤمن في أولاه وأخراه
بعمله الصالح المترتب على إيمانه وصدق نيته وخلوص عمله وكونه
موافقا لشرع الله وسنة رسوله ومن كان كذلك فقد أقسم الله على
نفسه أن يجعل حياته طيبه وأن يجزيه أوفر الجزاء وأحسنه وذلك
قوله: ((من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة
طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)) (النحل: ٩٧).
وهكذا يرتبط العمل الصالح والسعي له بالإيمان ((ومن أراد الآخرة
وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا))
(الاسراء: ١٩).

قال ابن تيمية: ((والعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات
وهو ما أمر الله به والذي أمر به هو الذي شرعه الله وهو الموافق
لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كان السلف يجمعون
بين هذين الأصلين كقول الفضيل بن عياض: ((ليلوكم
أيكم أحسن عملا)) (الملك: ٢)

قال : أخلصه وأصوبه فليل ياأبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، وإذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا . والخالص : أن يكون لله ، والصواب : (١) أن يكون على السنة)) .

فإذا تبين إن عالم يكن كذلك من العمل لا يوصف بالصلاح وإن اعتقد صاحبه صوابه وهو ما دل عليه القرآن : ((قل هل ينبتكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . . .)) (الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤) .
وكذا قوله : ((وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءا منثورا)) (الفرقان : ٢٣) إلى غير ذلك من الآيات المبينة لذلك . فاللهم اختم لنا بالعمل الصالح واجعله خالصا صوابا .

قوله : ((أولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب)) قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر وشعبة بضم الياء وفتح الخاء والياقون بفتح الياء وضم الخاء (٢) والإشارة في الآية لمن تقدم ذكره ممن توفرت فيه شروط العمل الصالح من المؤمنين والمؤمنات . فيقال لهم حينئذ ((سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)) (النحل : ٣٢)

قوله : ((يرزقون فيها بغير حساب)) أي يعطون في الجنة عطاء لا محاسبه فيه قال قتادة : ((والله ما هناكم مكيال ولا ميزان)) (٣) وروي عن مقاتل : لا تبعه عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير . (٤)

قال الزمخشري : قوله : ((بغير حساب)) (واقع في مقابله إلا مثلها : يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لثلا يزيد على الإستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة) (٥) .

١ . الفتاوى : ٢٨ / ١٧٧ .

٢ . البدور الزاهره : ٢٧٨ .

٣ . الطبري : ٢٤ / ٤٤ والدر : ٥ / ٣٥١ .

٤ . البغوي : ٤ / ٩٨ .

٥ . الكشاف : ٣ / ٤٢٨ .

ويضي المؤمن في دعوته لقومه منكراً عليهم هذا السفه في دعوتهم له فهو يدعوهم إلى النجاة والسلامة من النار وهم يدعونه إليها بما يقترونه من الكفر والشرك الموجب لذلك وشتان بين دعوة ودعوة ثم يقرر بطلان دعوتهم هذه في الدنيا والآخرة وسيبين لهم حقيقة ذلك عندما يـرد الجميع إلى الله ((يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)) (غافر : ٥٢) منها دعوتهم لهم بتفويض أمره إلى الله فهو الخبير بعبادته يحكم فيهم بعلمه وعدله ما يشاء . وقد حكم فيهم بما هم أهله ((وحق بآل فرعون سوء العذاب)) .
ويضي المؤمن في سياق دعوتهم لقومه قائلاً :

﴿ وَنَقَوْمٍ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ ﴿١١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَفْوَ ﴿١٢﴾ لَأَجْرَهُ إِنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ .
وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿١٣﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٤﴾ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مِمَّا مَكَّرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿١٦﴾

المفردات

النجاة : أي الخلاص من الشيء ، والأصل فيها ما أرتفع عن الأرض فلا يعلوه السيل^(١) !

جرم : أصل الجرم قطع الثمرة عن الشجر والجرامة ردىء الثمر المجروم وأستعير لكل اكتساب مكروه ولا يكاد يستعمل في الكسب المحمود^(٢) .

١ . الصحاح : ٢٥٠٢ / ٦ .
٢ . الراغب : ص ٩١ ، البصائر : ٣٥٦ / ٢ .

المرد : المرجع والسأل .

التفويض : ارجاع الأمر إلى الله .

الوقاية : الحفظ من المكروه .^(١)

المكر : صرف الغير عما يقصده بنوع من الحيلة وهو ضربان :

محمود يتحرى به أمر جميل نحو قوله تعالى : ((ومكـر

الله والله خير الماكرين)) (آل عمران : ٥٤) ومذموم يتحرى

به فعل ذميم كما كان من فرعون وقومه .^(٢)

حاق : من الحقوق وهو الإطار المحيط بالشيء المستدير حوله^(٣)

وذلك من إحاطة العذاب بفرعون وقومه إحاطة السوار بالمعصم .

العرض : العرض خلاف الطول أصله في الأجسام . ثم استعمل في

غيرها ومنه عرض آل فرعون على النار .^(٤)

الشرح :

قوله : ((ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار)) وهكذا ينكر

المؤمن على قومه في مبالغة واستنكار شديد بين ما لكم وأي حال هذه ؟

وأي منطق تقبله العقول السليمة . أدعوكم إلى ما يكفل لكم الأمن والسلامة

من عذاب الله وعقابه لتتحقق لكم النجاة بدعونكم إلى الإيمان فتكون

لكم الجنة . قال مجاهد : ((أدعوكم إلى النجاة قال : إلى الإيمان بالله^(٥)

قوله : ((وتدعونني إلى النار)) أي تدعونني إلى ما يوجب الهلاك باتخاذ

الانداد والشركاء فتستوجبون النار لذلك . وذلك ما دل عليه القرآن

((إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين

من أنصار)) (العائده : ٧٢) .

١ . الصحاح : ٢٥٢٧/٦ .

٢ . البصائر : ٥١٦/٤ .

٣ . اللسان : ٧١/١٠ .

٤ . البصائر : ٤٤/٤ .

٥ . أنظر الطبري : ٤٤/٢٤ والدر : ٣٥١/٥ والبخاري على الفتح :

قال الزمخشري: ((وفي تكرير النداء زيادة تنبيه لهم وإيقاظ سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك أن لا يتهموه فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على نصيحتهم لهم كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه ((يا أبت)) قال: وأما المجيء بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له، فأعطي الداخل عليه حكمه في أمتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المشابهة.))^(١)

قوله: ((تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم)) تدعونني هذه بدل من تدعونني الأولى لأن الدعوة إلى الكفر والشرك بالله دعوة إلى النار.^(٢) إذ كان من قوم فرعون الكافر بالله والجاحد له كفرعون ومنهم المشرك به سبحانه باتخاذ الآلهة والأصنام وذلك ما يدل عليه قوله تعالى: ((وبذرك وآلهتك)) (الأعراف: ١٢٧) وفي قيل المؤمن هذا ((تدعونني لأكفر بالله... الآية)) بيان لما أجمل من دعوتهم له إلى النار.

وقوله: ((ما ليس لي به علم)) نفى العلم بوجود إله غير الله فضلا عن عبادته وفي ذلك تحقير لبيان شأنهم كأنه قال كيف؟ أعبد من دون الله وأشرك به ما ليس بإله أصلا وكيف أجعله شريكا من دون الله؟^(٣) ((أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)) (الشورى: ٢١).

ثم يبين لهم الطريق الحق الذي يدعوهم إليه والإله الذي يستحق العبادة وحده ((العزيز الغفار)) العزيز في ملكه لا يغلبه أحد يقهر ولا يقهر القادر على الإنتقام منكم لإعراضكم عن دعوته ((أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)) (يوسف: ٣٩).

((الغفار)) لمن تاب إليه وأتاب وندم وأستغفر يعفو عن السيء ذنبه وإن كان كافرا مادام قد أقلع عنه وتاب منه وذلك قوله تعالى: ((وإنسي لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)) (طه: ٨٢).

١. أنظر الكشاف: ٤٢٩/٣.

٢. حاشية الجمل: ١٧/٤ والأضواء: ٨٨/٧.

٣. أنظر الرازي: ٧٠/٢٧ بتصرف.

وكقوله تعالى : ((إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم)) (النمل : ١١) . إلى غير ذلك من الآيات الدالة على سعة فضله ورحمته بعباده . وفي هذا دعوة لفرعون وقومه وأن بإمكانهم التوبة إلى الله والرجوع إليه سبحانه قبل أن يحل بهم عذابه وحينئذ ((لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل)) (الانعام : ١٥٨) . قال ابن زيد : ((العزيز الغفار)) وهذا الذي هذه الصفة صفتها فاعبد والإملا ضر عنده ولا نفع .^(١)

قوله : ((لا جرم أنما تدعوني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة)) الجرم في الأصل بمعنى القطع كما سبق بيانه . واختلف العلماء في معناها فقال الفراء : ((كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد أنك قائم ولا محالة أنك ذاهب فجرت على ذلك ، وكثر استعمالهم إياها حتى صارت بمنزلة حقا ، ألا ترى أن العرب تقول لا جرم لأتيناك لا جرم قد أحسنت . وكذلك فسرها المفسرون بمعنى الحق . وأصلها من جرمت أي كسبت الذنب وجرمت وجرمته . وليس قول من قال إن جرمت كقولك حققت أو حققت بشيء وإنما لبس على قائله قول الشاعر :^(١)

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن تغضبا
قال : فرفعوا فزارة قالوا نجعل الفعل لفزارة كأنه بمنزلة حق لها
أو حق لها أن تغضب . وفزارة منصوبة في قول الفراء أي جرمتهم الطعنة
أن يغضبوا .^(٣)

٠١ . انظر الطبري : ٤٥ / ٢٤ .

٠٢ . قال أبو عبيده هو أبو أسماء بن الضريبة أو عطية بن غنيم .
انظر المجاز : ٣٥٨ / ١ . وذكره في اللسان منسوباً لابن الضريبة .
انظر اللسان : ٩٣ / ١٢ . قلت وهما شاعران جاهليان . انظر
خزانة الأدب : ٣١٤ / ٤ .

٠٣ . معاني القرآن للفراء : ٩٦٨ / ٢ . وانظر الطبري : ٤٢ / ٦ .

وقال الأخفش: لا جرم بمعنى حق^(١). وذكر نحو هذا أبو عبيدة في المجاز فقال: لا جرم أي حقا وذكر عقب الشاهد الذي أورده الفراء قوله: أي أحقت لهم الغضب^(٢). وذكر الجوهري نحو قولهما وزاد وحقت أيضا من قولهم لا جرم لأفعلن كذا أي حقا^(٣).

وقال الكسائي: لا جرم لا صد ولا منع عن أنهم وقيل لا قطع قاطع فحذف الفاعل حين كثر استعماله^(٤). فيكون معنى قوله تعالى: ((لا جرم أنما تدعوني إليه)) أي حقا وجب بطلان ما تدعوني إليه من الأنسداد والآلهة التي تدعونها من دون الله.

قوله: ((ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة)) أي لا يقبل لها دعاء في الدنيا ولا في الآخرة ((إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم)) (فاطر: ١٤).

وفي ذلك تعريض بفرعون اللعين ومن يعبده من قومه في زعمه الألوهية لهم فضلا عن أن يكون المعبود صنما لا يعقل شيئا. ((ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون. وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)) (الاحقاف: ٦٥). إلى غير ذلك من الآيات الدالة على سفه وضلال من يدعون من لا يدفع ضرا ولا يجلب نفعا من مثل قوله تعالى: ((قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا)) (المائدة: ٧٦).

قال مجاهد: ((ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة قال: الوثني ليس بشيء^(٥). وقال قتادة: لا ينفع ولا يضر^(٦). وقال السدي: لا يجيب داعيه في الدنيا ولا في الآخرة^(٧).))

١. معاني القرآن للأخفش: ١/٢٥٠.
٢. أنظر المجاز: ١/٣٥٨.
٣. أنظر الصحاح: ٥/١٨٨٦.
٤. أنظر القرطبي: ٩/٢٠-٢١ واللسان: ١٢/٩٠.
٥. أنظر الطبري: ٢٤/٤٥. البخاري: ١٠/١٧٥ وابن كثير: ٤/٨١.
٦. ٧، ٦. الطبري: ٢٤/٤٥ وابن كثير: ٤/٨١.

قوله : ((وأن مردنا إلى الله)) أي مرجعنا إليه سبحانه فيحكم بيننا فيما اختلفنا وإياكم فيه وذلك ما دل عليه القرآن ((إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)) (المائدة : ٤٨) . قوله : ((وأن المرفين هم أصحاب النار)) المراد بالمرفين المتجاوزين الحد في المعاصي المحاربتين لله ورسله من المتكبرين والجبارين المتعاليين عن الحق ممن وجبت لهم النار لقاء ما أسرفوا به على أنفسهم من الكفر والشرك قال ابن زيد : المراد بالمرفين فرعون ومن معه .^(١)

قوله : ((فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد)) وذلك من تمام قيل المؤمن لقومه خلافا لمن قال أنه من قول موسى . قال صاحب الأضواء : ((التحقيق الذي لا شك فيه أن هذا الكلام من كلام مؤمن آل فرعون الذي ذكر الله عنه وليس لموسى دخل فيه))^(٢) وفيه تحذير لهم وتوعد شديد بأن هذا الإعراض منهم والصد والتكذيب لموسى ودعوته سيأتي بعد ذلك يوم تذكرون فيه نصحي لكم عند ما تعابنون عذاب الله وعقابه إذا حل بكم وتندمون أشد الندم على عدم قبول النصح وذلك يوم القيامة عندما تنكشف الحقائق وتبلى السرائر وأن هذه حال كل المكذبين برسلهم يوم القيامة كما دل عليه القرآن ((وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل . لكل نبيٌ مستقر وسوف تعلمون)) (الانعام : ٦٦ ، ٦٧) وكذا قوله تعالى : ((ولتعلمن نبأه بعد حين)) (ص : ٨٨) . إلى غير ذلك من الآيات المبينة لذلك . قال ابن وهب : قال ابن زيد :

((فستذكرون ما أقول لكم)) فقلت له : أذلك في الآخرة ؟ قال : نعم .^(٣)

قوله : ((وأفوض أمري إلى الله)) أي ألتجىء إليه وأعتصم به منكم فهو حسبي فيكم وتغويض الأمر إليه جل وعلا والتوكل عليه لما قصدوه به من الشر والنكايه . ونظير ذلك من المؤمن ما فعله موسى من الاستعاذه بربه لما هم اللعين بقتله وعلم بمقالته قال : ((إني عذت بربي وربكم)) قال ابن زيد : ((وأفوض أمري إلى الله)) أسلم أمري إلى الله وأجعله إليه وأتوكل عليه فإنه الكافي من توكل عليه .

١ . الطبري : ٤٥ / ٢٤ .

٢ . أنظر الأضواء : ٨٨ / ٧ .

٣ . الطبري : ٤٦ / ٢٤ .

(١) وذكر نحوه السدي . وهو ما دل عليه القرآن ((ومن يتوكّل على الله فهو حسبه)) (الطلاق : ٣) .

قوله : ((إن الله بصير بالعباد)) أي هو الخبير بأحوال عباده يعلم المطيع منهم والعاصي ويعلم المتكبر والمصرف ويعلم الذي يستحق الجنة أو النار من عباده . قال السدي : ((إن الله بصير بالعباد)) يقول : إن الله عالم بأمور عباده ومن المطيع منهم والعاصي له والمستحق جميل الثواب والمستوجب سيء العقاب .^(٢)

قوله : ((فوقاء الله سيئات ما مكروا وحق بآل فرعون سوء العذاب)) . أي أنجى الله في الدنيا والآخرة لإيمانه بربه وتصديقه برسله وتفويض أمره إليه بتوكله عليه سبحانه مما كان سبباً لإنجائه في الدنيا مما كان يمكّره أعداءه من القتل أو التعذيب . حيث يقال أنهم أرادوا قتله فهرب إلى جبل فلم يقدرُوا عليه .^(٣)

قلت والأولى أن يكون الإنجاء عاماً من القتل والتعذيب أو الكفر به جل وعلا والإشراك به كما دعاه قومه إليه إذ أنجاه ربه بأن وفقه إلى الإيمان به وبرسله مما كان سبباً في نجاته يوم القيامة وإدخاله الجنة دار المتقين .

قال قتاده : قوله : ((سيئات ما مكروا)) قال : وكان قبطياً من قوم فرعون فنجى مع موسى قال : وذكر لنا أنه بين يدي موسى يومئذ يسير ويقول أين أمرت يا نبي الله فيقول : أمامك فيقول له المؤمن وهل أمامي إلا البحر فيقول موسى : ما كذبت ولا كذبت ثم يسير ساعة ويقول أين أمرت يا نبي الله فيقول أمامك فيقول وهل أمامي إلا البحر فيقول لا والله ما كذبت ولا كذبت حتى أتى البحر فضربه بغصاه ففلق رثني عشر طراً يقاب لكل سبط طريقتي)) .^(٤)

قوله : ((وحق بآل فرعون سوء العذاب)) آل فرعون عني به فرعون وأتباعه من الكفرة والملحدّين أحاط بهم عذابه في الدنيا بقتل من أراد بالمؤمنين سوءاً وبإهلاك من بقي منهم بالغرق وذلك قوله تعالى : ((وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين)) (الانفال : ٥٤) .

٢٦٦ - أنظر الطبري : ٤٦ / ٢٤ .

٣ - أنظر ابن الجوزي : ٢٢٦ / ٥ والقرطبي : ١٥ / ٢١٨ . أبو حيان : ٤٦٨ / ٧ .

٤ - الطبري : ٤٦ / ٢٤ .

وفي البرزخ بما يعذبون به حتى تقوم الساعة ((ألتأر يعرضون عليها غدواً وعشياً)) وفي الآخرة يسامون سوء العذاب . ((ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)) وهكذا يكون نهاية الظلم والظالمين ((ولا يحق المكر السيء إلا بأهله)) (فاطر: ٤٣) .

بعض الدروس والعبر من دعوة مؤمن آل فرعون لقومه:

إن الدعوة إلى الله قديمة قدم الأديان وستبقى كذلك بمشيئته تعالى حتى يرث الله الأرض ومن عليها . ووجود دعاة من الصالحين في كل زمان ومكان يؤازرون أنبياءهم في دعوتهم وينصرونهم قديم كذلك . فما من نبي بعثه الله في أمة من قص القرآن علينا خبرها إلا كان له من أمته حواريون يأتمرون بأمره وينتهون لنهيهِ . وذلك ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود قال : ((ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره)) وهو ما دل عليه القرآن ((يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله)) (الصف: ١٤) .

والدعوة إلى الله طريق المؤمنين من الأنبياء والصالحين وأنعم به من طريق ((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)) (يوسف: ١٠٨) . والدعوة إلى الله بما يوافق كتابه ومنهج أنبيائه واجب جماعي يبدأ بالفرد فالمجتمع فولي الأمر الذي ولاءه الله أمر رعيته ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيتهِ فالأمر الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيتهِ والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم . والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيتهِ)) (٢) .

١ . مسلم: ١/٧٠ - ح ٥٠ .

٢ . البخاري: ١٦/٢٢٩ - ٢٣٠ . ومسلم: ٣/١٤٥٩ ح ١٨٢٩ .

وأية مسؤولية أعظم على الراعي والرعية من مسؤولية الدعوة الى الله واستقامة الناس عليها ومتى كان المجتمع كذلك كان مجتمعا صالحا ومتى فقدت الدعوة الى الإصلاح إهتزاكيا ن ذلك المجتمع وفسدت عقيدته وأوشك أن يعمه الله بعقاب من عنده وهو ما دل عليه القرآن ((وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)) (هود: ١١٧) فمسؤولية الراعي عن الرعية مسؤولية عظيمة والأخذ على يد الرعية لما فيه صلاح دينها ودنياها أمر له شأنه في إصلاح المجتمع والتخلي عن ذلك والتعاس عنه غش للرعية .

وكيف تكون الحال إذا كان الراعي مخادع لرعيته وغاش لها في عقيدتها أو كان سببا في صدها عن ذكر الله وقبول دعوة رسله كما كان الحال من فرعون اللعين لرعيته . ومن كانت هذه حاله مع رعيته لم يــــروح رائحة الجنة . قال صلى الله عليه وسلم : ((ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)) (١)

والقرآن كله دروس في الدعوة إلى الله وبيان للصراع الذي تم بين الحق والباطل بين الكفر والإيمان بين حزب الله وحزب الشيطان . ومؤمن آل فرعون واحد من أولئك الدعاة الذين عايشوا الباطل وأهله لنستفيد من رحلته تلك مع الدعوة إلى الله والتي حفظها لنا القرآن لتكون ((موعظة وذكرى للمؤمنين)) (هود : ١٢) . ولنعرف طريقته في ذلك فنقول :

أولا : الأسلوب المتميز الذي سلكه مع قومه ليسمعوا لنصحه لهم باعتبارهم واحدا منهم وإخفائه لإيمانه . ليكف عنه بذلك شر نعمتهم عليه وتعريضه بهم في قبيله ((إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)) وكذلك جرأته في الحق وعدم السكوت على الباطل عند ما رأى الأمور وصلت إلى حد المشورة بقتل موسى وإنكاره لهذا العمل الشنيع منهم ((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله)) . وكلمة الحق في مثل هذا الموطن وعند ذلك السلطان الجائر الذي لا يعرف للحق سبيلا من أعظم القرب إلى الله كما روي عنه صلى الله عليه وسلم :

١ . البخاري : ٢٤٥ / ١٦ - ٢٤٦ ومسلم : ١٤٦٠ / ٣ ح ١٤٢ .

((أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر وفي رواية : كلمة حق عند سلطان جائر))^(١)

وكذلك الداعية إلى الله يجب أن يكون جريئاً في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم إذ الساكت عن الحق شيطان أخرس. وما انتشر الباطل في كثير من البلاد الإسلامية اليوم إلا بسبب نكوص الدعاة إلى الله عن دعوتهم فخلت الساحة للفسقه والمجرمين ولكن الله ناصر دعوته ودعواته وإن كثرت الباطل والدعاة إليه وقل أهل الحق والدعاة إليه وليكن كل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة وتلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته لقومه كما يصورها القرآن : ((ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)) (آل عمران : ١٥٩) .

وثانياً : تذكيره لقومه نعم الله عليهم وتمكينهم في الأرض وعلوهم على بني إسرائيل وتحذيرهم بأس الله ونقمته منهم في قبيله لهم : ((يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا)) .

ما يبين لنا خطر المعصية على المجتمع بأسره وأنها سبب لزوال نعمه التي أنعم بها على عباده والتحذير من الوقوع فيها وإن شؤمها لا يختص بمرتكبيها إذا رضي المجتمع بها وذلك ما دل عليه القرآن ((لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)) (المائدة : ٧٨ ، ٧٩) وكذلك قوله : ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)) (الانفال : ٢٥) . وقد روي عن ابن عباس في تفسيرها قوله ((أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين ظهرائهم فيعمهم الله بالعذاب)) قال ابن كثير : وهذا تفسير حسن جداً .^(٢)

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم : ((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونني فلا يستجاب لكم))^(٣) والآيات والأحاديث في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً .

١ . أحمد : ١٩ / ٣ / ٦١ وابن ماجه : ١٣٢٩ / ٢ / ٤٠١١ وأبو داود : ٥٦٤ / ٤ -

٢ . أنظر تفسيره : ٣٠٠ / ٢ .

٣ . أحمد : ٣٨٨ / ٥ / ٣٩٠ / ٣٩١ والترمذي : ٣٩٠ / ٦ / ٢٢٥٩ .

وثالثا : صبره وتحمله لقومه وعنادهم وتكراره دعوته المرة تلو المرة بلطف وأدب وعدم يأسه وقنوطه وإظهار الشفقة عليهم والتلطف معهم بدعوتهم يا قومي وتكرير ذلك النداء لتلين قلوب القوم ويشعرهم صدق إخلاصه في الدعوة لهم .

وكذلك الداعية يجب أن يكون صبورا غير مستعجل للنتائج صادقا في دعوته حتى تؤتي ثمارها بإذن الله وكذلك كانت حاله صلى الله عليه وسلم مع قومه في مكة أكثر من أرثني عشر عاما يدعو إلى عبادة الله وحده وما آمن معه إلا القليل فصبر واحتسب فنصره الله ونصر دعوته ولم يمت حتى رأى ذلك بعينه في فتح مكة .

لأن الداعية لا يقاس نجاحه في دعوته باستجابة المدعوين له من عدمه بقدر ما يقاس بإخلاصه والتضحية من أجل دعوته وما عدا ذلك من نتائج فأمره إلى الله ولن يغير الداعي بدعوته شيئا سبق في علمه تعالى ولنا في رسل الله وأنبيائه المثل الأعلى فيها هو نوح دعا في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما وما آمن معه إلا قليل ولما أعجزوه خاطبهم بما قص الله عنه ((ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون)) (هود : ٢٤) .

رابعا : للمسلم أن يستعمل التقية مع عدوه إذا خاف الضرر على دينه ونفسه وليكن ذلك بلسانه دون قلبه لما كان من المؤمن مع قومه وإخفائه إيمانه عنهم خشية تعرضه للأذى من فرعون وملائكته وذلك ما دل عليه القرآن . كقوله تعالى : ((إلا أن تتقوا منهم تقاة)) (آل عمران : ٢٨) . مع أن المؤمن لو صبر واحتسب في سبيل دعوته وإن تعرض للأذى فذلك سبيل الأنبياء والصالحين ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة الحسنة وقد عانى الكثير من ذلك في مكة من قبل المشركين قال عروة بن الزبير : قلت لعبد الله بن عمرو ابن العاص أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله : قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبه ابن أبي عبيط

فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه
فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبوبكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال : ((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد
جاءكم بالبينات من ربكم)) (غافر: ٢٨) . ولهذا يقال فيما روي عن
علي بن أبي طالب أن أبا بكر أفضل من مؤمن آل فرعون لأن ذلك رجل
كان يكتم إيمانه من قومه وأثنى الله عليه في كتابه وهذا أبوبكر أظهر
إيمانه وبذل ماله ودمه لله عز وجل .

خامسا : الداعية ينبغي أن يكون حكيما في دعوته ملما بأحوال المدعوين
مع التنوع في أساليب دعوته فيستخدم الترهيب تارة والترغيب تارة .
ويقاس الأشیاء على النظائر كما حصل من مؤمن آل فرعون وتحذيره قومه
ما حصل للأمم المكذبة لرسول ربها من الهلاك والدمار أن يحصل لهم
بجامع التشابه بينهما في الجرم والمعصية بتكذيب رسل الله
والصد عن سبيله . كذلك تحذير المدعوين زخرف الدنيا والإغترار
بها وتشويقهم للجنة ونعيمها كحال المؤمن مع قومه ((يا قوم إنما
هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هي دار القرار)) (غافر: ٣٩)
وهو كذلك فالدنيا متاع زائل تنافسها الناس قديما وحديثا فأهلكتهم
وهو ما كان يخشاه على أمته صلى الله عليه وسلم حيث قال : ((ما للفقر
أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على
من كان قبلكم فتنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم)) (٣)

سادسا : يلزم الداعية الإصغاء إلى الخصم في حاجته وجد الله
وإنصات الداعي لقوله وعدم وصفه بأوصاف تنفره عن قبول دعوته واستخدام
العقل والحكمة في المواطن التي لا يفيد الخصم النقل الخيري بقدر
ما تفيد الأدلة العقلية والتي لا سبيل إلى إنكارها من قبله كحال
المؤمن مع قومه حيث خاطبهم عن طريق العقل فقال لهم : ((مالي
أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار)) (غافر: ٤١) .

١ . البخاري : ١٧٥ / ١٠ والبيهقي : ٩٦ / ٤ وابن كثير : ٧٨ / ٤

٢ . القرطبي : ٣٠٨ / ١٥ - ٣٠٩ والدر : ٣٥٠ / ٥

٣ . البخاري : ١٩ / ١٤ وسلم : ٢٧٧٤ / ٤ ح - ٢٩٦١

مع أنهم لم يدعوه صراحة إلى التارثم بيّن لهم الطريق الذي دعوه إليه من الكفر والإشراك بالله والصد عن سبيله وكل ذلك موجب للنار سابعاً : لا يستغني نبي من الأنبياء أو داعية مصلح من الدعاة من معية الله له ونصره وحفظه من كيد الكائدين به وذلك عين ما فعله المؤمن عندما ضاقت به السبل وأراد به القوم سوءاً فوض أمره إلى الله فكفاه شرهم ((فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب)) (غافر : ٤٥) .

قوله تعالى : ((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)) النار : بدلا من سوء العذاب أو على إضمار مبتدأ كأنك قلت هي النار أو رفعتها على أنها مبتدأ خبرها يعرضون ويجوز النصب على إضمار فعل تقديره : يأتون النار يعرضون عليها . ويجوز الخفض على أن تجعل النار بدلا من العذاب (١) .

وبعد أن بين جل وعلا مصير الظالمين من آل فرعون وما أحاط بهم من العذاب في الدنيا بالغرق وما سيكون لهم بعد ذلك على اعتبار أن سوء العذاب شامل للفرق وغيره من صنوف العذاب فصل ما يكون بعده فقال : ((النار يعرضون عليها)) وذلك بما يلاقونه في الفردوس والرواح من العذاب في البرزخ إلى أن تقوم الساعة . قال ابن مسعود أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدوا وتروح إلى النار ويقال : يا آل فرعون هذه مأواكم حتى تقوم الساعة (٢) وروى ابن سيرين عن أبي هريرة قال : كان أبو هريرة يأتينا بعد صلاة العصر فيقول عرجت ملائكة ، وهبطت ملائكة ، وعرض آل فرعون على النار فلا يسمعه أحد الا يتعوذ بالله من النار . وروى عن ميمون بن ميسرة قال : كان أبو هريرة اذا أصبح ينادي أصبحنا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار فلا يسمعه أحد الا يتعوذ بالله من النار . قال قتادة والكلبي ومقاتل والسدي : تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا . وقال قتادة : يعرضون عليها صباحا ومساء . يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم توبخا ونقمة وصغارا لهم . (٥)

وقال الهذيل بن شرحبيل : أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تفسد وتروح على النار وذلك عرضها وذكر نحوه السدي والأوزاعي . (٦)

١ . أنظر معاني القرآن للأخفش : ٤٦٢ / ٢ و أعراب القرآن لمكي : ٦٣٧ / ١٣٧٢

٢ . البغوي : ٩٩٧٤

٣ . أنظر القرطبي : ٣١٩ / ١٥ وأهوال القبور لأبن رجب الحنبلي ص ٣٩

٤ . أنظر الطبري : ٤٧ / ٢٤ وابن كثير : ٨٣ / ٤

٥ . الصدران السابقان وأهوال القبور لأبن رجب الحنبلي ص ٣٩

قال محمد بن كعب القرظي: ليس في الآخرة ليل ولا نصف نهار وإنما هو بكرة وعشيا. قال الفراء: في آل فرعون: يعرضون عليها غدوا وعشيا وكذلك قال: لأهل الجنة ((ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا)) (مريم: ٦٢).
قال: ليس في الآخرة غد ولا عشي ولكنه مقادير عشيات وغدوها فجعل العرض في الآخرة^(١). وذلك خلاف ما عليه الجمهور. لأنه على ما ذهب إليه الفراء ومن وافقه يخالف نص الآية إذ هي صريحة في أن ذلك العرض غير ما يكون في الآخرة لأن الله يقول بعد ذلك: ((ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)) وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم بيان ذلك وأنه يعرض على المؤمن والكافر مقعده في الغداة والعشي وذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار. فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة^(٢))).

قال الأخفش: ((غدوا وعشيا)) إنما هو مصدر كما يقول: أتيتهم ظلاما جعله ظرفا وهو مصدر جعل ظرفا. ولو قلت: موعدك غدوة، أو موعدك ظلام فرغته كما تقول: موعدك يوم الجمعة لم يحسن لأن هذه المصادر وما أشبهها من نحو ((سحر)) لا تجعل إلا ظرفا والظرف كله ليس بمتكّن^(٣).

قوله: ((يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)) وفي إعراب يوم ثلاثة أوجه: إما أن يكون معمولا لمحدوف على إضمار القول والتقدير أي ويوم القيامة يقال لهم: أدخلوا وهو الأظهر. أو يكون منصوبا بأدخلوا أي أدخلوا يوم تقوم الساعة ويكون الوقف في الوجهين على قوله وعشيا والوجه الثالث: عطفه على الطرفين قبله والعامل فيه يعرضون ويكون الوقف على قوله الساعة وأدخلوا معمولا^(٤) القول مقدر أي يقال لهم كذا وكذا.

١. أنظر معاني القرآن: ٩/٣.

٢. البخاري: ٤٨٦/٣ وصلم: ٤/٢١٩٩ ح ٢٨٦٦.

٣. معاني القرآن للأخفش: ٤٦٢/٢.

٤. أبو حيان: ٤٦٨/٧ وحاشية الجمل: ١٨/٤.

توله : ((أد خلوا)) قرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بالقطع وكسر الخاء
والإبتداء بالفتح كالوصل . وقرأ الباقون بالوصل وضم الخاء والإبتداء بالضم .^(١)
فيكون المعنى على القراءة الأولى : الخطاب للملائكة بادخال آل فرعون
أشد العذاب . وعلى القراءة الثانية على النداء ينصب آل فرعون أي
أد خلوا يا آل فرعون أشد العذاب .^(٢) وأشد العذاب أكثره ألما وشدة
قال ابن عباس : يريد ألوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منـذ
أغرقوا .^(٣)

وقال الأخفش في قوله تعالى : ((اد خلوا آل فرعون أشد العذاب)) وقوله
تعالى : ((إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار)) (النساء : ١٤٥)
قال : يجوز أن يكون آل فرعون أد خلوا مع المنافقين في الدرك الأسفل
من النار وهو أشد العذاب وأما قوله : ((فإني أعذبه عذابا لا أعذبه
أحدا من العالمين)) (المائدة : ١١٥) فيقول : لا أعذبه أحدا من عالم زمانه^(٤)
وذكر نحو ذلك ابن كثير .^(٥)

ثبوت عذاب القبر :

وفي قوله تعالى : ((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا)) دليل لأهل السنة
والجماعة على ثبوت عذاب القبر قال الزمخشري : ويستدل بهذه الآية على
أثبات عذاب القبر .^(٦)

- ١ . الفاية : ٢٥٤ ، والتبصرة : ٦٦٢
- ٢ . أنظر معاني القرآن للفراء : ١٠ / ٣ .
- ٣ . البغوي : ١٠٠ / ٤ .
- ٤ . أنظر معاني القرآن للأخفش : ٤٦٢ / ٢ .
- ٥ . أنظر تفسير ابن كثير : ١١٧ / ٢ .
- ٦ . الكشاف : ٤٣٠ / ٣ .

قال الرازي: إحتج أصحابنا بهذه الآية على إثبات عذاب القبر ورد على من اعترض على هذه الآية من أن المراد بالعرض عرض النصائح لهم في الدنيا لأن من يذكرهم بالترغيب والترهيب ويخوفهم عذابه كأنه عرض عليهم النار.

وقال المعترض إن في الآية ما يمنع من حمله على عذاب القبر من وجهين: أولاً: أن العذاب يجب أن يكون دائماً غير منقطع.

وثانياً: أن الغدوة والعشية إنما يحصلان في الدنيا فقط فلا يمكن حمل هذه الآية على العذاب.

فأجاب رحمه الله عن الاعتراض الأول فقال: إن في الدنيا عرض عليهم كلمات تذكرهم أمر النار لأنه يعرض عليهم نفس النار، فعلى قولهم يصير معنى الآية الكلمات المذكورة لأمر النار كانت تعرض عليهم، وذلك يفضي إلى ترك ظاهر اللفظ والعدول إلى المجاز. أما قوله: الآية تدل على حصول العذاب في هذين الوقتين وذلك لا يجوز، قلنا لا يجوز أن يكتفي في القبر بإيصال العذاب إليه في هذين الوقتين ثم عند قيام القيامة يلقي في النار فيدوم عذابه بعد ذلك وأيضا لا يمتنع أن يكون ذكر الغدوة والعشية كناية عن الدوام كقوله: ((ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا)) (مريم: ٦٢) أما قوله أنه ليس في القبر غدوة وعشية، قلنا لم لا يجوز أن يقال أنه عند حصول هذين الوقتين لأهل الدنيا يعرض عليهم العذاب^(١). قال القرطبي: والغداة والعشية إنما هو بالنسبة إلينا على ما اعتدناه لا لهم إذ الآخرة ليس فيها مساء ولا صباح^(٢).

وقال القرطبي والجمهور: على أن هذا العرض في البرزخ. وأحتج بعض أهل العلم في إثبات عذاب القبر بقوله: ((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا)) مادامت الدنيا. كذلك قال: مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم قال: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة: ((ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب))^(٣).

١. أنظر تفسير الرازي: ٢٧/٧٣.

٢. التذكرة: ص ١٩٢.

٣. تفسير القرطبي: ١٥/٣١٨، ٣١٩.

وقال ابن كثير: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب
البرزخ في القبور وهي قوله: ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾^(١).
قلت: وقد ثبت في الخبر المتفق على صحته ما يدل على أن ذلك العرض في
الغدو والعشي إنما هو في البرزخ وذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما
رواه عنه ابن عمر: ((إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالفداء والعشي...
الحديث))^(٢).

وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على ثبوت عذاب القبر نذكر منها ما أورده البخاري
في صحيحه تحت باب ما جاء في عذاب القبر من مثل قوله تعالى: ((ولو ترى
إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم
اليوم تجزون عذاب الهون...)) (الأنعام: ٩٣). قال ابن كثير: بالضرب
لهم حتى تخرج أنفاسهم من أجسادهم روي ذلك عن ابن عباس^(٣). وغمرات
الموت سكراته قاله ابن عباس^(٤). قال ابن حجر: ويشهد له قوله تعالى في سورة
القتال: ((فكيف إذا توفتهم الملائكة
يضربون وجوههم وأدبارهم)) قال: وهذا وإن كان قبل الدفن فهو
من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة وإنما أضيف العذاب إلى القبر
لكون معظمه يقع فيه ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا وإلا فالكافر
ومن شاء الله تعذيبه من العصاة يعذب بعد موته ولو لم يدفن ولكن
ذلك محجوب عن الخلق إلا من شاء الله^(٥).

وذكر قوله تعالى: ((سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم))
(التوبة: ١٠١). أختلف السلف في تعيين العذاب الأول في الدنيا
واتفق الكثير منهم على أن العذاب الثاني في القبر. فروي عن ابن عباس
وغيره من السلف كالثوري والسدي أن نزلت ما فضح الله به المنافقين
من إعلام رسوله بهم وفضحه لهم على منبره وأمره لأناس منهم بالخروج
من مسجده صلى الله عليه وسلم فذلك العذاب الأول.

١ . أنظر تفسير ابن كثير: ٤ / ٨٢ .

٢ . سبق تخريجه .

٣ . أنظر تفسير ابن كثير: ٣ / ١٥٨ ، ٥٣٦ .

٤ . الطبري: ٧ / ١٨٣ .

٥ . الفتح: ٣ / ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

والعذاب الثاني في القبر^(١).

والأولى أن يقال أن العذاب في الدنيا شامل لذلك كله من فضحهم
والذلة والصغار لهم وما يلحقهم من الغيظ والحقد بانتصار المسلمين
أو السبي أو القتل أو المصائب التي تعترضهم إلى غير ذلك
قال الحسن البصري وقتادة وابن جريج : عذاب في الدنيا وعذاب في
القبر^(٢). وقال الطبري : والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر^(٣).

ومن الآيات الصينة لعذاب القبر قوله تعالى : ((يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين
ويفعل الله ما يشاء)) (ابراهيم : ٢٧) . وذلك ما رواه البراء عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت))
قال : نزلت في عذاب القبر . فيقال له من ربك ؟ فيقول : ربي الله
ونبي محمد صلى الله عليه وسلم . فذلك قوله عز وجل : ((يثبت الله
الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة))^(٤) .
وأما الأحاديث في الباب فقد بلغت حد التواتر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

قال شارح الطحاوية : وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً وسؤال الملكين
فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كفيته ، إذ ليس
للعقل وقوف على كفيته ، لكونه لا عهد له به في هذه الدار .

- ١ . أنظر الطبري : ٨ / ١١ والبيهقي : ٢ / ٢٢٢ وابن كثير : ٢ / ٣٨٦ .
وابن حجر في الفتح : ٣ / ٤٧٥ .
- ٢ . الطبري : ٩ / ١١ وابن كثير : ٢ / ٣٨٦ .
- ٣ . الطبري : ١١ / ١٠ .
- ٤ . البخاري . : ٣ / ٤٧٥ ، مسلم : ٤ / ٢٢٠١ ح ٢٨٧١ واللفظ له
وابن منده : ٣ / ٩٤١ وأبو داود : ٥ / ١١٢ ح ٤٧٥٠ .
والترمذي : ٨ / ٤٧ ح ٥١٢٦ وابن ماجه : ٢ / ٤٢٧ ح ٤٢٦٩ .

والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيسه
 (١)
 ((العقول . . .))

وقال ابن رجب الحنبلي : وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله
 (٢)
 عليه وسلم في عذاب القبر والتعوذ منه قلت وعليه يتبين ثبوت
 عذاب القبر في البرزخ وأنه حق وأن كل من مات وهو مستحق لذلك
 نال نصيبه منه دفن أو لم يدفن وأن ذلك عام للمؤمن والمنافق والكافر
 خلافا لمن أنكره من الملحدين والخوارج وبعض المعتزلة ومن سائر
 الفلاسفة في مذهبيهم من المسلمين أو خصه بالمؤمن دون الكافر .
 (٣)

قال القرطبي : الإيمان بعذاب القبر وفتنته : واجب والتصديق به : لازم
 حسب ما أخبر به الصادق . وأن الله تعالى يحيى العبد المكلف
 في قبره برد الحياة إليه ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش
 عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما أتاه من ربه وما أعد له
 في قبره من كرامة أو هوان . وهذا نطق الأخبار عن النبي المختار
 صلى الله عليه وسلم وعلى آله أثناء الليل وأطراف النهار ، وهذا مذهب
 أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل الأمة . . . ولم تفهم الصحابة
 الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه السلام غير ما ذكرنا
 (٤)
 وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جرا ((

وقال ابن تيمية : مذهب سائر المسلمين بل وسائر الملل إثبات القيامة
 الكبرى وقيام الناس من قبورهم والشواب والعقاب . هناك وإثبات الشواب
 والعقاب في البرزخ ما بين الموت إلى يوم القيامة . هذا قول السلف قاطبة
 وأهل السنة والجماعة وإنما أنكروا ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع .
 (٥)
 ((

-
- ١ . الطحاوية : ٣٩٩ .
 - ٢ . أنظر أهوال القبور : ص ٤٣ .
 - ٣ . أنظر التذكرة للقرطبي ص ١٥٨ ، ص ١٦٣ والنووي على مسلم : ٨٥ / ٥ .
 - و ابن حجر : ٤٧٤ / ٣ .
 - ٤ . أنظر التذكرة للقرطبي : ص ١٥٧ .
 - ٥ . الفتاوى : ٣٦٢ / ٤ .

وقال الاشعري: واعلم أن عذاب القبر ليس مختصا بالكافرين ، ولا موقوفا على المنافقين بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين ، وكل على حاله من عمله وما أستوجبه بخطيئته وزلله وان كانت تلك النصوص المتعددة في عذاب القبر إنما جاءت في الكافر والمنافق . . . وما ختم لك به فهو الواجب عليك والآزم والطوق في عنقك المقيم الدائم وعذاب المؤمن لا يكون كعذاب الكافر والحمد لله ((قال القرطبي : قول أبي محمد عبد الحق أصوب. (٢)

قلت: ومن حكمته جل وعلا أن أخفى ما يحصل في القبر من العذاب أو النعيم عن عباده لأن القبر أول منازل الآخرة وليس ما يحصل فيه من جنس عذاب الدنيا ونعيمها فوجب الإيمان به ولو أطلع الله العباد على شيء من ذلك لما تدافن الناس فرقا وجزعا من ذلك وهو ما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: ((لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه)) (٣)

قلت: وقد يُستشكل ماورد عنه صلى الله عليه وسلم في الأخبار التي روتها زوجته عائشة رضي الله عنها وفيها أنه أنكر مرة عذاب القبر وأخرى أقره وتعوذ بالله منه .

وذلك ما رواه سعيد بن العاص عن أبيه عن عائشة أن يهودية كانت تخدمها فلا تضع عائشة رضي الله عنها شيئا من المعروف إلا قالت لها اليهودية وقاك الله عذاب القبر قالت عائشة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ فقلت يا رسول الله هل للقبر عذاب يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم ((لا من زعم ذلك)) قالت: اليهودية لا أضنع لها شيئا من المعروف الا قالت: وقاك الله عذاب القبر. قال صلى الله عليه وسلم: ((كذبت يهود وهم على الله أكذب لا عذاب دون يوم القيامة))

١ . أنظر العاقبة في ذكر الموت والآخرة : ص ٢٤٦ .

٢ . أنظر التذكرة : ص ١٨٣ .

٣ . مسلم : ٢٢٢٠٠ ح ٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨ .

ثم مكث بعد ذلك ماشاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محمرة عيناه وهو ينادي بأعلى صوته ((القبر كقطع الليل المظلم أيها الناس لو تعلمون ما أعلم ليكيتم كثيرا وضحكتم قليلا أيها الناس أستعيذوا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق))^(١)
قال ابن كثير: صحيح على شرطهما^(٢). وذكر نحوه ابن حجر^(٣).

ونحوه مارواه الزهري عن عروة عن عائشة. . . وفيه ((أن اليهودية قالت وقاك الله من عذاب القبر فأنكرت عائشة فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له فقال: صلى الله عليه وسلم ((لا)) قالت عائشة: ثم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((انه أوحى إلي أنكم تفتنونني في قبوركم))^(٤)
قال ابن كثير: وهذا أيضا على شرطهما^(٥) وذكر النسائي عن عروة عن عائشة نحوه^(٦).

وذكر البخاري عن مسروق عن عائشة أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت: لها أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال: ((نعم عذاب القبر)) قالت: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة صلى إلا تعود من عذاب القبر^(٧). وروى مسلم عن مسروق نحوه^(٨). غير أن فيه عجوزان من عجز المدينة والقصة واحدة. قال السدي: وأما قولها عجوزتان. . . الخ فذاك عين هذه الواقعة إلا أنه وقع الإقتصار على ذكر الواحدة أحيانا وجاء ذكرهما^(٩) أخرى. وذكر نحوه ابن حجر^(١٠).

١. أحمد: ٨٦/٦.
٢. تفسير ابن كثير: ٨٢/٤.
٣. الفتح: ٤٧٩/٣.
٤. أحمد: ٢٣٨/٦.
٥. ابن كثير: ٨٢/٤.
٦. النسائي: ١٠٥٠١٠٤/٤.
٧. البخاري: ٤٧٨/٣.
٨. مسلم: ٤١١/١ ح ٥٨٦.
٩. حاشية السدي على النسائي: ١٠٥/٤.
١٠. الفتح: ٤٧٨/٣.

فذهب شراح الحديث للجمع بين ما تقدم من أخبار الى أنهم
قضيتان : إحداهما متأخرة عن الأولى . فأنكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المرة الأولى حيث لم يبلغه في ذلك شيء ثم جاءه الوحي
بخبر ثبوت عذاب القبر ولم تكن علمت عائشة بذلك فجاءتها اليهودية
مرة أخرى بخبر عذاب القبر فأنكرت ذلك بناءً على ما علمته من رسول الله
في المرة الأولى فأعلمها رسول الله أنه قد نزل الوحي بإثبات عذاب
القبر . (١) قال ابن حجر : وفي هذا كله أنه صلى الله عليه وسلم
إنما علم بحكم عذاب القبر إذ هو بالمدينة في آخر الأمر . . . (٢) قلت :

فيقال : كيف يجمع بين ما علمه صلى الله عليه وسلم من حكم عذاب القبر
في المدينة وبين ما تقدم من الآيات المكية المبينة لثبوت عذاب القبر
كقوله تعالى : ((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا)) ؟
قال ابن كثير : والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوا
وعشيا في البرزخ وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها
في القبور إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح فأما حصول ذلك للجسد
في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية...
وقد يقال أن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ ولا يلزم
من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب واستدل بقوله صلى الله
عليه وسلم لعائشة : ((إنما تفتن يهود)) قالت عائشة رضي الله عنها
فليثنا ليالي ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألا إنكم
تفتنون في القبور .)) (٣)

قال : وقد يقال : إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ
ولا يلزم من ذلك أن يتصل في الأجساد في قبورها فلما أوجي إلى النبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك بخصوصه إستعاذ منه . . . (٤)

١ . أنظر النووي على مسلم : ٨٦ / ٥ ، وحاشية السدي على النسائي : ١٥ / ٤

وابن كثير في التفسير : ٨٣ / ٤ . وابن حجر : فتح الباري : ٤٧٨ / ٣ .

٢ . أنظر الفتح : ٤٧٩ / ٣ .

٣ . مسلم : ٤١٠ / ١ ح ٥٨٤ .

٤ . تفسير ابن كثير : ٨٢ / ٤ .

قلت والأولى من هذه التأويلات التي ذكرها رحمه الله للجمع بين ما يفهم من هذه الآية والآثار المتقدمة أن يكون ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دلالة هذه الآية وغيرها من الآيات المكية الدالة على عذاب القبر في البرزخ أن ذلك خاص بالكفرة والملحدين دون الموحدين من عباده حتى علم بعموم العذاب في البرزخ لمن يستحقه عن طريق الوحي بالمدينة .

قال ابن حجر: حول هذا ((وقد استشكل ذلك بأن الآية المتقدمة مكية وهي قوله تعالى : ((يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت)) (إبراهيم: ٢٧) . وكذلك قوله تعالى : ((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا)) والجواب أن عذاب القبر إنما يؤخذ من الأولى بطريق المفهوم في حق من لم يتصف بالإيمان ، وكذلك بالمنطوق في الأخرى في حق آل فرعون وإن التحق بهم من كان له حكمهم من الكفار فالذي أنكره النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو وقوع عذاب القبر على الموحدين ، ثم أعلم صلى الله عليه وسلم أن ذلك قد يقع على من يشاء منهم فجزم به وحذر منه وبالغ في الإستعاذة منه تعليما لأمته وإرشادا فانتهى التعارض بحمد الله تعالى))^(١) .

وبعد أن انتهت أحداث قصة فرعون وقومه إلى هذه النهاية التي وجبت لهم وكل من نحا نحوهم من الكفرة والملحددين وما يلاقونه من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر في البرزخ شرع في بيان أحوالهم يوم القيامة في النار. وما يحدث لهم من الخصام والمحاجه وتنكر الأتباع لمتبوعيهم. والإغراض عن دوازيهم لخزنة النار للتخفيف عنهم. فيقول

الحق تعالى عن ذلك: وَإِذِيتَّحَا جُورٍ فِي

النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا

لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ

﴿١٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ

قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ

جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿١٩﴾

قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ تَابِعِيكُمْ رُسُلَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا

بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَوْا إِلَّا كُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٠﴾

معاني المفردات:

المحاجه : هو أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته (١)

والمراد هنا المنازعه والخصام بين الأتباع والمتبوعين:

التبع : تبعه تبعاً مشى خلفه أو مرّ به فمضى معه. والتبع تارة

يكون بالجسم وتارة بالارتسام والاشتمار (٢)

النصيب : الحظ من كل شيء (٣)

١ . الراغب: ١٠٨ .

٢ . البصائر: ٢٩٣ .

٣ . اللسان: ١/٧٦١ .

حكم : أصله منعاً لاصلاح ومنه سميت اللجام حَكَمَةَ الدابة وحكمت
الدابة منعها بالحكمة (١)

الخرزة : جمع خازن وأصل الخزن حفظ الشيء في الخزانة ثم عبر به
عن كل حفظ (٢)

قوله تعالى : ((ولذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا
إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار)) أي أذكر يا محمد
لقومك ما يحصل للكفرة والملحد من الأتباع والمتبوعين والرؤساء
والمرووسين من المنازعة والخصام على اعتبار أن الكلام هنا مستأنف
لبیان حال الكفار عموماً من آل فرعون وغيرهم. قال بن عطية : ((الضمير
في يتحاجون لجميع كفار الأمم وهذا ابتداءً تمص لا يختص بآل فرعون
والعامل في إذ فعل مضمّر تقديره واذكر قال : وقال الطبري : ((واذ
هذه عطف على قوله إذ القلوب لدى الخناجر كالمبين)) وهذا بعيد (٣)
قلت : وما ذهب إليه بن عطية هو الأولى .

فيقول الضعفاء منهم في قدره والمنزله ممن تخلوا عن كرامتهم الإنسانية
وحریتهم الفردية في الدنيا وباعوها لهؤلاء الكبراء والطفافة رؤساء الكفر
فيهم ((إنا كنا لكم تبعاً)) والتابع يكون واحداً أو جماعة في قول بعض
نحوي البصرة وعند بعض نحوي الكوفة جمع لا واحد له . وارتضى الطبري
أن يكون جمع واحدة تابع قال : ويجوز أن يكون واحداً جمعه أتباع (٤)
قال سيد قطب : ((لم يشفع لهم أنهم كانوا ذيولاً ولأمعات، ولم يخفف
عنهم أنهم كانوا غنماً تساق لا رأي لهم ولا لإرادة ولا اختيار)) (٥)

١ . الراغب : ١٢٦ .

٢ . اللسان : ١ / ٧٦١ .

٣ . تفسير بن عطية مخطوط ص : ٨٣ . وانظر الطبري : ٤٧ / ٢٤ .

٤ . أنظر الطبري : ٤٨ / ٢٤ .

٥ . أنظر الظلال : ٣٠٨٤ / ٥ .

ويجيب رؤساء الكفر فيهم ممن استكبروا عن الحق وتمردوا عليه ((إنا كل
فيها)) أي نحن وأنتم في العذاب سواء ولو كنا قادرين على نفعلكم
لرفعنا العذاب عنا ولا حيلة لنا ولا لكم لأن الله قد حكم بحكمه وقضى
بقضائه ولا معقب لحكمه وصار أهل الجنة إلى الجنة لا يخرجون منها
وأهل النار في النار لا يحدون عنها ((إن الله قد حكم بين العباد))
ورفع كل على أنه اسم مبتدأ قاله الأخفش: قال: كما تقول إنا كنا فيها^(١)
وذكر مكي نحو ذلك وقال: ((وأجاز الكسائي والفراء نصب كل على النعت
للمضمر المنصوب بأن ولا يجوز ذلك عند البصريين لأن المضمر لا ينعت
ولأن كلا نكرة في اللفظ والمضمر معرفة ووجه قولهما أنه تأكيد للمضمر
والكوفيون يسمون التأكيد نعتاً. وكل وان كان لفظه نكرة فهو
معرفة عند سيبويه على تقدير الإضافة والحذف ولا يجوز البديل
لأن المخبر عن نفسه لا يبدل منه غيره))^(٢) وقيل غير ذلك^(٣).

وهذا الذي أخبر الله به في سورة المؤمن من الحال التي يكون عليها
القوم من الشقاء والخصومه ذكره في مواضع كثيرة من كتابه أذكر من ذلك
بعض الآيات التي بينت ذلك من مثل قوله تعالى: ((إن ذلك لحق تخاصم
أهل النار)) (ص: ٦٤) .

ومن إعلان البراءة بين التابع والمتبوع وذلك قوله تعالى: ((إذ تبرا الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب. وقالوا
الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤنا كذلك يريهم الله
أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار)) (البقرة: ١٦٦، ١٦٧)
يقع ذلك كله عندما يبرز الخلاق كلهم لله الواحد القهار ويقضي بينهم
((فريق في الجنة وفريق في السعير)) (الشورى: ٧) .

١ . معاني القرآن للأخفش: ٤٦٣/٢ .

٢ . اعراب القرآن لمكي: ٦٣٧/٢ .

٣ . أنظر الفراء: ١٠/٣ . والزمخشري: ٤٣٠/٣ . وأبو حيان: ٤٦٧٧، ٤٧٠٠ .

يوم تكون لأعداء الله الحسرة والندامة والخزي والعار والذلة والصفار
عند ما يقوم إبليس اللعين فيهم خطيباً يعظ في القوم ويذكرهم بأن الحق
مادعى إليه الرسل لا ما كان يدعوهم إليه ويمنيهم به ((يعدهم ويمنيهم
وما يعدهم الشيطان إلا غروراً)) (النساء: ١٢٠) وعند ذلك يزداد
همهم وغمهم ويأسهم من رحمة الله عند سماعهم لخطبته كما يبين الحق
تعالى ((وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم
تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله
لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص. وقال الشيطان
لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم
من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم
ما أنا بصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل
إن الظالمين لهم عذاب أليم)) (ابراهيم: ٢١، ٢٢) .

قوله: ((وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً
من العذاب))

هنا يطلب الأتباع المتبوعون جميعهم من الملائكة الموكلين بالنار أن يشفعوا
لهم عند ربهم لتخفيف العذاب عنهم ولو يوماً واحداً يستريحون فيه
وصرح بذكر جهنم دون قوله: ((لخزنتها)) للتهدويل والتفضيع (١)
وفي موضع آخر بين الله جل وعلا تخصيصهم لما ذكر بالذکر وطلبهم منه
أن يشفع لهم عند ربهم في الموت كي يستريحوا من حياة التعاسة والشقاء
التي وقعوا فيها بسبب أعمالهم ((ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون))
(آل عمران: ٢٥) . فيقول الحق عن ذلك: ((ونادوا يا مالك ليقتضهم علينا
ربك قال إنكم ما تكون)) (الزخرف: ٧٧) وقد بين جل وعلا أنهم
لا يجابون في الأمرين لا بتخفيف العذاب عنهم ولا بالموت . وذلك قوله
تعالى: ((والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف
عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور)) (فاطر: ٣٦) .

وكذلك قوله تعالى : ((فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا)) (عم : ٣٠) .

ومثل قوله تعالى : ((لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون)) (الزخرف : ٧٥) .
الى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى .

وأما بنفي الموت عنهم فذلك ما دل عليه قوله تعالى عندما يُسقى الواحد منهم ماءً صديداً ((يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بمميت ومن ورائه عذاب غليظ)) (ابراهيم : ١٧) .

ومثل قوله تعالى : ((إنه من يأتي ربه مجرماً فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى)) (طه : ٧٤) الى غير ذلك من الآيات .

فجيب الخزنة عليهم بعد ذلك : ((قالوا أو لم تأتكم رسلكم بالبينات)) ويسأل الخزنة هؤلاء الأشقياء لا عن جهل منهم بحالهم ولكن لإقامة الحجة عليهم وتوبيخهم وإعلامهم ان هذا الوقت ليس وقت دعاء لفوات أوانه . فهم يعلمون ان من حكمته جل وعلا الا يعذب قوما حتى يبعث فيهم رسولا يبشرهم جنته وينذرهم بأسه وعتابه وحتى لا يكون للناس على الله حجة وذلك ما دل عليه القرآن ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)) (الاسراء : ١٥) وكقوله : ((رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل))

(النساء : ١٦٥) . فيسألونهم ((أو لم تأتكم رسلكم بالبينات)) ؟ التي توضح لكم سبيل الحق وتدعوكم إلى الإيمان به جل وعلا وكتبه ورسله

وينذرونكم يومكم هذا الذي وعدتم به . فيجيبهم القوم في ألم وحسرة

((قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء)) (الملك : ٩)

وكذلك اعتراف العموم منهم حينما يسألون إلى جهنم لخزنتها بما جاءتهم

به رسال الله وذلك قوله تعالى : ((وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً

حتى إذا جاهوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم

يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى)) (الزمر : ٧١)

فيجيبهم الخزنه بما يفيد السخرية بهم ومطلبهم لا لإرجاء الدعاء ولكن

توبيخاً لهم وإن ذلك أمر متعذر لأن ما حصل منهم من الكفر والإشراك

والمحاداة لله ورسله وأوليائه أمر لا يغفر الله لصاحبه وأن ذلك جزاؤه

الذي يناسب جرمه ((وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب

النار)) (غافر : ٦) .

فادعوا أنتم لأنفسكم وأعلموا أن دعاءكم هذا باطل لا محل له ولا قبول —
((فادعوا ومادعاء الكافرين الا في ضلال)) .

الربط بين الآيات:

وبعد أن بين جل وعلا مصير الكافرين وما يلاقونه من ذل وهوان في الدنيا والآخرة بين بالمقابل ما يكون لرسله وأوليائه من النصر والتأييد في الدنيا بالظفر والتمكين والحجج والبيان وفي الآخرة بالفوز والنجاة على رؤوس الأشهاد ((يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)) (آل عمران : ١٠٦)
وذلك عند عرض الذين أسودت وجوههم على ربهم يعتذرون لله من أعمالهم المشينه فيلعنهم أهل ذلك الموقف من عباده ((أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)) (هود : ١٨) ثم بين تعالى أن من جملة من نصره موسى عليه السلام بما أتاه من الهدى وبما أورثه لقومه من كتبه المنزلة كالتوراه ليكون للبصير العاقل منهم موعظة وذكرى . ثم وجه رسوله بعد ذلك الى الثبات والصبر والاستقامة على ذلك بالذكر والتسبيح وأن ما وعده له من النصر والتمكين حق ((فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله)) (ابراهيم : ٤٧) .

فقال تعالى : **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥٦﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ
وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
الْهُدَى وَأَوْزَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٨﴾ هُدًى
وَذَكَرْنَا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لَدَيْكَ وَسَيِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِثَّةِ
وَالْإِبْكَرِ ﴿٦٠﴾

معاني المفردات:

- النصر : إغاثة المظلوم ونصره على عدوه (١)
شهد : الشهود والشهادة . الحضور مع المشاهدة وذلك عن علم
حصل بمشاهدة أو بصر (٢)
العذر : الحجة التي يعتذر بها والمعتذريكون محقا ويكون غير محق (٣)
اللعن : الطرد والابعاد عن رحمة الله .
الميراث : هو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير الى آخرين بنسب أو بسبب (٤)
الألياب : جمع لب واللب العقل وقيل : ما ذكا من العقل وكل لب
عقل وليس كل عقل لب (٥)

المراد بنصر الله لرسله وأوليائه :

قوله تعالى : ((إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا))
ما المراد بالنصر لرسل الله وأوليائه في الدنيا مع أن البعض منهم قد
يقتل ويؤذى ؟ كالذي جرى لبعض أنبياء بني اسرائيل كشعيا ويحسى
ابن زكريا وغيرهم ممن أؤذي في سبيل الله بالقتل أو التعذيب كأصحاب
الأخدود . إلى غير ذلك مما قص القرآن علينا خبره .
يجيب الطبري رحمه الله على ذلك قائلا : لتأويل ذلك وجهان كلاهما
صحيح معناه :

أحدهما : أن يكون معناه إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا
إما بإعلاننا هم على من كذبنا وإظهارنا هم بهم حتى يقهروهم غلبة
ويذلهم بالظفر ذلة كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان فأعطاهما
من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر وكالذي فعل بمحمد صلى الله
عليه وسلم بإظهاره على من كذبه من قومه وأما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم

١ . اللسان : ٥ / ٢١٠ .

٢ . الراغب : ٢٦٨ .

٣ . اللسان : ٤ / ٥٤٥ .

٤ . مقاييس اللغة : ٦ / ١٠٥ .

٥ . البصائر : ٤ / ٤١٣ .

بأهلاكهم وانجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه من تغريق قومه وإنجائه منهم وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه إذ أهلكهم غرقاً ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك أو بانتقامنا في الحياه الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم كالذي فعلنا من نصرتنا شعياً بعد مهلكه بتسليطنا على قتلته من سألطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته وكفعلنا بقتله يحيى من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به من قتلته له وكانصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم فهذا أحد وجهيه

والوجه الآخر: ان يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين والمراد واحد فيكون تأويل الكلام حينئذ إنا لننصر رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به في الحياه الدنيا ويوم يقوم الأَشهاد كما بينا فيما مضى أن العرب تخرج الخير بلفظ الجميع والمراد واحد إذا لم تنصب للخير شخصاً بعينه ((^(١) وأشار ابن كثير في تفسيره إلى ما ذهب إليه ابن جرير^(٢) .

قلت: وما أجاب به الطبري في الوجه الأول. عن مراد الله بالنصر لرسله لا يخرج عن الأوجه الثلاثة: التي أول بها السلف ذلك: فأما أن يكون المراد بالنصر القهر والغلبه على الأعداء على ما روي عن ابن عباس^(٣).

وأما بالحجه وفي الآخرة بالعذاب وذلك قول الضحاك وأبي العالیه^(٤).

وأما أن يكون بالانتقام من عدوهم وكون العاقبه لهم على حد قولنا السدي حيث قال: ((قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوماً فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم وهم منصورون فيها))^(٥).

١. أنظر الطبري: ٢٤، ٤٨، ٤٩٠.

٢. ابن كثير: ٤/٨٤.

٣. أنظر البغوي: ٤/١٠٠.

٤. أنظر البغوي: ٤/١٠٠ وابن الجوزي: ٥/٢٣٠ والدر: ٥/٣٥٢.

٥. أنظر الطبري: ٢٤/٤٩ وابن كثير: ٤/٨٤، ٨٥ والدر: ٥/٣٥٢.

والأولى أن يكون المراد بالنصر شامل لكل الوجوه التي ذكرها السلف من القهر والغلبة والظهور. على من كذبهم كما حصل لرسولنا صلى الله عليه وسلم عندما أذل الله أعداءه وقهرهم ونصره عليهم وهم أكثر عددا وعدة من رسول الله وصحبه كالذي فعل بهم في بدر والفتح وغيرهما من الغزوات وما نصر به دينه ودعوة رسوله في حياته وبعد موته على يد خلفائه وصحبه الكرام ومن بعدهم من المؤمنين الصادقين وانتشار تلك الدعوة في أنحاء المعمورة إلى اليوم وستكون كذلك إن شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها. لتكون كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

ومثل ذلك النصر حصل للأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم على أممهم ممن كذبت يرسل ربها فانتقم الله منها وأهلكها بالعذاب في الدنيا قبل الآخرة وانتصارا لدعوته ودعوة رسله كقوم نوح وعاد وشمود وغيرهم ممن قص القرآن علينا خبرهم ((ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب))

(غافر: ٢٢) . ولم لا يحصل ذلك لرسله وأوليائه وهم صفوة خلقه وقد بين جل وعلا أنه وليهم والمدافع عنهم شرور الأعداء ((إن الله يدافع عن الذين آمنوا)) (الحج: ٣٨) وتراه جل وعلا دافعا عن عباده وانتصارا لهم يلعن ويتوعد بالعذاب المهين من أذى رسوله وأذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما ذنب أو خطيئة أيا كان الأذى فعلا كان أو قولا في حياتهم أو بعد معاتهم كالذي يتعرض له بعض أصحابه رضوان الله عليهم من بعض الطوائف الضالة البعيدة عن الإسلام وذلك قوله تعالى: ((إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا . والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاننا وإثما مبينا)) (الأحزاب: ٥٢، ٥٨) .

إن من يتعرض لمؤمن بأذى فضلا عن كونه رسولا كان محاربا لله جل وعلا ويوشك الله أن ينتقم منه في الدنيا قبل الآخرة انتصارا لذلك المؤمن وذلك قوله تعالى فيمارواه صلى الله عليه وسلم عن ربه : ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب))^(١) وفي رواية أخرى ((من أذل لي وليا فقد أستحل محاربتني))^(٢).

وأما ما وعد به رسله من النصر فقد ذكر في آيات كثيرة من مثل قوله تعالى : ((ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون)) (الصفات: ١٧١-١٧٣) ومثل قوله تعالى : ((كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز)) (المجادلة: ٢١) وقد اعترض صاحب الأضواء على توجيهه لإمام ابن جرير الطبري من أن المراد بالنصر للرسول في آية المؤمن الوجهان اللذان ذكرناهما عنه آنفا .

وقال : ((إنه لا يجوز حمل القرآن عليه لأمرين :

أحدهما : أنه خروج بكتاب الله عن ظاهره المتبادر منه بغير دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع ، والحكم بأن المقتول من المقاتلين هو المنصور بعيد جدا غير معروف في لسان العرب ، فحمل القرآن عليه بلا دليل غلط ظاهر ، وكذلك حمل الرسل على نبينا وحده صلى الله عليه وسلم فهو بعيد جدا أيضا والآيات الدالة على عموم الوعد بالنصر لجميع الرسل كثيرة لا نزاع فيها .

الثاني : إن الله لم يقتصر في كتابه على مطلق النصر الذي هو في اللغة إغاثة المظلوم ، بل عرح بأن ذلك المذكور للرسول نصر غلبته بقوله : ((كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)) (المجادلة : ٢١) وقد رأيت معنى الغلبه في القرآن ومر عليك أن الك جعل المقتول تسما مقابلا للغالب في قوله : ((ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب)) (النساء : ٧٤) .

١ . البخاري ١٢٦ / ١٤ : ١٢٧ .

٢ . مسند أحمد : ٦ / ٢٥٦ .

وصرح تعالى بأن ما وعد به رسله لا يمكن تبديله بقوله جل وعلا ((ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبيي والمرسلين)) (الأنعام : ٣٤) .
ولا شك أن قوله تعالى : ((كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)) من كلماته التي صرح بأنها لا تبدل لها وقد نفى جل وعلا عن المنصور أن يكون مغلوبا نفيًا باتا بقوله : ((إن ينصركم الله فلا غالب لكم)) (آل عمران : ١٦٠)^(١) قلت : أما ما أترض به على ابن جرير في تخصيصه رسولنا صلى الله عليه وسلم بالنصر حين حمل الرسل على نبينا وحده وأنه المراد بالنصر فهو كما قال رحمه الله بعيد جدا .

إذ لا دليل على التخصيص ومن ثم الآيات تدل على عموم النصر للرسول وهو من جملة المنصورين ثم إن سياق الآيات التي ورد ذكر نصره تعالى لرسله عقبها تبين ذلك فموسى واحد من أولئك الذين نصرهم الله حيث انتقم الله من فرعون وقومه لقاء تمردهم عليه وكفرهم به .

أما اعتراضه الآخر وأن المقتول من الأنبياء لا يسمى الإنتقام له من أعدائه نصرا لأن المراد بالنصر نصر الغلبة والمقتول غير غالب وأن المراد بالنصر في آية المؤمن هذه وما شابهها نصر غلبة بالسيف والسنان لمن أمر بالقتال منهم لا غلبة الحجة والبيان وهي العامة لجميع الرسل .

فالظاهر والله أعلم أن هذا لا يعني أن يكون المراد بذلك النصر نصر الغلبة بالسيف والسنان فحسب بل الأولى أن يكون عاما وبأي وجه كان ذلك النصر ثم أن الكثير من الأنبياء ممن قص القرآن علينا خبره لم يكن بينهم وبين أممهم قتال ومع ذلك أنتصر الله لهم وموسى عليه السلام واحد من أولئك حيث خرج فرعون بجنود لا قبل لموسى وقومه بها ثم كانت حاله إلى ما صار إليه من سوء العاقبة في الدنيا قبل الآخرة ألا يكون ذلك نصرا لرسوله ؟ كما دل القرآن عليه قال تعالى نبي نصرته وأخيه وقومهما على فرعون وملائته ((ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم . ونصرناهم فكانوا هم الغالبين)) (الصافات : ١١٥ ، ١١٦) .

١ . أنظر أضواء البيان : ١ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

ثم إنني لا أرى نبي ذلك خروجا بالقرآن عن ظاهره ولأن المغلوب قد يكون منتصرا إذا قيس ذلك بالنتائج المترتبة على ذلك وكم من شهيد حقق بشهادته مالا يتحقق بغلبته أي كانت هذه الغلبة. مما يعتبر انتصارا لعقيدته ودعوته التي يدعو إليها. من ذلك خبر الملك والغلام فيمن كان قبلنا والذي كان الملك يجمع في تعلمه السحر ولكن من آمن بربه بعد أن عرف ذلك عن طريق الزاهب. تراه ينتزع من الملك اعترافه بربوبية الله ووجدانيته ويقدم نفسه للملك لقتله بعد أن عجز فيوجهه كيف يصل إلى قتله بجمعه للناس في سعيد واحد حتى تحصل النتيجة التي ينشدها من إيمان الجميع بالله رب الغلام. يقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه لنا من خبر ذلك الغلام : ((ثم أخذ سهمًا من كنانته . ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال : بسم الله رب الغلام . ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في موضع السهم فمات فقال الناس : آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام . . .))^(١) وهنا كانت نتيجة التضحية والنصرة الحقيقية للحق على الباطل .

وكما قال سيد قطب رحمه الله :

((والناس كذلك يقصرون معنى النصر على صور معينة معهودة لهم قريبة الرؤية لأعينهم . ولكن صور النصر شتى وقد يلتبس بعضها بالهزيمة عند النظرة القصيرة . . إبراهيم عليه السلام وهو يلقي في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها . . . أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة؟ ما من شك في منطق العقيدة أنه كان في قمة النصر وهو يلقي في النار . كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار هذه صورة وتلك صورة . وهما في الظاهر بعيد من بعيد . فأما في الحقيقة فهما قريب من قريب))^(٢)

١ . مسلم : ٢٢٩٩ / ٤ ح ٣٠٠٥ وأحمد : ١٧ / ٦ وغيرهما .

٢ . أنوار الطلال : ٣٠٨٦ / ٥ .

ثم إن هذا ما اختاره أكثر المفسرين من أن المراد بالنصر العموم. قال
البيهقي بعد أن أورد أقوال السلف التي سبق بيانها قال : ((وكل ذلك
قد كان للأنبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم
وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم واهلاك أعدائهم ونصرهم
بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم ، كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل
قتل به سبعون ، فهم منصورون بأحد هذه الوجوه .))^(١) وذكر نحوه ابن
الجوزي .^(٢) وقال أبو السعود : ((إنا لننصر رسلنا وأتباعهم في الحياة
الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل
والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدر في ذلك ما قد يتفوق
لهم من صورة الغلبة امتحانا إذ العبرة إنما هي بالعواقب وغالب
الأمر))^(٣)

قوله : ((ويوم يقوم الأشهاد)) الأشهاد جمع شهيد كشريف وأشرف^(٤)
وقال الزجاج : الأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب^(٥) وكلاهما صحيح .
والمراد بقيام الأشهاد يوم القيامة في ذلك المشهد العظيم الذي
يحضره الملائكة والنبيون والمؤمنون يشهدون على الأمم المكذبة لرسالتها
وأنهم قد أبلغوا رسالات ربهم وما يعقب ذلك من اللذة والفرح برضوان
الله عليهم ورحمته والفوز بجننته والنجاة من النار . ولا نصر أعظم ممن
ذلك وأجل . قال الرازي : ((وأعلم أن في قوله تعالى : ((إنا لننصر
رسلنا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)) دقيقة معتبرة وهي أن
السلطان إذا خص بعض خواصه بالإكرام العظيم والتشريف الكامل
عند حضور الجمع العظيم من أهل المشرق والمغرب كان ذلك ألد
وأبهج))^(٦) قال قتادة : ((يوم يقوم الأشهاد)) من ملائكة الله
وأنبيائه والمؤمنين به . وقال مجاهد : الأشهاد الملائكة وروي نحوه
عن قتادة .^(٨)

- ١ . أنظر البيهقي : ٤ / ١٠٠ .
- ٢ . زاد السير : ٥ / ٢٣٠ .
- ٣ . تفسير أبي السعود : ٧ / ٢٨٠ .
- ٤ . الطبري : ٢٤ / ٤٩ .
- ٥ . تفسير ابن عطية مخطوط : ص ٨٢٠ والقرطبي : ١٥ / ٣٣ وأبو حيان : ٧ / ٤٧٠ .
- ٦ . الرازي : ٢٧ / ٧٦ .
- ٧ . الطبري : ٢٤ / ٤٩ والدر : ٥ / ٣٥٣ .
- ٨ . الصدران السابغان وابن كثير : ٤ / ٨٥ .

وروي عن بن زيد الأشهاد أربعة : الملائكة الذين بحصون أعمالنا
وقرأ قوله تعالى : ((وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)) (ق : ٢١)
والنبيون شهداء على أممهم وقرأ قوله تعالى : ((فكيف إذا جئنا
من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)) (النساء : ٤١) .
وأمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على الأمم وقرأ قوله تعالى
((لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) (البقرة : ١٤٣)
والأجساد والجلود وقرأ قوله تعالى : ((وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء)) (فصلت : ٢١) .
وبعد أن بين جل وعلا ما يحصل لعباده المؤمنين من النصر في ذلك
اليوم العظيم وما ينالهم فيه من العزة والكرامة بين ما يحصل لأعدائه
من الكفرة والمشركين من الخزي والعار ((يوم لا ينفع الظالمين
معدرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)) ويوم هنا بدل من يوم
يقوم الأشهاد . وفي ينفع قراءتان قرأ الكوفيون ونافع بالياء وقرأ
البايعون بالتاء .^(٢)

وكذلك يكون حال الظالمين من المشركين والملحدون لا تنفعهم
المعاذير التي يعتذرون بها عن شركهم وكفرهم وذلك قولهم ((والله
ربنا ما كنا مشركين)) (الأنعام : ٢٣) . وقد أعذر الله اليهم في
الدنيا بإرسال الرسل إليهم فكذبوهم . فلم يعد لهم اليوم عذر
يعتذرون به وليس لهم في ذلك اليوم إلا جزاء ما صنعتهم أيديهم
يحل بهم غضب الله ونقمته وسوء المنقلب الذي ينقلبون إليه
((ولهم سوء الدار)) قال السدي : ((هي النار يسكن المنزل والمقيل))^(٣)
وقال علي ابن أبي طلحة فيما رواه عن ابن عباس أي لهم سوء العاقبة .^(٤)

٠١ أنظر ابن الجوزي : ٢٣١ / ٥ والقرطبي : ٣٢٢ / ١٥ والدر : ٥٥٣ / ٥

٠٢ التبصرة : ٦٦٣ والدر الزاهره : ص ٢٧٩

٤٣ ابن كثير : ٨٥ / ٤

وما يفهم من هذه الآية أنهم قد يعتذرون لربهم عن كفرهم مع ما ورد في موضع آخر من نفي الاعتذار في ذلك الموقف وذلك قوله تعالى ((ولا يؤذن لهم فيعتذرون)) (المرسلات: ٣٦) . يقول الزمخشري (١) : يحتمل أنهم يعتذرون بـمعذرة ولكنها لا تنفع لأنها باطلة وأنهم لو جاءوا بـمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى : ((ولا يؤذن لهم فيعتذرون)) وذكر نحوه الرازي وزاد بقوله : ((فيقال يوم القيامة يوم طويل فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في وقت آخر)) . قوله : ((ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب))

بعد أن بين جل وعلا نصره لرسله وأوليائه من المؤمنين بين بعض نصره لرسله كموسى عليه السلام وذلك بما أتاه من النبوه والهدى والمعجزات التي قهر بها أعداءه والتوراة التي أنزلها عليه فيها الهدى والنور ((إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور)) (المائدة : ٤٤) وذلك بما تضمنه من الهدى في العقائد والأعمال واللام في قوله ولقد موطئة للقسم وصيغة الجمع في أتينا وأورثنا المتعظيم (٢) . واختلف في الكتاب الذي أورثه بني إسرائيل :

فقال المراد بها التوراة . وقيل جنس الكتب المنزلة على بني إسرائيل من الزبور والتوراة والإنجيل (٤) . والأول أولى . قال أبو حيان : ((الظاهر أنه التوراة توارثوها خلفه عن سلف (٥) .

قوله : ((هدى وذكرى لأولي الألباب)) هدى في موضع نصب على الحال وذكرى عطف عليه . وقيل مفعولان (٦) .

١ . الزمخشري : ٤٣٢ / ٣ .

٢ . أنظر تفسير الرازي : ٧٧ / ٢٧ .

٣ . أنظر الأضواء : ٩٤ / ٧ .

٤ . أنظر الرازي : ٧٧ / ٢٧ والالوسي : ٧٧ / ٢٤ .

٥ . أبو حيان : ٤٧١ / ٧ .

٦ . اعراب القرآن لمكي : ٦٣٧ / ٢ .

٧ . أبو حيان : ٤٧١ / ٧ .

والفرق بين الهدى والذكرى يقول الرازي ((إن الهدى ما يكون دليلا على الشيء ، وليس من شرطه أن يذكر شيئا آخر كان معلوما ثم صار منسيا وأما الذكرى فهي التي تكون كذلك فكتب أنبياء الله مشتمة على هذين بعضها دلائل في أنفسها ، وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الإلهية المتقدمة)) (١)

والمعنى إننا تركنا بني اسرائيل بعد نبينهم موسى عليه السلام على شريعة من الأمر وورثنا لهم كتابا يهتدون بنوره وبه يستبصرون ويتعظون وخاصة أهل العقول السليمة فيهم ولذا تراه جل وعلا يخص بالتدبر في أحكامه وشرائعه وآياته أهل العقول الخاصة السليمة من الزيغ والضلال ويذكرهم بهذه الصفح وأولو الألباب في ستة عشر موضعا من كتابه (٢)

وقد بين جل وعلا في غير ما موضع من كتابه ما تضمنه هذا الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام من الهداية والنور لبني اسرائيل من مثل قوله تعالى : ((وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا)) (الأسراء : ٢) . وكذا قوله : ((ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلمهم بلقاء ربهم يؤمنون)) (الأنعام : ١٥٤) وإلى غير ذلك من الآيات . قوله تعالى : ((فاصبر إن وعد الله حق)) بعد أن بين جل وعلا وعده لرسله بالنصر والتمكين وذكر له بعض مواقف هؤلاء الرسل عليهم السلام مع أممهم كموسى عليه السلام وما انتهى إليه الحال من نصره لرسوله وانتقامه جل وعلا من فرعون وقومه .

وجه رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر في دعوته لقومه وتحمل ما يلقاه من مشركي مكة وأن ما وعده جل وعلا من النصر والظفر سيتحقق ((فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)) (الروم : ٦٠)

١ . أنظر تفسيره : ٢٧ / ٧٧ .

٢ . أنظر المعجم المفهرس : ص ٦٤٤ .

وكذلك قوله : ((فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم)) (الاحقاف : ٣٥) وقد صبر صلى الله عليه وسلم على أذى قومه في سبيل دعوته حتى قُرت عيناه بنصر الله له وإنجاز ما وعده ورأى اضمحلال الباطل وزهوقه بعد فتحه لمكة في رمضان من السنة الثامنة للهجرة^(١). بعد أن كان بيت الله الحرام تحيط به الأصنام من كل جانب وكانت تعسب من دون الله ورآها تتهاوى واحدا تلو الآخر مشيرا إليها بقضيب في يده مرددا قول الحق جل وعلا ((جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)) جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد^(٢))) وأى نصر أعظيتم وألذ من ذلك لِمَ لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى أراه ربه ما ينشرح له صدره ويوجب له تعالى الشكر والعرغان على رسوله وأمته بأن أعلى كلمته وأظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ورأى أمته يدخلون في دين الله أفواجا . واختلف العلماء في المراد من توجيهه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع ما وعده جل وعلا بمغفرة ذنوبه السابقة واللاحقة . ومن أي شيء يكون الاستغفار ؟

فقال ابن عطية (يحتمل أن يكون ذلك قبل لإعلام الله إياه أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وذلك قوله تعالى : ((ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر)) (الفتح : ١) . قال : وهي متأخرة في النزول عن آية المؤمن هذه .))^(٣)

قلت : يعارض هذا ما علم من أمره تعالى له بالاستغفار في سورة النصر مع ثبوت تأخرها في النزول عن آية الفتح تلك إذ هي من أواخر السور نزولا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أنه ثبت عنه صلى الله عليه وسلم مداومته على الاستغفار والتوبة في جميع أحواله حتى توفاه الله

١ . فتح الباري لابن حجر : ٩ / ٦٢ وتهذيب سيره ابن هشام لعبد السلام

هارون : ص ٢٧٦ .

٢ . البخاري : ٩ / ٧٧ ، ١٠ / ١٥ واللفظ له وسلم : ٣ / ١٤٠٧

ح ١٧٨٠ ، ١٧٨١ .

٣ . تفسير ابن عطية : مخطوط ص ٨٣ .

بل وقد أجهد نفسه في العبادة والطاعة حتى رق لحاله أصحابه حيث كان يقوم من الليل حتى تتورم قدماه فيسأله أصحابه فيما رواه المغيرة بن شعبة قائلين : ((قد غفر الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر)) قال : ((أفلا أكون عبد شكورا)) .^(١) وكذلك تسأله زوجته عائشة رضی الله عنها لما علمته من حاله مع ما وعده ربه من المغفرة فتقول : ((لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ فيجيب على ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله : ((أفلا أحب أن أكون عبد شكورا ؟)) قال ابن حجر :^(٢) والفاء في قوله ((أفلا أكون)) للسببية وهي عن محذوف تقديره أترك تهجدي فلا أكون عبداً شكورا والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف أتركه ؟ .^(٣)

قلت : وفي ذلك ما يدعو الأمة إلى مضاعفة الجهد والعمل بطاعته جل وعلا وإذا كان هذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ربه مع علمه بما وعده ربه به من المغفرة فكيف تكون حالنا مع علمنا بالتقصير . نسأله السلامة والعافية . وقيل إن ذلك للغبين الذي ينتابه صلى الله عليه وسلم لما ورد في الحديث عن الأغر ابن يسار المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لأنه ليفان على قلبي ولني لاستغفرني اليوم مائة مرة)) على أن المراد بالغبين ما نسر به القاضي عياض ذلك من الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه ألدوام عليه فإذا فتر عنه أو غفل عد ذلك ذنباً واستغفر منه .^(٤) وقال الرازي : ((وأو يكون الأمر له بالاستغفار له صلى الله عليه وسلم محمولا إما على الصغيرة أو ترك الأولى كما يقال حسنات الأبرار سيئات المقربين أو على التقدير والمعنى إذا أذنبت فاستغفره كقوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توباً نصوحاً)) (التحريم : ٦) .

- ١ . البخاري : ٣ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ١٠٠٦ / ٢٠٦ ، مسلم : ٤ / ٢١٧ ، ٢٨١٩ .
- ٢ . البخاري : ١ / ٩٨ ، ١٠٠٦ / ٢٠٦ واللفظ له ومسلم : ٤ / ٢١٧ ، ٢٨١٩ ، ٢٨٢٠ .
- ٣ . أنظر الفتح : ٣ / ٢٥٧ .
- ٤ . أنظر التنوير على مسلم : ١٧ / ٢٣ .

وايسر يريد أن جميعهم مذنبون وإنما بعثهم على التوبة إذا أذنبوا ((١).

وقيل إن ذلك محض تعبد^(٢). وقيل المراد منه أمته ويكون من إضافته المصدر إلى الفاعل وذلك من باب إضافة المصدر إلى المفعول أي وأستغفر لذنب أمته^(٣). وقيل غير ذلك^(٤).

قلت: ولعل أولى الأقوال في ذلك والله أعلم قول من قال: إما أن يكون ذلك محض تعبد كما في قوله تعالى: ((ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك)) (آل عمران: ١٩٤) فإتيان ما وعدنا الله عن طريق رسله واجب علينا اتباعه وأمرنا بطيئه. ونحو ذلك قوله تعالى: ((قال رب احكم بالحق)) (الأنبياء: ١١٢) مع العلم القطعي بأنه لا يحكم بغيره تعالى الله عن سواه. ثم إن هذا دأب الأنبياء قبله في طلب الإستغفار والتوبة من ربه لا عن ذنب ولكن محض تعبد لله جل وعلا فنوح عليه السلام كان من دعائه ((رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين)) (نوح: ٢٨). وإبراهيم عليه السلام يطلب من ربه التوبة وذلك قوله تعالى عنه: ((وأرنا مناسكنا وتب علينا)) (البقرة: ١٢٨) وكذا غيرهما من الأنبياء ممن قص القرآن علينا خبره وكما قال البيهقي ((هذا تعبد من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده))^(٥). أو يكون ذلك منه شكران لله على ما أنعم به عليه كما كان جوابه لأصحابه كما مر بيانه.

المراد بالعشي والابكار:

قوله: ((وسبح بالعشي والإبكار))

العشي: وقت زوال الشمس وتضيفها للغروب قال الأزهري ((عيلاتا العشي هما الظهر والعصر ويقع ما بين زوال الشمس إلى وقت غروبها

١ . أنظر عصمة الأنبياء للرازي: ص ١٣٩ .

٢ ، ٣ . أنظر الألويسي: ٧٧/٢٤ والرازي: ٧٨/٢٧ والقرطبي: ٣٢٤/١٥ .

وآبو حيان: ٤٧١/٧ .

٤ . انظر النووي على مسلم: ٢٤/١٧، الرازي: ٧٨/٢٧ القرطبي: ٣٢٤/١٥ .

٥ . ٢٣٣/٢٠ .

٥ . البيهقي: ١٠١/٤ .

وقيل : بل هو من زوال الشمس إلى الصباح (١)

والإبكار : البكرة هي الغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس (٢)

وقال آخرون : الإبكار من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى وخروج وقت

الضحى . قال الطبري : ((والمعروف عند العرب القول الأول)) أي كونه الإبكار (٣)

من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس . قال الجوهري : قوله تعالى

((بالعشي والإبكار)) وهو فعل يدل على الوقت وهو البكرة كما قال

((بالغدو والآصال)) (الأعراف : ٢٠٥) جعل الغدو وهو مصدر يدل

على الغداة (٤)

وفي ذلك توجية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لتزنيه جل وعلا وتقديسه

بذكر محامده وعبادته في جميع الأوقات وعبر بالطرفين الغدو والعشي

والمراد جميع الصلوات الخمس المكتوبة قاله : ابن عباس والضحاك (٥)

وقيل المراد بطرفي النهار صلاة الصبح والعصر لمزيد فضلها والعناية

بالمحافظة عليهما . لقوله تعالى : ((وأقم الصلاة لطرفي النهار وزلفا

من الليل)) (هود : ١١٤) قاله : الحسن وقتادة . وروي عن الحسن (٦)

قوله المراد بذلك ركعتان في العشي وركعتان في الغدو كانتا بمكة

قبل أن تفرض الصلاة (٧)

وفي اختصاص هذين الوقتين بالذكر دون غيرهما مزيد فضل وعناية

بالمداومة على الطاعة فيهما وعدم الغفلة عنهما إذ هما أول النهار

وآخره فإذا ابتدأ المسلم نهاره بطاعة الله واختتمه كذلك أصبح وأمسى

على نور من ربه وتشبع قلبه ولسانه بذكر الله في كل أوقاته فلا تجد

الغفلة أو المعصية إلى قلبه سبيلا . وذلك قوله تعالى ((واذكر ربك

في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن

من الغافلين)) (الأعراف : ٢٠٥) .

١ . أنظر اللسان : ١٥ / ٦٠ / ٦١ والبصائر : ٤ / ٦٩ .

٢ . اللسان : ٤ / ٧٦ .

٣ . الطبري : ٢٤ / ٥٠ .

٤ . الصحاح : ٢ / ٥٩٦ .

٥ . أنظر البيهقي : ٤ / ١٠٦ وابن الجوزي : ٥ / ٢٣٢ والدر : ٥ / ٣٥٢ .

٦ . البيهقي : ٤ / ١٠٦ والقرطبي : ٥ / ٣٢٤ والدر : ٥ / ٣٥٣ .

٧ . ابن الجوزي : ٥ / ٢٣٣ والقرطبي : ١٥ / ٣٢٤ .

وكما قال القرطبي : ((وخص الغداة والعشي بالذكر لأن الشغل غالب فيهما على الناس ومن كان في وقت الشغل مقبلاً على العبادة كان في وقت الفراغ من الشغل أعملاً))^(١).

ولذلك تراه تعالى يوجه عباده الصالحين من الأنبياء والمرسلين لتزويده وتسيححه وذكره في جميع الأوقات ويخص بالذكر هذين الوقتين كما وجه عبده زكريا لذلك وذلك قوله تعالى : ((وأذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار)) . (آل عمران : ٤١) . ومن ثبات المداومة على ذكره تعالى وعبادته وطاعته في هذه الأوقات دأب الصالحين من عباده

((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)) (الكهف : ٣٨) . ونحو قوله تعالى ((في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال)) (النور : ٣٦) .

وآية المؤمن هذه وقد وردت في موضعين من السورة وهي قوله تعالى ((فاصبر لمن وعد الله حق)) (غافر : ٥٥ ، ٧٧) . مما ادعي فيها النسخ بآية السيف^(٢) . ((فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد)) (التوبة : ٥) .

وقد توسع البعض في إطلاق النسخ بآية السيف لكل آية في القرآن ورد فيها صفح أو عفو أو إغراض عن المشركين واعتبرها سيفاً مسلطاً على ما يربو عن المائة آية وكما يقول ابن الجوزي رحمه الله متبهما من أدعى ذلك بعدم الفهم قائلًا : ((وقد ذكر بعض من لا فهم له من ناقلي التفسير أن هذه الآية وهي آية السيف نسخت من القرآن مائة وأربعاً وعشرين آية ثم صار آخرها ناسخاً لأولها وهو قوله : ((فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)) وهذا سوء فهم لأن المعنى أقتلوههم وأسروهم إلا أن يتوبوا من شركهم ويقروا بالصلاة والزكاة فخلوا سبيلهم ولا تقتلوههم))^(٣) . أ . هـ .

١ . أنظر القرطبي : ٤٣٢ / ٦ .

٢ . أنظر النواسخ لابن الجوزي : ٤٤٤ وتفسيره : ٢٣٢ / ٥ والقرطبي : ٣٢٤ / ١٥ .

٣ . أنظر النواسخ لابن الجوزي : ص ٣٦٠ ، ٣٦١ .

وعليه يتبين أن هذه الآية أعني آية المؤمن وما شابهها من الآيات
آيات محكمة لا نسخ فيها والعمل بها باق حتى يرث الله الأرض ومن
عليها . ولن الحكم فيها يدور مع علته وجودا وعدمه فمتى قويت
شوكة المسلمين في العدد والعدة وجب إعلان الجهاد وقاتل
الأعداء أينما كانوا ومتى اعتراهم الضعف والوهن والفرقة كما كانوا
بمكة يوم ذاك كان لهم مهادة الأعداء وتحمل الأذى والصبر
عليهم حتى تزول الأسباب الموجبة لذلك كما زالت بهجرته صلى الله
عليه وسلم إلى المدينة . مع أنه لا تعارض بين هذه الآية وآية
السيف حتى نقول بالنسخ ثم إن الضرب عدة المؤمن وسلاحه
في السلم والحرب في المنشط والمكروه في القوة والضعف . والله أعلم .
وبعد أن وجه تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الصبر ويبين
له أن ما وعد به من طرو شأنه وانتصاره على أعدائه حق . بين له
أن مما دغا المشركين لمعارضته والوقوف في طريق دعوته هو الكبر
والتعالي والحسد الذي مددهم عن الحق والجدال بالباطل ونما
حجه أو برهان وكان مما يكثر جد لهم فيه الموت وما بعده فيبين
تعالى لهذه الفئة من المشركين والملحددين هو أن هذا الإنسان
على الله بالنسبة لعظيم صنعه وعجائب قدرته وإنه لا يعجزه شيء من
خلقه وضرب المثل لذلك بخلقه للسموات والأرض إذ هي من أكبر
الموجودات على الإطلاق لو أنهم يعقلون ويتعظون بذلك ثم أردى
ذلك بما يفيد قيام الساعة وعند ذلك سيتبين لهم حقيقة الأمر . ثم
ندب عباده إلى توحيده وإخلاص العباداة له متوعدا المتكبر عن ذلك
بأن يدخله عذاب جهنم صاعرا ذليلا .

فَقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِهِ
 اللَّهُ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
 مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ
 خَلْقِ النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَلَا الْأَسْوَءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾
 إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ لَّارْيَبَ فِيهَا وَلَئِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ
 إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
 دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

معاني المفردات:

- بالغية : البلوغ للشيء غاية ما ينتهي اليه (١)
- داخرين : الدخول الذلة والصغار (٢)
- الخلق : هو التقدير ويستعمل في ابداع الشيء على غير مثال
 سابق وليس ذلك إلا لله وحده (٣)

قوله تعالى: ((إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم
 إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه)) بيان من الله لرسوله صلى الله
 عليه وسلم للذي حمل هؤلاء المشركين على الجدال والمحاجة في آيات
 الله بمعارضتها وعدم الإيمان بها دونما حجة أو برهان .

- ١ . أنظر مقاييس اللغة : ١ / ٣٠١ .
- ٢ . أنظر اللسان : ٤ / ٢٧٨ .
- ٣ . أنظر البصائر : ٢ / ٥٦٦ .

وان غلة ذلك كبر وحسد أعمى قلوبهم عن اتباع الهدى والحق الذي جاء به صلى الله عليه وسلم وحسدا منهم لما آتاه الله من الفضل والشرف وكرم النبوة وقد سجل الله ذلك في كتابه ((وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)) (الزخرف: ٣١) . يعنون الوليد ابن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف . وتيـل غيرهما .^(١) المهم في الأمر أنهم كانوا يحسدون رسول الله أن يكون نبيا يوحى إليه من ربه فأنكر الله عليهم ذلك لأنه هو الذي يقسم ذلك لعباده سواء ذلك رياسة أو نبوة أو رزقا . فكل ذلك إليه فقال : ((أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا)) (الزخرف: ٣٢) . ثم إنه أعلم بأحوال عباده ومن يصلح منهم لرسالته ((الله أعلم حيث يجعل رسالته)) (الأنعام: ١٢٤) . بل وقد صرح زعيم الكفر فيهم فرعون هذه الأمة بذلك فيما أخبرنا عنه المغيرة بن شعبه قال : ((إن أول يوم عرفت رسول الله اني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة وبعد أن عرض عليـه الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام قال له أبو جهل : والله لو أعلم أن ما تقول حق لا تتبعك قال المغيرة فانصرف رسول الله وأقبل عليـ فقال : والله إنني لأعلم أن مايقول حق ولكن يمنعني شيء لأن بني قصي قالوا فينا الحجابة فقلنا نعم ثم قالوا فينا السقاية فقلنا نعم ثم قالوا فينا الندوة فقلنا نعم . ثم قالوا فينا اللواء فقلنا نعم . ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا : منا نبي . والله لا أفعل)) . ولكنها فتنته يضل بها من يشاء من عباده .

((وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين)) (الأنعام: ٥٣) . ثم بين جل وعـلا أن هؤلاء القوم لن يبلغوا مرادهم من الرياسة والعلو أو مايببتونـه لرسوله من المكر والخديعة والرغبة في الوقوع به بما يخفونه في صدورهم

١ . أنظر الطبري: ٣٩/٢٥ ، ٤٠ ، والبيهقي: ٣٧/٤ وابن كثير: ١٢٨٧/٤ .

٢ . أنظر السيرة النبوية لابن كثير: ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

((إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه)) قال ابن عباس: ((ما يحملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والعظمة ^(١))) وقال مجاهد: ((ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر لأن الله عز وجل مذلهم ^(٢))) وقال ابن قتية ((إن في صدورهم إلا تكبر على محمد وطمع في أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك ^(٣))) والمواد بالصدور في الآيه القلوب أطلقت عليها للمجاورة والملابسة ^(٤) .

قوله: ((فاستعد بالله إنه هو السميع البصير)) أمر لرسوله صلى الله عليه وسلم بالاعتصام والاستعاذة به وحده من شرور هؤلاء القوم ومكائدهم فهو كافيه فيهم إذ هو الخبير بأحوال عباده السميع لأقوالهم البصير بأعمالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء ^(٥) . وذلك قوله: ((وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)) (الملك: ١٣، ١٤) وكذا الإستعاذة بالله من الكبر والتعالي والعظمة لأن ذلك يصرف صاحبه عن الحق فيغويه دون أن يبلغ مراده . وتكون الإستعاذة هنا من مشركي مكة علي اعتبار نزولها فيهم كما قال ابن الجوزي: ((الآية نزلت في قريش)) . وقيل ان الإستعاذة من المسيح الدجال على حد قول كعب وأبي العالية وان الآية نزلت في اليهود فتكون الآية مدنية وذلك أن اليهود كانوا يجادلون في آيات الله وينكرون رسالته صلى الله عليه وسلم بتعظيمهم للمسيح الدجال وأنه سيظهر فيهم ويملك البر والبحر . وقد كذبوا في ذلك فهم يعلمون حقا انه ما من نبي بعثه الله في أمة من الأمم إلا وحذر أمته منه ^(٦) . كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة بالله من شره وتنتهه .

٢٥١ . أنظر البغوي: ٤ / ١٠١ .

٣ : المصدر السابق . وتريب القرآن لابن قتية: ص ٢٨٧ .

٤ . الالوسي: ٢٤ / ٧٨ .

٥ . أنظر ابن الجوزي: ٥ / ٢٣٣ .

٦ . أحمد: ٢ / ٢٩٢ وان ماجه: ٢ / ١٣٥٩ ح ٤٠٧٧ .

قال البيهقي : قال أهل التفسير : ((نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان ، ثم يبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك اليه .))^(١) وذكر نحوه في الدر عن أبي العالية وكعب الأحبار .^(٢)

قلت : والراجح والله أعلم أن السورة كلها مكية بما فيها هذه الآية لأن سباق الآية ولحاقها يؤيد ذلك فالمشركون أكثروا الجدل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة في أمر البعث وما بعده وهذه الآية من الأدلة على ذلك بخلاف اليهود فلنهم لا ينكرون البعث والحساب إذ هم أهل كتاب وهو اختيار كثير من المفسرين .

قال ابن الجوزي : ((ذهب أبو العالية الى أن الاستعاذة من فتنة الدجال والأول أصح))^(٣) . يعني كونها نزلت في قريش . وقال ابن كثير : بعد أن أورد ما قاله أبو العالية : من كون الآية نزلت في اليهود وأن الرسول أمر بالاستعاذة من فتنته قال : ((وهذا قول غريب وفيه تعسف وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه والله سبحانه وتعالى أعلم)) .

وقال الألويسي : وقال أبو العالية : ((الناس الدجال وهو بناء على ما روي عنه في المجادلين ، ولعمري أن تطبيق هذا ونحوه على ذلك في غاية البعد وأنا لا أقول به .))^(٥)

- ١ . أنظر البيهقي : ١٠١ / ٤ .
- ٢ . الدر المنثور : ٣٥٢ / ٥ .
- ٣ . أنظر زاد السير : ٢٣٤ / ٥ .
- ٤ . تفسير ابن كثير : ٨٥ / ٤ .
- ٥ . أنظر تفسير الألويسي : ٧٩ / ٢٤ .

ثم قرر جل وعلا حقيقة البعث إذ هو مما كثر الجدل فيه حيث أنكر ذلك الكفرة والملحدون ((وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)) (الجاثية : ٢٤) ولكي يلزمهم الحجة قرر ذلك بخلقه للسماوات والأرض وهو دليل عقلي لا سبيل لإنكاره وهو مما اعترفوا به وأن الله خالقهما ولا يقدر قدرهما إلا هو وذلك قوله تعالى ((ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله)) (لقمان : ٢٥) وعليه فخلق الناس بالنسبة إليهما أهون على الله وأيسر فقال : ((لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون))

فهذه السماوات السبع على عظيمها وسعتها مرفوعة بغير عمد ((أليس الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها)) (الرعد : ٢) وما خلق الله فيهن مما هو مشاهد وغير مشاهد وهذه الأرض بسفوحها ووهادها وجبالها وبحارها وأنهارها خلق عظيم لا يقدر قدره إلا الله ولا يمكن لعائل أن يقسها بحال على خلق الإنسان إذ هو ذره من ذراتها وإعادته على الله بعد موته أهون عليه من خلقه ابتداءً ((وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)) (الروم : ٢٧) . ثم أليس الذي خلقهما بقادر على أن يفعل نبي ملكه ما يشاء بلى عو القادر على ذلك وما هو أكبر منهما . ((وربك يخلق ما يشاء ويختار)) (القصص : ٦٨) قوله : ((ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) أي بكمال قدرته وعظيم سلطانه وأنه لا يعجزه شيء من خلقه ((أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم)) (يس : ٨١) والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا .

ثم ضرب المثل لبيان حال الكفرة والملحدون ممن أنكر هذه الحقائق بالأعمى الذي لا يبصر شيئا مما يحيط به الغافل عن إدراك هذه الدلائل الكونية الأصم الذي لا يسمع شيئا ولا يعقله وشبه حال المؤمن بالبصير الذي هداه عقله وتفكيره للإستدلال بمخلوقاته وعجائب صنعته للدلالة على كمال قدرته وقبّوميته . فنفي التساوي بينهما في الضم والإدراك والعقل والتفكير كما هو بين الأعمى والبصير والأصم والسميع .

قال تعالى : ((مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون)) (هود : ٢٤) وكذلك قوله تعالى ((وما يستوي الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات)) (فاطر : ١٩ - ٢٢) وكما نفى المماثلة بين المؤمن والكافر في فهم الحقائق وأدراكها نفى التساوي بينهما في الحمل فالمؤمن يعمل بطاعة الله والعمل الذي يقربه من ربه بخلاف الكافر المسيء العاصي لربه الكافر بنعمه الجاحد لفضله اذ هو معمي القلب والبصر ميت الإرادة والتفكير . وكما أن لكل منهما منهجه وطريقه في الحياة الدنيا فكذلك في الآخرة لكل منهما طريقه ((فريق في الجنة وفريق في السعير)) (النورى : ٧) لأن كلا منهما يجازى على قدر عمله وشتان في الجزاء والحساب بين من يعمل بطاعة الله ومن يعمل بمعصيته وذلك قوله تعالى : ((أم جعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار)) (ص : ٢٨) .

وكذلك قوله : ((أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستويان)) (السجد : ١٨) قوله : ((قليلا ما تتذكرون)) قرأ الجمهور يتذكرون على الغيبة لأن ما قبلها وما بعدها على الغيبة لا على الخطاب . وقرأ الكوفيون بالتاء على الخطاب بطريق الالتفات ^(١) .

والمعنى قليلا ما يتذكر العباد حجج الله وأدلة القطعية للدلالة على وحدانيته وقدرته ولو علموا ذلك حق العلم وعرفوها حق المعرفة وتدبروها واتعظوا بها لأدركوا خطأهم وتبجح ما هم عليه من الشرك والمعصية ولآمنوا بالعبث وما يعقبه من جزاء وحساب . ثم أكد ذلك بقيام الساعة ومجيئها فقال : ((إن الساعة آتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)) أي أن مجيء الساعة حق لا شك فيه وذلك لوضوح شواهد ما ولجماع الرسل على الوعد بها ^(٢) . ولمن كذب ذلك حسبه جهنم يصلها وبئس المصير وذلك قوله تعالى : ((وأعدت لمن كذب بالساعة سعيرا))

(الفرقان : ١١) .

١ . الغاية : ص ٢٥٤ والبدور الزاهرة : ٢٧٩ .

٢ . أنظر أبو السعود : ص ٢٨٢ / ٧ .

ثم ختم الآية بما يفيد عدم تصديق الكثير من الناس بذلك لقصر نظرهم وقلّة تفكيرهم وزبح قلوبهم فقال : ((ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)) أي لا يصدقون بما جاءهم من دلائل تدل على أن ما وعدهم به ربهم على لسان رسوله من قيام الساعة وما يعقبه من جزاء وحساب حق لا مربة فيه وأنهم لطغيانهم وضلالهم عن الحق لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم ((وإذا قيل إن وعد الله حقيق والساعة لا ريب فيها قلتم ما نجدري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين)) (الجاثية : ٣٢) .
وبعد أن بيّن جل وعلا مجيء الساعة وقيامها وما يترتب على ذلك من الجزاء والحساب ندب عباده إلى القيام بطاعته وإخلاص العبادة له وحده فقال على لسان رسوله : ((وقال ربكم أدعوني أستجب لكم)) .

حقيقة الدعاء وأنواعه :

الدعاء . واحد الأدعية أصله دعا لأنه من دعوت وهو الاستغاثه بالمدعو لجلب نفع أو دفع ضرر^(١) .

وحقيقته : إخلاص الدعاء له جل وعلا إذ هو من أقوى الأسباب في جلب النفع ودفع الضرر . والإنسان وإن كان كافرا إذا مسه الضرر دعا ربه منيبا إليه كما يشير الحق إلى ذلك بقوله : ((وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منيبا إليه)) (الزمر : ٨) وسواء كان الدعاء دعاء مسألة أو دعاء عبادة فهما متلازمان لا ينبغي صرف شيء من ذلك إلا لله جل وعلا الذي يملك الضر والنفع المدعوني الخوف والرجاء ((وادعوه خوفا وطمعا)) (الأعراف : ٥٦) فيدعى للنفع والضرر دعاء المسألة وللخوف والرجاء دعاء العبادة وكما قال ابن تيميه رحمه الله : ((كل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة))^(٢) .

١ . أنظر الصحاح : ٢٣٣٧/٦ واللسان : ٢٥٧/١٤ .

٢ . أنظر الفتاوى لابن تيميه : ١١/١٥ .

وذلك باعتبار كون الذاكر والتالي والحلي والمتقرب بأي نوع من العبادة طالبا في المعنى فدخل في معنى الدعاء بهذا الاعتبار كما شرع تعالى دعاء المسألة في الصلاة واعتبر ذلك شرطا فيها فتضمن دعاء العبادة (١) والأمر بهما يرد في القرآن كثيرا فتارة يراد به دعاء المسألة وتارة يراد به دعاء العبادة وتارة يراد به مجموعهما (((٢).

فمن دعاء المسألة قوله تعالى : ((قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن أي ما تدعوا غله الأسماء الحسنی)) (الاسراء : ١١٠) . وذلك لبيان عدم الفرق في أسمائه الحسنی وأن للعبد أن يدعوه بما شاء منها خلافا لما اعتقده المشركون من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعوه في سجوده بالهين يا الله يارحمن فنزلت هذه الآية كما روي ذلك عن ابن عباس . ومن ذلك قوله للمشركين تكبينا لهم بدعاء من أشركوا معه غيره في العبادة يوم القيامة ((وقيل أدعوا شركاءكم فدعوههم فلم يستجيبوا لهم)) (القصص : ٦٤) .

وفي دعاء العبادة مثلا قوله تعالى : ((نادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون)) (غافر : ١٤) . ونحو قوله تعالى : ((وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)) (الجن : ١٨) .

المراد بالدعاء في آية المؤمن :

قد يراد بالدعاء المسألة أو دعاء العبادة غير أنه في واحد منهما أظهر كقوله : ((أدعوا ربكم تضرعا وخفية)) قال ابن تيمية : ((يتناول نوعي الدعاء لكنه ظاهر في دعاء المسألة متضمن دعاء العبادة ولهذا أمر بإخفائه وإسراره)) (٤).

١ . أنظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ص ١٧٦ بتصرف .

٢ . الفتاوى : ١١ / ١٥ وتيسير العزيز الحميد : ص ٢١٥ .

٣ . أنظر تفسير الطبري : ١٥ / ١٢١ والبغوي : ٣ / ١٤٢ وابن كثير : ٣ / ١٩٧ .

وابن تيمية : ١٥ / ١٤ وأسباب النزول للواحدي : ص ٢٠٠ .

٤ . أنظر الفتاوى : ١٥ / ١٥ .

ومن هذا القبيل آية المؤمن هذه ((وقال ربكم أدعوني أستجب لكم))
(غاغر: ٦٠) قال شارح الطحاوية: ((الدعاء اسم يجمع العبادة
والاستقامة وقد نسر قوله: ((وقال ربكم أدعوني أستجب لكم)) بالدعاء
الذي هو العبادة، والدعاء الذي هو الطلب. وقوله بعد ذلك ((إن الذين
يستكبرون عن عبادتي)) يؤيد المعنى الأول^(١) وذكر نحو هذا ابن تيمية
فقال: ((ويفسر الدعاء في الآية بهذا وهذا)) . وقال ابن عباس: ((أدعوني
أستجب لكم)) قال: ((أي وحدوني أغفر لكم)) . وروي عنه قوله: ((أفضل
العبادة هو الدعاء)) وقرأ ((وقال ربكم أدعوني أستجب لكم . . . الآية))^(٢)
واختار أكثر المفسرين أن يكون المراد بالدعاء هنا دعاء العبادة. لقولنه
صلى الله عليه وسلم فيما رواه النعمان بن بشير عنه: ((الدعاء هو العبادة))^(٥)
ثم تلى قوله تعالى: ((أدعوني أستجب لكم)) أي وحدوني واعبدوني
أتقبل دعاءكم. وقيل بل المراد دعاء المسألة قاله السدي^(٦).
واختاره صاحب فتح القدير حيث قال بعد إيراده للقول الأول وترجيح
المفسرين له . قال: قلت: بل الثاني أولى لأن معنى الدعاء حقيقة
وشرعا هو الطلب فان استعمل في غير ذلك فهو مجاز على أن الدعاء
في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو عبادة بل مخ العبادة .

١ . أنظر الطحاوية: ص ٤٦٢ .

٢ . الفتاوى: ١٥/١٥ .

٣ . الطبري: ٥١/٢٤ والدر: ٥/٣٥٥ .

٤ . الحاكم في مستدرکه وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي: ١/٤٩١ .

٥ . أحمد: ٤/٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦ والترمذي: ٨/٣٠٨ ح ٤٩٤٠ .

٦ . ٩/٢١١ ح ٣٢٩٩ وقال: حديث حسن صحيح وابن ماجه: ٢/١٢٥٨ ح ٣٨٢٨ .

٧ . القرطبي: ١٥/٣٢٦، ٣٢٧، ٢/٣٠٨، ٣٠٩ .

٨ . ابن الجوزي: ٥/٢٣٤ والقرطبي: ١٥/٣٢٧ .

(١)

كما ورد بذلك الحديث الصحيح . قاله سبحانه قد أمر عباده بدعائه
ووعدهم بالاجابة ووعدده الحق وما يبدل القول لديه ولا يخلف الميعاد
ثم صرح سبحانه بأن هذا الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي وهو
الطلب هو من عاداته فقال : ((إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين)) أي ذليلين صاغرين وهذا وعد شديد لمن أستكبر
عن دعاء الله وفيه لطف بعباده عظيم وإحسان إليهم جليل حيث توعد
من ترك طلب الخير منه واستدفاع الشر به بهذا الوعيد البالغ وعاقبته
بهذه العقوبة العظيمة)) .^(٢)

قلت : وأيا كان المراد بالدعاء في الآية دعاء العبادة أو دعاء المسألثة
فكلاهما متلازمان ولا يجوز صرف شيء منهما لغير الله جل وعلا إذ هو
الذي يملك الضر والنفع قال تعالى منكرا على من دعا غيره ((ولا تدع
من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك)) (يونس : ١٠٦) .

وعليه فقد توعد جل وعلا توعدا شديدا من استكبر عن واحد منهما
أو صرفه لغيره بأن يدخله جهنم صاغرا ذليلا حقيرا جزاء كبره وتعاليه
عن عبادته لربه إذ من صفات العبد الطائع لربه عدم الاستكبار عن ذلك
أو الانقطاع عن عبادته جل وعلا وذلك قوله تعالى في وصفه لملائكته
((ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون)) (الأنبياء : ١٩) .

فاستحق من استكبر عن عبادته ما توعد به جل وعلا بقوله : ((إن الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)) وفي يد خلون قراءتان
سمعيتان فقرأ ابن كثير وشعبة ورويس وأبو جعفر بضم الياء وفتح الخاء
على البناء للمجهول وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الخاء .^(٣)

١ - قلت : إن كان يعني رحمة الله بقوله كما ورد بذلك الحديث الصحيح
حديث ((الدعاء مع العبادة)) فهذا حديث فيه مقال ذكره الترمذي
٣١١/٩ وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة
قال صاحب التحفة : وهذا الحديث ضعيف عند أهل الحديث . ضعفه
يحيى بن سعيد القطان وغيره وابن لهيعة مدلس يدل عن الضعفاء
المصدر السابق . قلت : وقال فيه النسائي ضعيف أنظر الضعفاء
والمتروكين : ص ١٥٣ وقال فيه ابن حجر صدوق من الساعة خلط بعد
احتراق كتبه أنظر تقريب التهذيب : ص ٨٦ .

٢ - فتح القدير : ٤ / ٤٩٨ .

٣ - أنظر الغاية : ص ٢٥٤ . والبدر الزاهره : ٢٧٩ .

الترغيب في الدعاء :

ومن كرمه جل وعلا على عباده وفضله عليهم ان ندبهم لدعائه فقال —
تعالى : ((أدعوني أستجب لكم)) (غافر : ٦٠) وقال : ((وإذا سألك
عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)) (البقره : ١٨٦)
وقال : ((أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء)) (النمل : ٦٢) .
بل قد يفضب جيل وعلا للعبد ما لم يدعه ويسأله لأن نبي إعرافه
عن ذلك تكبر واستغناء وأنفة وذلك غير جائز من عبد مريب لله
تعالى . قال تعالى : ((فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست
قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون)) (الأنعام : ٤٣) .
وقد ورد ما يؤيد غضبه تعالى على العبد ما لم يدعه فيما رواه أبو هريرة عنه
على الله عليه وسلم : ((من لم يدع الله عز وجل غضب عليه)) وفي رواية
عنه ((من لا يسأله يفضب عليه)) .

على حد قول القائل :

الرب يفضب ان تركت سؤاله - وبني آدم حين يسأل يفضب
ترغب في ذكره تعالى إذ هو من أفضل القرب إلى الله وقد عد ذكره جل
وعلا من جملة أوصاف عباده المؤمنين والمؤمنات الموجبة لغفرته ورضوانه
بقوله : ((والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا
عظيما)) (الأحزاب : ٣٥) .

٢٤١ أحمد : ٤٤٢/٢ - ٤٧٧ ، ابن ماجه : ١٢٥٨/٢ ح ٢٨٢٧
والترمذي : ٣١٣/٩ ح ٣٤٢٣ . قال فيه الترمذي : هذا الحديث لا نعرفه
الا من هذا الوجه . قلت : وقد تكلم فيه من جهة سنده فقال الألباني
ضعيف الاسناد فيه أبو صالح الخوزي أنار سلسله الاحاديث الضعيفة
رقم : ٤٠٤٠ . قلت : وقد ذكره الحاكم في مستدركه ونص على صحة سنده
فقال : ان أبا صالح الخوزي وأبا المليح الفارسي لم يذكرا بالجرح انما
هما في عداد المجهولين لقلة الحديث وسكت عليه الذهبي . أنظر
المستدرک : ٤٩١/١ . قلت : وقال ابن حجر : أبو صالح لين الحديث
من الثالثة أما أبو المليح فنقال فيه ثقة من الساعة أنظر تقريب التهذيب :

وشبه صلى الله عليه وسلم الذي يخلو قلبه من ذكر ربه ودعائه بالميت الذي لا حياة له لأنه يذكر الله ودعائه تحيا القلوب وتطمئن وترتبط بخالقها ((ألا يذكر الله تطمئن القلوب)) (الرعد: ٢٨) .

يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: ((مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت))^(١)

ونظير ذلك في كتاب الله تشبيهه تعالى للكافر الذي يهتدي للإسلام بالحي بعد أن كان يكفره ميتا فشبه الإسلام بالحياة والكفر بالموت وذلك قوله تعالى: ((أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)) (الأنعام: ١٢٢) . فكذا الذكر لربه وغير الذكر لربه .

الدعاء وحصول ثمرته .

وهنا سؤال قد يرد ، وهو أن يقال : إن من الناس من يسأل ربه فلا يجاب لمسألته فكيف يجمع بين ذلك وبين وعده تعالى بالإجابة لمن دعاه ؟

قلت : قد أجاب العلماء بأجوبة متعددة :

منها : أن ذلك مقيد بمشيئة الله تعالى إن شاء أعطى السائل سؤله وإن شاء حرره . لقوله تعالى : ((فيكشف ما تدعون إليه إن شاء))^(٢) (الأنعام: ٤١) .

وقد قيل إن تعليق المشيئة هنا خارج بدعاء الكافر كما هو ظاهر سباق الآية أما الوعد المطلق بإجابة دعوة المؤمن فهو على إطلاقه فدعاؤه لا يرد^(٣) .

ومنها : أن يكون المراد بالدعاء العبادة مطلقا وبالإجابة الثواب عليه وعلى ذلك فلا إشكال^(٤) .

١ . البخاري صحيح : ٤٦٦ / ١٣ .

٢ . أنظر الطبري : ٩٤ / ٢ والبغوي : ١٥٦ / ١ والقرطبي : ٣٢٧ / ١٥ .

٣ . أنظر الأضواء : ٤ / ١ .

٤ . أنظر الطبري : ٩٣ / ٢ ، والكشاف : ٤٣٣ / ٣ والرازي : ١٠١ / ١ .

والقرطبي : ٣٠٩ / ٢ والأضواء : ١٠٥ / ١ .

ومنها : أن الوعد بالإجابة لا يتضمن عطية السائل مطلقا وإنما
تضمن إجابته لدعوته والداعي أعم من السائل وإجابة الداعي أعم
من إعطاء السائل . أو قد يكون المراد بإجابة الدعوة هنا سماعها .
على حد قول ابن الأنباري قال ((أجيب بمعنى أسمع لأن بين السماع
وبين الإجابة نوع ملازمة فلهذا السبب يقام كل واحد منهما مقام
الآخر فقولنا سمع الله لمن حمده أي أجاب الله فكذا هنا قوله
((أجيب دعوة الداع)) أي أسمع تلك الدعوة . فإذا حملنا قوله تعالى
((راد عوني أستجب لكم)) على هذا الوجه فلا إشكال)) .^(٣)

ومنها : ان لإجابة الدعوة أوجه متعددة أعم من إعطاء السائل عين
سؤاله فاما ان يجاب لدعوته وإما أن يصرف عنه من سوء مثلها وإنما أن
تدخر له وذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبي سعيد الخدري
((ما من مسلم يدعوه دعوة ليس فيها اثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه
الله بها إحدى ثلاث إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخرها له
في الآخرة وإما أن يصرف عنه من سوء مثلها قالوا إذا نكثرت قال
الله أكثر)) .^(٤) وله شاهد آخر نحوه عن طريق أبي هريرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم . ومنها : ان لإجابة الدعوة شروط وموانع فمتى
توفرت الشروط وانتفتت الموانع حصلت الاسباب وذلك بإخلاص
التوجه وصدق النية وحضور القلب وطيب المطعم الى غير ذلك كما
روى أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال : ((لا يزال يستجاب للعبد
ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال ؟
قال : يقول : قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجب لي فیتحسر عند ذلك
ويدع الدعاء)) .^(٥)

١ . أنظر شرح العقيدة الطحاوية : ص ٤٦١ .

٢ . أنظر البغوي : ١٥٦ / ١ .

٣ . أنظر الفخر الرازي : ١٠١ / ١ .

٤ . أحمد : ١٨ / ٣ وقال الحاكم : صحيح الاسناد ووافقه الذهبي : ٤٩٣ / ١

والترمذي عن طريق جابر بن عبد الله : ٩ / ٣٢٣ ح ٣٤٤١ .

٥ . أحمد : ٤٤٨ / ٢ والحاكم في مستدركه وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي

٤٩٧ / ١ .

٦ . قال ابن الأثير : هو من حسر إذا مل وتعب . والمتنى لا تملوا فتنقطعوا

عن الدعاء . أنظر غريب الحديث : ١ / ٣٨٤ .

٧ . مسلم : ٢٠٩٦ / ٤ ح ٢٧٥٣ .

(١) وفي رواية ((يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول دعوت ولم يستجب لي))
 وكما قال شارح الطحاوية : ((الأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح
 والسلاح بضاربه لا بحدده فقط فمتى كان السلاح تاما والساعد ساعدا
 قويا والمحل قابلا والمانع مفقودا حصلت النكابة في العدو ، ومتى
 تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير . فإذا كان الدعاء في نفسه
 غير صالح ، والداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء ، أو كان ثم
 مانع من الاجابه لم يحصل التأثير .)) وقيل غير ذلك .^(٢)
 وبعد أن ندب عباده جل وعلا لطاعته ودعائه ووعدهم بالإجابة وذكر جزاء
 المستكبرين عن ذلك بما يتناسب وكبرهم شرع يبين لعباده بعض نعمه
 عليهم . من خلقهم وایجادهم وتكريمهم على بقية خلقه بأن جعلهم في
 أحسن صورة وما سخر لأجلهم من عجائب صنعه وبدائع قدرته من أرض وسما
 وليل ونهار إلى غير ذلك من نعم كثيرة لا عد ولا حصر لها مما يستوجب
 له الشكر والعرفان و إخلاص العبادة له وحده ((لا اله الا هو فأنى توفكون))

فقال :
 اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النَّيْلَ لِتَشْكُرُوا
 فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ لَكُمْ
 اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاَنى تُوْفَكُونَ
 ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا يَئِنَتِ اللَّهُ بِمُحَدِّثُونَ
 ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ
 بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ
 الطَّيْبَتِ ذَلِكَ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾

١ . البخاري : ١٣ / ٣٩٠ .
 ٢ . أنظر شرح الطحاوية : ص ٤٦٣ .
 ٣ . أنظر تفسير البغوي : ١ / ١٥٦ والفخر الرازي : ١ / ١٠٠ ، ١٠١ .
 والقرطبي في تفسيره : ٢ / ٢٠٩ - ٢١٢ ، وابن حجر : ١٣ / ٢٩٠ - ٢٩١ .

معاني المفردات:

- (١) جعل : هنا بمعنى خلق وأوجد (٢)
- تسكنون : السكون ضد الحركة والاضطراب. والمراد الراحة والدعة. (٣)
- الشكر : هو تصور النعمة وانهاؤها وقيل الشاء على المحسن بما أولى من المعروف (٤)
- الخلق : المتقدير والإيجاد والإبداع على غير مثال سابق وذلك لا يكون الا لله وحده. (٥)
- تؤفكون : الإفك هو الكذب وهو صدر من قولك أفكته عن الشيء - يافكته إفكا صرفه عنه وقلبه. (٦)
- يجحدون : الجحود نقيض الإقرار وهو الإنكار مع العلم ونفي ما في القلب وإثباته. (٧)
- صوركم : الصورة ترد في كلام العرب على ثلاثها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته. (٨)
- الحمد : نقيض الذم. تقول حمدت الرجل أحمدته حمداً ومحمداً فهو حميد ومحمود والتحميد أبلغ من الحمد والحمد أعم من الشكر (٩)
- الحي : من الحياة والحي من كل شيء نقيض الموت. (١٠)

٢٠١ وتأتي على معان متعددة في القرآن الكريم. أنظر البصائر: ٢٨٣/٢

والقرطبي: ٢٢٨/١

٢٠٢ معجم مقاييس اللغة: ٨٨/٣

٢٠٤ أنظر البصائر: ٣٣٤/٣

٢٠٥ أنظر الراغب: ١٥٧. واللسان: ٨٥/١٠

٢٠٦ أنظر اللسان: ٣٩١/١٠

٢٠٧ أنظر الصحاح: ٤٥١/٢ والراغب: ٨٨

٢٠٨ أنظر غريب الحديث لابن الاثير: ٥٨/٣ واللسان: ٤٧٣/٤

٢٠٩ الصحاح: ٤٦٦/٢٠

٢١٠ اللسان: ٢١٢/١٤

بعض الدلائل الكونية الموجبة لتوحيده وشكره:

قوله تعالى : ((أَلله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا))
يُبين جل وعلا فضله على عباده بما خلق لهم من ظواهره الكونية وآياته
الدالة على كمال قدرته كالليل والنهار بما لهما من الفضل والنعمة
على الكون كله مما يعجز القلم عن وصفه والعقل عن إدراكه أفقد الكثير
من النظر والتفكير في تلك النعمة ما ألفه الانسان من دورتهما اليومية
وتعاقبهما مع أن ذلك آية من آيات كماله وقدرته قليل هنا ونهار هناك

((وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون)) (يس: ٣٧) .

حركة دائبة منتظمة لو اختلف شيء من تلك الدورة الفلكية عن مداره
بزيادة أو نقص لتغيرت الحياة واختلف نظام الكون كله ولكن تلك صنعة
الحكيم الخبير في خلقه ((صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير
بما تفعلون)) (النمل : ٨٨) .

وقد بين جل وعلا بعض الفوائد الظاهرة . من تعاقب الليل والنهار
في مواضع متفرقة من كتابه مما يوجب له الفضل والمنه على عباده .

من ذلك كون الليل راحة للسكون يستريح فيه الإنسان بالنوم وغيره
مما يكون سببا لهدوء الأعصاب وراحته فيعوض الجسم ما فقد في نهاره
من نشاط وحيوية بما أودعه فيه من الخصائص كالظلمة وغيرها مما يكون
سببا لذلك ولذا شبهه جل وعلا باللباس الذي يليه المرء يستريحه
عورته ((وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار
نشورا)) (الفرقان : ٤٧) . ثم يبدأ العبد دورته في اليوم التالي
بالقوة التي بدأها يوم أمس في نهار مصر مشمسا يرى فيه كل شيء
كان يغطيه ظلام الليل يصرف فيه شؤون حياته ومعاشه ((والنهار
مبصرا)) وسماه الحق مبصرا وسواء كان الابصار فيه أوبه فالإبصار
أما ظرف زمان للإبصار أو سبب له . واسناد الأبصار له من باب الإسناد
المجازي لما بينهما من الملاسة وفي ذلك مبالغة وأنه بلغ الأبصار
إلى حد سرى في نهار مصر .^(١)

١ . . الكشاف : ٣ / ٤٣٤ . وأنظر الألويسي : ٢٧ / ٨٢ .

وكون النهار للانتشار في الأرض وطلب التزقي والليل للراحة والسكون من نعم الله على عباده وذلك ما دل عليه القرآن ((وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا)) (النبا: ٩ - ١١) وكيف تكون الحالة ياترى لو أن الليل بقي على حاله إلى يوم القيامة والنهار كذلك؟ لاختل نظام الكون وفسدت الحياه ((قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون)) (القصص: ٧١ - ٧٢) . ثم يعقب جل وعلا على ذلك بما يبين أهمية هذه النعمة باختلاف الليل والنهار . وكون ذلك من رحمته بهم وفضله عليهم مما يوجب له الشكر والعرفان والإنقياد والطاعة بقوله : ((ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)) (القصص: ٧٣) .

فمن فوائد هذا التعاقب: معرفة العدد والحساب. فخصب به الناس مصالحهم الدينية بمعرفة مواقيت عباداتهم وأموهم الدينية كذلك قال تعالى : ((وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا)) (الاسراء: ١٢) . وقال تعالى ((وهو الذي جعل الليل والنهار خلفا لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا)) (الفرقان: ٦٢) فمن غابته شيء من عبادته في نهاره قضاه في ليله ومن غابته شيء في ليله قضاه في نهاره وهكذا . قال ابن كثير: ((أي جعلهما يتعاقبان توقيتا لعباده عبادته له عز وجل فمن غابته عمل في الليل أستدركه في النهار ومن غابته عمل في النهار أستدركه في الليل)) (١) وهو ما ذهب إليه جماعة من السلف كعمير ابن الخطاب وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وقتاده والحسن (٢) .

١ . ابن كثير: ٣ / ٣٢٥ .

٢ . المصدر السابق . وأنظر البيهقي: ٣ / ٣٧٥ .

ولقوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء^(١)
النهار ويبسطها بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها))
وهذا الفضل العظيم الذي تفضل الله به على عباده رحمة منه بهم
بهايتين الآيتين ومحو إحداها بالأخرى لا يدرك عنايم تلك النعمة
إلا ذو عقل سليم من الآفات وقلب صاف من الأهواء وعين مصرة ترى بنور
الله وأذن صاغية لما جاء عن الله يستفيد من حواسه تلك فيرى آيات
ربه وعلامات وحدانيته في هذا الكون الفسيح علويه وسفليه فسبحان
الذي لا تحيط العقول بملكه ((وما نريهم من آية إلا هي أكبر ممن
أختها)) (الزخرف: ٤٨). أفبعد هذا يستحق العبادة غيره؟
أو يشرك معه فيها سواه إذ هو صاحب الفضل والنعمة. وصدق الله:
((إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون)) أي هو
المتفضل المنعم ولكن الكثير من عباده ينكر له ذلك. قال الزمخشري:
وكرر الناس دون الاكتفاء بالضمير قال لفي هذا التكرير تخصيص لكفران
النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه ((وكفرون
الإنسان كافرا بهذه النعم جا حدا حق الله فيها منكر لها أشار إليه
الحق تعالى في مواضع متفرقة من كتابه كقوله: ((إن الإنسان لربه
لكنود)) (العاديات: ٦) وقوله: ((إن الإنسان لظلوم كفار)) (إبراهيم: ٣٤)
وكقوله: ((وما يحدد بآياتنا إلا كل ختار كفور)) (لقمان: ٢٢) إلى غير
ذلك من الآيات الدالة على ذلك وإنكاره لهذا الفضل إما لكونه كافرا
بهذه النعم جا حدا فضل الله عليه فيها كما هو شأن الكفار وإما لكونه
غافلا عن هذه النعم والنظر فيها مما جعله يهمل شكر الله والعمل بطاعته
لجهله. ((ذلكم)) المعلوم المتميز بالأفعال الخاصة التي لا يشاركه
فيها أحد هو ((الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو)) أخبار
مترادفة أي هو الجامع لهذه الأوصاف من الألوهية والربوبية وخلق كي
شيء وأنشائه لا يمتنع عليه شيء.^(٤)

١. مسلم: ٢١١٣/٤ ح ٢٧٥٩ وأحمد: ٤/٤/٤٠٤٠٤٠٤
٢. الزمخشري: ٤٣٤/٢
٣. فتح القدير: ٤/٤٩٨
٤. أنوار الزمخشري: ٤٣٤/٣

قلت: وفي هذه الآية استدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية كما هو الحال في كثير من آي القرآن الكريم لأن القوم لا ينازعون في توحيد الربوبية إذ هو مما نُطرت عليه العقول السليمة ولا سيما أن شركي العرب في ذلك اليوم خير من شركي اليوم بل خير من بعض المسلمين ممن يشرك مع الله غيره ولما كان أو غيره حيا كان أو ميتا . ولهذا ترى الواحد من الشركين في زمانهم يعبد آلهة كثيرة وحينما تضيق به السبل أو يضطره أمر من الأمور في بر كان أو في بحر يفزع إلى الله في شدته ليكشف عنه كربته لإدراكه بأنه لا ينفعه في تلك الحال إلا الله الذي بيده الضر والنفع قال تعالى ((ولذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمه منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله)) (الزمر: ٨) .

وكذلك قوله: ((فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون)) (العنكبوت: ٦٥) .

ويحدثنا التاريخ عن قصة إسلام عكرمة بن عمر بن هشام بن المغيرة المخزومي والده أبو جهل فرعون هذه الأمة . حيث كان واحدا ممن أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة ولو كانوا معلقين بأستار الكعبه فهرب عكرمة إلى جده وركب البحر ليذهب إلى الحبشة فأصابهم عاصف فقال: أصحاب السفينة أخلصوا لربكم الدعاء فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا فقال عكرمة: والله لئن لم ينجيني في البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره اللهم إن لك على عهد إيمان عافيتي مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى أضع يدي في يده فلا أجدنه إلا عفوا كريما قال: فجاء فأسلم. (١)

ولهذا كثرت الأسئلة على توحيد الربوبية بصيغة الاستفهام التقريرية فيترتب على ذلك الاعتراف والتقرير منهم الإنكار والتفريع والتوبيخ إذ المقر بربوبيته جل وعلا وأنه الخالق الرازق المحي المميت النافع والضرار في العنسر واليسر يلزمه بذلك أن يوحد بالعبادة ولا يشرك معه غيره من الأنداد والنظراء ((ألم له مع الله قليلا ما تذكرون)) (النمل: ٦٢) ((أنفي الله شك فاطر السموات والأرض)) (ابراهيم: ١٠) . ((أمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون)) (النحل: ١٧) . . . إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا

المعنى

١. أنظر الكامل لابن الاثير غير أنه لم يذكر خبر ركوبه البحر: ٢/ ١٦٨ .
وتفسير ابن كثير: ٣/ ٤٢٢ والاصابه لابن حجر: ٣/ ٤٩٦، ٤٩٧ .

قال صاحب الأضواء : ((إن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية —
إستفهامات تقرير ، يراد منها أنهم إذا أقرروا رتب لهم التوبخ والإنكار
على ذلك الإقرار . لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة
كقوله تعالى : ((أفبي الله شك)) (ابراهيم : ١٠) وقوله : ((قل أغير
الله أبغي ربا)) (الأنعام : ١٦٤) وإن زعم بعض العلماء أن هذا
إستفهام إنكار لأن استقراء القرآن دل على أن الإستفهام المتعلق
بالربوبية إستفهام تقرير وليس إستفهام إنكار لأنهم لا ينكرون الربوبية)) (١)
وكذلك هنا فبعد أن قرر لهم جل وعلا خلقه للكون كله وأنه لا يعجزه
شيء من ذلك ((ولذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)) (البقرة : ١١٧)
عقب على ذلك بما يفيد نفي العبادة عن سواه لأنه لا يشاركه في الخلق
أحد ((الله خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون)) وإذا كان الأمر
كذلك فكيف تصرفون العبادة لغيره أو شيء منها بعد أن علمتم
دلائل قدرته والعلامات الموجبة لتوحيده وإخلاص العبادة له وأقررتم
بربوبيته ؟ فأنكر عليهم جل وعلا صنيعهم هذا ثم أخبر أن الذي حصل
لهم من الإنصراف عن الحق إلى الباطل وعبادة غير الله مع قيام الأدلة
الموجبة لتوحيده . حصل لكثير من الأمم السابقة ممن أنكر فضل الله
عليه وجحد آياته وحججه وبراهينه الدالة على الإيمان به فقال
((كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون)) أي كذلك فعل من
قبلكم عن الأمم كضلالكم فلكتم مسلكهم واتبعتم طريقتهن في الضلال .
وهكذا يدل على كمال قدرته واستحقاقه للعبادة بما يقرره
من ربوبيته وفضله على عباده المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق
بالزمان . (٢) وجعله الليل للراحة والسكون والنهار للمعاش وطلب البرزق .
فيقول : ((الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء)) وذلك
تقرير لواقع ملموس شاهد يقربه المشرك وغيره من كونه هو الخالق لهذا
الكون العتائم أرضه وسمائه)) ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)) (لقمان : ٢٥) .

١ . أضواء البيان : ٣ / ٣٧٦ .

٢ . أنظر الألويسي : ٢٧ / ٨٣ .

وتواه : ((ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقتهن
العزیز العليم)) (الزخرف : ٩) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة
في هذا . ولذا فكثيرا ما يستدل الحق جل وعلا بالأدلة العقلية
والظواهر الكونية والفلكية في مواضع متعددة من القرآن الكريم
ولا سيما في السور المكية وإن لم يكن ذلك تكرارا بقدر ما هو نوع
من التنويع في العرض والاستدلال فيه التقديم تارة والتأخير أخرى
بما يتناسب والجو العام الذي تتميز به تلك السورة التي يرد فيها
مثل هذا النوع من الأدلة . الغرض من ذلك كما هو في تكرار القصص
القرآني تمكينا للعبارة وتشبيها للموعظة وتوضيحا للحكمة وتقوية
لدليل القدرة وإرشادا للعقل السليم الى كمال قدرته وعظيمة سلطانه
مما يوجب له التوحيد المطلق . لأن ما أودعه جل وعلا في هذا الخلق
الكوني الهائل وما فيه من آيات القدرة ودلائل التوحيد ما يلزم المكابر
المعاند بالإذعان لذلك والتسليم بقدرته جل وعلا ولهذا أنكر
جل وعلا على العبد عدم تفكره وإتعاظه بما أودعه في الكون من
آيات وإعراضه عنها دون تفكر وتدبير ((وكأين من آية في السموات
والأرض يمرن عليها وهم عنها معرضون)) (يوسف : ١٠٥)

قال الرازي : ((إنه تعالى ذكر أمر السموات والأرض في كتابه في
مواضع متعددة ولا شك أن كثرة ذكر الله تعالى من ذكر السموات
والأرض يدل على عظم شأنهما وعلى أن له سبحانه وتعالى أسراراً
عظيمة وحكما بالغه لا يصل اليها افهام الخلق ولا عقولهم)) (١)

قوله : ((الله الذي جعل لكم الأرض قرارا)) أي تستقرون عليها
بأن بسطها لكم تعيشون عليها وتتقايون فيها لمعاشكم وأرزاقكم
بكل يسر وسهولة)) والله جعل لكم الأرض ساطا لتسلكوا منها سبلا

فجآجا)) (نوح : ٢٠ ، ١٩) وجعلها صالحه لحياة مابه تقوم حياتكم
بما أودعه فيها من زروع وثمار وأنهار وغير ذلك مما لا حصر له . وشتمها
بالجبال لتستقر دون اضطراب وحركة وذلك قوله تعالى : ((ألم
نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا)) (النبا : ٧٦) وكذلك

قوله : ((والجبال أرساما)) (النازعات : ٣٢) .

وقد ذكر جل وعلا نعمة جعله الأرض قرارا في معرض إنكاره على القوم عبادة غيره جل وعلا لأن موجب هذه النعم أن يوحد فلا يشرك معه غيره وأن يطاع ولا يعصى وأن يؤمن به ولا يكفر وأن تصدق رسوله ولا تكذب ((أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ألهه مع الله بل أكثرهم لا يعلمون)) (النمل : ٦١) أهو أحق بالعبادة أم تلك الآلهة المخلوقة المربوبة والتي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا فضلا عن كونها خالقة لشيء من موجودات هذا الكون ((واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا)) (الفرقان : ٣) .

ثم ذكر نعمة أخرى يجعله السماء كالقبة الضروبة على الكون كله تحيط به من جميع جوانبه ((السماء بناء)) وهذا السقف الهائل للكون يعجز العقل عن إدراكه أو تصويره يقرب النظر فيه المرة تلو المرة فيرجع البصر خاسئا ذليلا مهما حاول أن يرى فيه على سعته وعظمته عيا أو خلا أو نقصا أو تفاوتا ولا عجب في ذلك فتلك صنعة اللطيف الخبير بخلقه لا يعجزه شيء من ذلك ((الذي خلق سبع سموات طبائعا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير)) (الملك : ٣ ، ٤) جعل الله هذا المخلوق العظيم للأرض كالسقف للمبني يحفظه ((وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)) (الأنبياء : ٣٢) وكل سقف لا يد له من قواعد ترفعه وتحميه من السقوط على من تحته غير أنه من كمال قدرته رفعه لذلك السقف دون عمد نراها ((الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها)) (الرعد : ٢) وتكفل بحفظه من الوقوع على الأرض الا

بعلمه وقدرته ((ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا بإذنه)) (الحج : ٦٥) والإنسان مدعو إلى النظر في هذا الكون الفسيح والتأمل فيه وما أودع الله فيه من آيات ودلالات لا شك أنها تزيد في إيمان المؤمن وتوقظ قلب الغافل عن قدرته وتدعو الكافر والمشرك إلى التأمل في عجائب صنعه وقدرته تعالى .

وان هذه الأرض والسماء وما فيهما ما خلقا لها ولعبا ((ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى)) (الروم: ٨) .
فيعلم العبد أن وراء ذلك خالق مدبر وان هناك جنه و ناراً وأن هناك حساباً وجزاءً فيهندي لربه ويسلم له وحده فهو المستحق لذلك والمؤمن مدعو للنظر في هذه الدلائل والآيات لأن غيره ممن طبع الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة لا تغنيه الآيات ولا النذر لأنه غير مؤمن بربه فكيف يصدق بآياته ((قل أنظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)) (يونس: ١٠١) .

قال الجاحظ: يصف كون السماء بناءً فيما نقله الرازي عنه ((إذا تأملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج إليه فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كاليساط والنجوم منورة كالمصابيح والإنسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيأة لمنافعه وضروب الحيوانات مصرفة في مصالحه فهذه جملة واضحه دالة على أن العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية والله أعلم .))^(١)

وبعد أن عرض عز وجل لبعض الدلائل الكونية الدالة على كمال قدرته عرض لأدلة أخرى من النفس البشرية ذاتها لأنها المعنيه بتلك الأدلة وهي ذرة من ذرات هذا الكون الهائل ولا تقاس بشيء منه حتى ينظر المرء لنفسه فيرى آثار نعمة الله عليه بأن جعله سيد هذا الكون سخر له كل ماعيه واعطاه من النعم الظاهرة والباطنة وجعله في أحسن خلقه فقال: ((وصوركم فأحسن صوركم)) بأن ميزكم على جميع مخلوقاته وجعلكم خلقاً سويًا معتدل القامة في أحسن صورة وأحسن هيئة ((يا أيها الانسان ما فرغ بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعد لك

في أي صورة ماشاء ربيك)) (الانفطار: ٦ - ٨) وكذا قوله ((ولقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)) (التين: ٤) قال ابن عباس: ((خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل ويتناول بيده ، وغير ابن آدم يتناول بشيه))^(٢)

١- تفسير الرازي: ٢/٩٠٩٠٦

٢- أنظر البغوي: ٤/١٠٤٠١

فوله : ((ورزقكم من الطيبات)) أي رزقكم من كل مالد وطاب من مطعوم أو مشروب أو ملبوس. ((سخر لكم مافي السموات ومافي الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة)) (لقمان : ٣٠) .

((ذلكم)) أي الذي خلق كل هذه النعم التي مريبان شيء منها وتفضل بها على عباده هو ((الله ربكم)) رب كل شيء ومليكه تعاليت عظمته وتقدست أسماؤه وتنزه عن الشريك والولد ((الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)) (البقره : ٢٢٣) .
((فتبارك الله رب العالمين)) أي تعالى وتقدس عن الشريك والولد إذ هو المالك لعباده المربي لهم والمتصرف في شؤونهم لا إله غيره ولا رب سواه .

والرب هو اسم من أسماء الحسنى لا يطلق محرغا على غيره فلا يقال للمخلوق الرب لأن الألف واللام للعهد والتعميم والإنسان لا يملك ذلك ولكن يقال رب كذا وكذا فينسب إلى الشيء خاصة كأن يقال رب البيت ورب الدابة وهكذا . قال القرطبي : قال بعض العلماء : «إن هذا الاسم هو اسم الله الأعظم لكثرة الداعين به وتأمل ذلك في القرآن كما في آخر ((آل عمران)) وسورة ((ابراهيم)) وغيرهما ولما يشعر به هذا الوصف من الصلة بين الرب والمربوب مع ما يتضمنه من العطف والرحمة والافتقار في كل حال)) .

قوله تعالى : ((رب العالمين)) العالمين جمع عالم والعالم الخلق والجمع العوالم والعالمون أصناف الخلق وهو جمع لا واحد له من لفظه . كالحيث والرمط .

١ . غريب القرآن لابن قتيبه : ٩٠ ، والبغوي : ٤٠ / ١ .

٢ . الآيات من ١٩٢ - ١٩٤ آل عمران فيها الدعاء بربنا .

٣ . أنظر سورة ابراهيم من آيه : ٣٥ - ٤١ .

٤ . أنظر القرطبي : ١ / ١٢٧ .

٥ . الصحاح : ١٩٩١ / ٥ واللسان : ١ / ٤٢٠ .

واختلف العلماء في المراد بالعلمين . فقال جماعة من السلف كابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد المراد بذلك جميع أصناف الخلق (١) .

وقيل المراد بالعالمين الإنس والجن روي ذلك عن ابن عباس وابن جبير (٢) . قال الأزهري والدليل على صحة قول ابن عباس ((تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)) (الفرقان : ١) وليس النبي نذيرا للبهائم ولا للملائكة وهم كلهم خلق الله وإنما بعث للإنس والجن (٣) . وقيل المراد بذلك من يعقل من الخلق وهم أربعة : الإنس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم لأن هذا الجمع إنما هو جمع من يعقل خاصة (٤) .

وقيل : أصناف الخلق الروحانيين من الملائكة والإنس والجن كل صنف منهم عالم روي ذلك عن ابن زيد . وقيل غير ذلك (٥) .

قلت : والأولى أن يكون المراد بذلك عموم أصناف المخلوقات قال ابن جرير وهو معنى قول عامة المفسرين . واختاره القرطبي لأنه شامل لكل مخلوق وموجود قال : ودليله قوله تعالى : ((قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما)) (الشعراء : ٢٣ - ٢٤) ثم أنه مأخوذ من العلم والعلامة لأنه يدل على موجدته (٦) . وأرتضى ابن كثير قول القرطبي قال : ((العالم مشتق من العلامة لأنه علم دال على وجود خالقه وصاتعه ووحدانيته . ثم أورد قول ابن المعتز (٨) :

فيا عجا كيف يعصي الإله . أم كيف يجحده الجاحد .

وفى كل شيء له آية . تدل على أنه واحد .

١ . الطبري : ٤٨ / ١ والبغوي : ٤٠ / ١ والقرطبي : ١٣٨ / ١ وابن كثير : ٢٤ / ١ .

٢ . الطبري : ٤٨ / ١ والبغوي : ٤٠ / ١ .

٣ . أنظر اللسان : ٤٢١ / ٢ .

٤ . البغوي : ٤٠ / ١ والقرطبي : ١٣٨ / ١ وابن كثير : ٢٤ / ١ .

٥ . أنظر ابن قتيبة في غريب القرآن : ص ١٣٨ والقرطبي : ١٣٨ / ١ .

٦ . الطبري : ٤٨ / ١ .

٧ . أنظر القرطبي : ١٣٩ / ١٠ .

٨ . ابن كثير : ٢٥ / ١ .

وقال ابن تيمية عند قوله تعالى : ((إن الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين)) (آل عمران : ٣٣) .
تحتل جميع أصناف الخلق ويحتمل أن يراد بها بنو آدم فقط وللمحتج
بها أن يقول : اسم العالمين عام لجميع أصناف المخلوقات التي بها
يعلم الله وهي آيات له ودلالات عليه لاسيما أولوا العلم منهم مثل
السلاكة فيجب اجراء الاسم على عمومها وإلا إذا قام دليل يوجب
الخصوص^(١) . وقال القاسمي في تفسيره : ((العالمين جمع عالم وهو الخلق
كله وكل صنف منه عالم واثير صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى
لجميع الأجناس والتعريف لاستغراق أفراد كل منها بأسرها .))^(٢)
قوله تعالى : ((هو الحي لا إله إلا هو)) قال ابن جزير وأما قوله
الحي فانه يعني الحي الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول
له يحد ولا آخر له يؤمد اذ كان كل ماسواه فإنه وان كان حيا فلحياته
أول محد ود وآخر مأمود ينقطع بأنقطاع أمدها وينقضي بانتضاء غايتها^(٣) .
وهو اسم من أسماء الحسنى التي يوصف بها جل وعلا واختلف العلماء
في تأويل وصفه بالحياة فقال قوم : سمي الله نفسه حيا لصفه الأمور
مصارفها وتقديره الأشياء مقاديرها فهو حي بالتدبير لا بحياة^(٤) . وقال
آخرون : بل هو حي بحياة له صفة^(٥) . وقال آخرون : بل ذلك اسم من الاسماء
تسمى به فقلناه تسليما لأمره^(٦) .
وقال الألويسي : ((الحي صفه موجودة حقيقة قائمة بذاته لا يكتنه كنهها
ولا تعلم حقيقتها كسائر صفاته جل شأنه زائد على مجموع العالم
والقدرة))^(٧) .

١ . الفتاوى لابن تيمية : ٤ / ٣٦٧ .

٢ . أنوار تفسير القاسمي : ٢ / ٨ .

٣ . الطبري : ٣ / ٤ .

٤ ، ٥ ، ٦ . المصدر السابق : ٣ / ٤ - ٥ والقرطبي : ٣ / ٢٧١ .

٧ . الألويسي : ٣ / ٧ .

قوله: ((لا إله إلا هو)) أي لا معبود بحق سواه جل وعلا فنفسى
الألوهية عن غيره وأثبتها له جل وعلا إذ هو الواحد الأحد الفرد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)) (الإخلاص ٣- ٤)
ومن هذه صفته وجب أن يفرد وحده بالعبادة والطاعة وأن تكون
خالصة له دون سواه وأن يفرد بدعاء العبادة ودعاء المسألة لأن
من هذه صفاته حري ألا يصرف لغيره شيء من ذلك.

((فادعوه مخلصين له الدين ألحمد لله رب العالمين)) قال الطبري:
((كان جماعه من أهل العلم يأمرؤن من قال لا إله إلا الله بالحمد
لله رب العالمين تأولا منهم هذه الآية بأنها أمر من الله بقيل ذلك)) (١)
روى مجاهد عن ابن عباس قوله ((من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها
الحمد لله رب العالمين يريد قوله عز وجل فادعوه مخلصين له الدين
الحمد لله رب العالمين)) وروى نحو ذلك عن سعيد بن جبير. (٢)

قوله: ((ألحمد لله)) قال ابن جرير: ((الشكر خالصا لله جل ثناؤه
دون سائر ما يعبد من دونه ودون كل ما يرى من خلقه بما أنعم على
عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره
أحد في تصحيح الآلات لطاعته وتمكين جوارح أجسام المكلفين
لأداء فرائضه مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعم
العيش من غير استحقاق منهم لذلك عليه ومع ما نبههم عليه ودعاهم
إليه من الأسباب المؤدية الى دوام الخلود في دار المقام في النعيم
المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا)) (٤)

قال ابن عباس: ((ألحمد لله هو الشكر والاستحذاء لله والإقرار بنعمته
وهذا آيته وابتدائه وغير ذلك)) وقال كعب الأحبار: **والحمد لله**
ثناء على الله. (٦)

١. أنظر الطبري: ٥٣/٢٤.
٢. رواه الحاكم في مستدركه وقال حديث صحيح على شرط الشيخين
ولم يخرجاه: ٤٣٨/٢٠. وأنظر الطبري: ٥٣/٢٤ والبيهقي: ٤/٤٠٤.
٣. وابن كثير: ٨٨/٤ والدر: ٤٤٧/٥.
- المصادر السابقة ما عدا الحاكم.
٤. ٦٠٥ الطبري: ٤٦/١ وابن كثير: ٤٣/١.

ومن الأحاديث الواردة في فضل الحمد :

قوله صلى الله عليه وسلم : ((أظهور شطر الايمان والحمد لله —————
الميزان . . الحديث))^(١)

وكذا ما رواه الاسودين سريع قال قلت : يا رسول الله ألا أنشدك محامد
حمدت بها ربي تبارك وتعالى فقال : ((أما إن ربك يحب الحمد))^(٢)
وكذلك ما رواه أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : ((أفضل
الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله)) والأحاديث والآثار
في فضل الحمد كثيرة .

واللام في الحمد لله : لاستغراق جميع المحامد والشكر الكامل لله وحده
على ما أنعم به على عباده من النعم التي لا حصر ولا عد لها .^(٤) وذلك
أن حمد غيره لا يعتد به إذ هو المنعم المتفضل وحده جل وعلا . وعلى
أن حمده هو الفرد الكامل فيكون الحصر دعائيا .^(٥)

واختار صاحب الكشاف أن تكون اللام للجنس لأن ذلك أدل على قصر
المحامد وانحصارها في الله من لام الاستغراق .^(٦)

والصواب كونها للاستغراق وهو اختيار جمهور المفسرين فالله هو المحمود
بجميع المحامد من قبل الإنس والجن والملائكة فالحمد له حقيقة ولغيره
مجازا ((وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون))

(الروم : ١٨) .

١ . مسلم : ٢٠٣ / ١ ح ٢٢٣ .

٢ . أحمد : ٤٣٥ / ٣ .

٣ . ابن ماجه : ١٢٤٩ / ٢ ح ٣٨٠٠ .

٤ . الطبري : ٤٦ / ١ .

٥ . فتح القديز : ١٩٧ / ١ .

٦ . الزمخشري : ٤٩ / ١ .

فالحمد لك ثناء على الله بما هو أهله أفتتح بها كتابه وأثنى بها على نفسه وليس لغيره أن يمدح نفسه . قال تعالى : ((فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى)) (النجم : ٣٢) .

قال ابن جرير : ((الحمد لله أحمداً الله نفسه جل ثناؤه فأثنى عليها ثم علمناه لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه)) (١) .

وقال القرطبي : معنى ((الحمد لله رب العالمين)) ((أي سيق الحمد مني لنفسي قبل أن يحمدني أحد من العالمين وحمدني نفسي لنفسي في الأزل لم يكن بعلة ، وحمدني الخلق مشوب بالعلل .

قال علماءنا : فيستقبح من المخلوق الذي لم يعط الكمال أن يحمد نفسه ليستجلب لها المنافع ويدفع عنها المضار . (٢)

وقال ابن القيم في إاثبات الحمد كله لله عز وجل ((هو المحمود على طاعات العباد ومعاصيهم وإيمانهم وكفرهم وهو المحمود على خلق الأبرار والفجار والملائكة والشياطين وعلى خلق الرسل وأعدائهم وهو المحمود على عدله في أعدائه كما هو المحمود على فضله وإنعامه على أوليائه فكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحمده ولهذا سبح بحمده السموات السبع والأرض ومن فيهن)) (٣) ((وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)) (الاسراء : ٤٤) .

الفرق بين الحمد والشكر :

أختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال :

فقال قوم : إنهما بمعنى واحد فالحمد يكون بمعنى الشكر ويأتي الشكر بمعنى الحمد وأستدل من قال بهذا بقول القائل : الحمد لله شكراً فلو لم يكن الشكر بمعنى الحمد لكان خطأ أن يصدر من الحمد غير معناه وغير لغته .

١ . الطبري : ٤٧ / ١ .

٢ . أنظر القرطبي : ١ / ١٣٥ .

٣ . طريق الحجرتين : ص ٥٠ .

وهو اختيار ابن جرير. ^(١) قيل: ونقل ذلك عن جعفر الصادق وابن عطاء. ^(٢)
وقال آخرون: إن الشكر أعم من الحمد لأنه يكون باللسان والجوارح
وبالقلب على حد قول القائل:

أفاد تكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
بينما الحمد يكون باللسان وحده ^(٣)

وقال آخرون: الحمد أعم لأن فيه معنى الشكر ومعنى المدح وهو أعم
من الشكر لأن الحمد يوضع موضع الشكر ولا يوضع الشكر موضع الحمد. ^(٤)
قلت: والمختار أن بينهما عموماً وخصوصاً فالحمد أعم من الشكر من حيث
ما يقعان عليه فيكون على الصفات اللازمة والمتعدية فتقول حمدته لشجاعته
وحمدته لكرمه وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول.

والشكر أعم لأنه يقع بالقول والفعل والنية، وأخص لأنه لا يقع إلا على
الصفات المتعدية فلا تقول شكرته لشجاعته ولكن تقول شكرته على شجاعته
شكرته على فضله وهكذا فمن هذا الوجه يكون الشكر أعم من جهة أنواعه
والحمد أعم من جهة أسبابه فيكون على المحاسن والإحسان والشكر
أخص من جهة أسبابه فيكون على إحسان المشكور وإلى الشاكر.
وهو اختيار جماعة من المفسرين كالراغب وابن تيمية وابن كثير وأبي
السعود وغيرهم. ^(٥) ^(٦) ^(٧) ^(٨)

١. الطبري: ٤٦/١.

٢. القرطبي: ١٣٣/١ وابن كثير: ٢٣/١.

٣. غريب القرآن لابن قتيبة: ص ٢٠ والكشاف: ٤٦/١ والقرطبي: ١٣٣/١.

٤. الراغب: ١٣١.

٥. الفتاوى: ١١٦ / ١٣٤ ، ١٣٥.

٦. ابن كثير: ٢٣/١.

٧. أبو السعود: ١٢/١.

وبعد أن بين الحق جل وعلا جملة من دلائل توحيده وذكره لبعض أسمائه وصفاته عز وجل وتوجيهه لعباده بتوحيده وإخلاص العبادة له .
 أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعلن في القوم براءته من آلهتهم التي يعبدونها من دون الله عز وجل لعاجاه من البراهمين والأدلية النقلية والعقلية الموجهة لتوحيده وإفراد العبادة له وحده والإنقياد بالطاعة . وان الذي خلق الإنسان من تراب بعد أن كان عدما وطور خلقته من حال إلى حال ثم من شاء أماته ومن شاء أحياء لا يعجزه شيء من خلقه لهو المعبود الحق الذي يجب أن يفرد بالعبادة .

فقال: **قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَ فِي**

الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا
شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ وَيُتْلَى وَأَجَلًا مُسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا
قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

معاني المفردات:

الأمر: واحد الأمور وهو لفظ عام للأفعال والأقوال والأحوال كلها
 ويتصرف في القرآن على أوجه كثيرة تربو على ستة عشر وجهاً .^(١)

أسلم: الإسلام هو الاستسلام والانقياد والخضوع لله تعالى .

النطفة: هي ماء الرجل الصافي .^(٢)

العلقة: هي الدم الغليظ .^(٣)

١ . أنظر القرطبي: ٨٨/٢ والبصائر: ٣٩/٢ - ٤٢ -

٢٥٢ . الصحاح: ١٤٣٤/٤ ، ١٥٢٩/٤ .

الأشد : هو يبلغ الرجل الحنكه والمعرفة والقوة (١)
الشيخ : هو من طعن في السن وقد يعبر به عن يكثر علمه لما كان
من شأن الشيخ أن يكثر تجاربه ومعارفه (٢)
قضى : قال الأزهري : القضاء في اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع
الشيء وتعامه وكل ما أحكم علمه وأتم أو ختم أو أدى أداء
أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضى فقد قُضي (٣)

إخلاص العبادة لله وحده :

يقول جل ذكره : ((قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله
لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين))
أمر عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه نهى ربه له ممن
اتباع آلهتهم التي يعبدون من دون الله كالأصنام والأحجار وغيرها
مما كانوا يعتقدون ألوهيته مع الله حيث دعوه إلى العودة لما كان عليه
آبائهم وأجدادهم من الكفر والضلال (٤) فنهي عن ذلك بهذه الآية
ونظير ذلك قوله تعالى : ((قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من
دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين . قل
إني على بينة من ربي وكذبتم به)) (الأنعام : ٥٦ ، ٥٧) . وكذلك
قوله تعالى : ((قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون)) (الكافرون : ٢١)
إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى .

بيننا وجه النهي في ذلك وأن الذي ثبت لديه من الأدلة والبراهين العقلية
والنقلية من الحجج الواضحة الدالة على توحيده جل وعلا وإفراده بالعبادة
خالصة له وحده لا شريك له في ملكه إذ هو الخالق لكل شيء الموصوف
بصفات العظمة والجلال . النافع الضار . وما عداه لا يستحق شيئا من ذلك
وكيف يكون الإله لها وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا ؟

١ . اللسان : ٢٣٦ / ٣ .

٢ . الراغب : ٢٧٠ .

٣ . اللسان : ١٨٦ / ١٥ .

٤ . أنظر البيهقي : ١٠٥ / ٤ والقرطبي : ٣٢٩ / ١٥ والدر : ٣٥٧ / ٥ .

((والذين تدعون من دونه ما يملكون من قلميز)) (فاطر : ١٣) وكذا قوله تعالى : ((إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب)) (الحج : ٧٣) والأدلة على هذا كثيرة . وإذا كان الأمر كذلك وهذه حالكم مع آلهتكم فإن ربي أمري أن أسلم وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره وأن أنقاد له بالطاعة مخلصا له ديني فهو ربي وربكم الذي رب العالمين جميعهم بنعمه وفضله ((لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)) (التوبة : ٣١) .

أصل خلق الانسان وتطوره :

وبعد أن أمر جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم بعبادته وحده وتسليمه أمره لخالقه الذي رباه وربى جميع العالمين بنعمه وفضله أبان بأدلة أخرى من النفس البشرية أحقيقته لذلك ولكي يعرف الإنسان حقيقة منشئه . وأصل خلقته وضعفه وحقارته بالنسبة لقدرته جل وعلا بخلقه له من ماء مهين ((ألم نخلقكم من ماء مهين)) (المرسلات : ٢٠) وكقوله : ((خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين)) (النحل : ٤) وحتى يعرف أطوار حياته وكيف وصل إلى هذه المرحلة . فيتدبر ويتعظ ويسلم لربه فينقاد له ويخفف من غلوائه وكبره إذا تذكر مادة خلقه فيقول جل وعلا ممثنا على عباده بذلك ((هو الذي خلقكم من تراب)) فالأرض يترابها هي أصل خلق الإنسان تبعاً لأب البشرية آدم الذي خلق منها وإليها تعود البشرية ومنها تبعث إلى ربها ((منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)) (طه : ٥٥) .

وقيل خلقكم من تراب لأنه أصل مادتكم لأن الماء يتولد منه أغذية نباتية وحيوانية راجعة إلى التراب .^(١) وارتضاه الرازي في تفسيره قال : ((قيل المراد بذلك آدم وعندني لا حاجة إليه لأن كل إنسان فهو مخلوق من العني ودم الطمث والعني مخلوق من الدم . فالإنسان مخلوق من الدم والدم إنما يتولد من الأغذية والأغذية إما حيوانية أو نباتية . . . فالأغذية بأسرها منتبیه إلى النباتية .

١ . الرازي : ٢٧ / ٨٥ وأبو حيان : ٦ / ١٢٧ وأبي السعود : ٥ / ٢٢٢

والألوسي : ١٥ / ٢٧٦ .

والنبات إنما يكون من التراب والماء ، فثبت أن كل إنسان فهو مكون من التراب ثم إن ذلك التراب يصير نطفة ثم علقه ^(١) ((

وقيل : إن الملك الموكل بالرحم يلقي في النطفة قليلا من التراب قبل دخولها في الرحم . وعقب أبو حيان على هذا القول بأن ذلك يحتاج إلى صحة . وزاد الألويسي فقال : غالب ظني اني وقفت على تصحيحه لكن في تخريج الآية عليه كلام لا يخفى ^(٢) .

قلت : والأولى من ذلك كله أن يقال ان المراد بهذه الآية والايات المشابهة لها خلق آدم وذريته تبعا له في ذلك والوقوف مع النصوص الصريحة في ذلك ((إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب)) (آل عمران : ٥٩) وكذلك قوله : ((ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين)) (المؤمنون : ١٢) وكذلك قوله : ((وبدأ خلق الإنسان من طين)) (السجدة : ٧) .

قال أبو السعود : ولما أن خلق كل فرد من البشر له حظ من خلقه عليه السلام إذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة سائر أفراد الجنس إنطواءً إجماليا مستتبعا لجريان أثرها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه ^(٤) وقال صاحب الأضواء : والتحقيق أن معنى خلقه الناس من تراب أنه خلق أباهم آدم منها . . . ولما خلق أباهم من تراب وكانوا تبعا له في الخلق صدق عليهم أنهم خلقوا من تراب وما يزعمه بعض أهل العلم من أن معنى خلقهم من تراب أن النطفة اذا وقعت في الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة والتراب معا فهو خلاف التحقيق .

١ . الرازي : ٢٧ / ٨٥ .

٢ . أبو حيان : ٦ / ١٢٧ .

٣ . الألويسي : ١٥ / ٢٧٦ .

٤ . أبو السعود : ٥ / ٢٢٢ .

لأن القرآن يدل على أن مرحلة النطفة بعد مرحلة التراب بمهله فهي غير مقارنة لها بدليل الترتيب بينهما ب ((ثم)) وأورد آيات كثيرة من مثل قوله تعالى : ((يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفه)) (الحج : ٥) ثم قال : وكذلك ما يزعمه بعض المفسرين من أن معنى خلقهم من تراب أن المراد أنهم خلقوا من الأغذية التي تتولد من الأرض فهو ظاهر السقوط كما ترى^(١) .
قوله تعالى : ((ثم من نطفة)) قال أبو حيان ((النطفة هي القليل من الماء يقال : ما في القربة من الماء نطفة . المعنى ليس فيها قليل ولا كثير وسمى المنى نطفة لأنه ينطف أي يقطر : قطرة بعد قطرة))^(٢)
وهذه النطفة أول مراحل تكوين الجنين في بطن أمه وهي من ماء الرجل والمرء كما دل على ذلك القرآن والسنة فمن القرآن قوله تعالى : ((إنا خلقنا الإنسان من نطفه أمشاج نبتليه)) (الإنسان : ٢)
قال الفراء : ((الأمشاج هي الأخلاط من ماء الرجل وماء المرأة والدم والعلقة ويقال للشيء من هذا إذا خلط مشيج كقولك خليط وممشوج كقولك مخلوط .)) وفي اللسان : والمشيج ماء الرجل يختلط بماء المرأة^(٣) . وهكذا فسرها السلف كابن عباس ومجاهد والربيع ابن أنس^(٤) . وكذلك قوله تعالى : ((فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب)) (الطارق : ٥ - ٧) .
ومن السنة ما رواه أحمد في مسنده وسؤال اليهودي له صلى الله عليه وسلم إمتحانا له عن خلق الإنسان مم يكون ؟ لعلمه أنه لا يعلم ذلك إلا نبي . فقال صلى الله عليه وسلم ((يا يهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم))
فقام اليهودي فقال ((هكذا كان يقول من قبلك))^(٥) .

١ . أنظر الأضواء : ٤ / ٤٢٤ / ٤٢٥ .

٢ . أبو حيان : ٦ / ١٢٣ .

٣ . الفراء : ٣ / ٢١٤ .

٤ . اللسان : ٢ / ١٦٧ .

٥ . البغوي : ٤ / ٤٦٦ وابن كثير : ٤ / ٤٥٤ .

٦ . أحمد : ١ / ٤٦٥ .

وهذه النطفة الصغيرة التي تكونت في الرحم بعلمه وقدرته جل وعلا تكمن فيها خصائص الإنسان وصفاته الخلقية والخلقية من طول وقصر وقبح ووسامة وآفة وصحة وميول ونزعات وطباع واتجاهات وانحراف واستعداد إلى غير ذلك من الأمور التي يتميز بها كل فرد عن غيره من بني جنسه . فسبحان الذي ((خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا)) (الفرقان : ٥٤)

ثم يأتي طور آخر من أطوار حياة الجنين في بطن أمه وهي مرحلة انتقال النطفة إلى العلقة والعلقة عبارة عن دم جامد غليظ سمي بذلك لرطوبته التي فيه ولتعلقه بما مر به .^(٢) ثم تنتقل هذه العلقة قدرة قادر إلى مرحلة أخرى بتكونها مضغة وهي عبارة عن القطعة الصغيرة من اللحم سميت بذلك لأنها قدر ما يبيضه الإنسان ومن ذلك سمي القلب مضغة لأنه كالمضغة من اللحم.^(٣)

ولم يذكر جل وعلا في آية المؤمن مرحلة انتقال النطفة إلى المضغة اكتفاء بما مر من آيات ذكرت هذه الأطوار جميعها كقوله تعالى ((يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا من كتاب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقه وغير مخلقه لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى)) (الحج : ٥) .

وكذلك قوله : ((ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)) (المؤمنون : ١٢ - ١٤) .

ولكل مرحلة من هذه المراحل التي تسبق نفخ الروح أجل معلوم مقدر بتقدير الله له ثبت ذلك بطريق الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك . ثم يكون في ذلك مضغه مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد))^(٥) .

١ . الظلال يتصرف بسيط : ٤ / ٢٤١٠

٢ . فتح الباري : ١٤ / ٢٨٢

٣ . اللسان : ٨ / ٤٥١

٤ . البخاري : ١٤ / ٢٧٧ ، وسلم : ٤ / ٢٠٣٦ ح ٢٦٣٤

ثم ينتقل إلى حياة أخرى جديدة بالنسبة له غير التي كان ألفها في بطن أمه أول مراحلها الطفولة وذلك قوله تعالى : ((ثم يخرجكم طفلا)) أي أطفالا وهو اسم جنس بمعنى الجمع يصدق على القليل والكثير قال الزمخشري : ((واقتصر على الواحد لأن الغرض بيان الجنس)) (١).

وقال الطبري : ((ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم اذا بلغتكم الأجل الذي قدرته لخروجكم منها طفلا صغارا ووحيد الطفل وهو صفة للجميع لأنه مصدر مثل عدل وزور)) (٢) وذكر القرطبي نحو ذلك عن المبرد (٣).

وقال الزجاج : ((طفلا هنا في موضع أفعال يدل على ذلك ذكر الجماعه وكأن معناه ثم يخرج كل واحد منكم طفلا . . . ويكون الطفل واحيدا وجمعا)) (٤) ومرحلة الطفولة هذه تصدق عليه منذ ولادته الى أن يبلغ الحلم (٥).

ثم تأتي مرحلة أخرى ثانية يكتمل فيها النضوج العقلي والبدني تلك مرحله الأشد ((ثم لتبلغوا أشدكم)) أي نهاية كمال عقولكم وقواكم البدنيه (٦).

واختلاف العلماء في جمع الأشد ومتى يبلغ ذلك ؟

فقال الجوهري : ((هو واحد جاء على بناء الجمع مثل أنك وهو الأسرب ولا نظير لهما . قال : ويقال : هو جمع لا واحد له من لفظه مثل آسال وأبابيل وعبايد ومذاكير وكان سيويه يقول واحده شدة وهو حسن ويقال : هو جمع الجمع تقول : نعمة ونعم)) (٧).

١. الكشاف : ٤٣٦ / ٣ .
٢. الطبري : ٩١ / ١٧ .
٣. القرطبي : ١٢ / ١٢ .
٤. اللسان : ٤٠٢ / ١١ . والقرطبي : ١٢ / ١٢ .
٥. القرطبي : ٢٣٦ / ١٢ .
٦. الطبري : ٩١ / ١٧ . والقرطبي : ١٢ / ١٢ .
٧. الصحاح : ٤٩٣ / ٢ .

وقال الطبري: ((الأشد جمع شد كما الأضر جمع ضر وكما الأشد جمع شر. غير أن الجوهرى ذكر أن ذلك على غير قياس كما يقولون في واحد الأبايل أبول قياسا على عجول وليس هو شيء سمع من العرب. (٢)

أما متى يبلغ الانسان مرحلة الأشد ؟

فاختلف العلماء في ذلك فقال قوم: بلوغ الأشد وقت البلوغ. روي ذلك عن ربيعة وزيد بن أسلم ومجاهد. وقال آخرون: إذا بلغ ثلاثين سنة روي ذلك عن السدي. وقيل ما بين ثمانى عشرة سنة الى أربعين. (٣) وقيل إن انتهاء الكهولة فيها مجتمع الأشد. وقيل أربعون سنة (٤) وقيل ثلاثة وثلاثون (٥) إلى غير ذلك. (٦)

ونقل صاحب اللسان عن الأزهرى في الأشد قوله: ((الأشد في كتاب الله تعالى على ثلاثة معان يقرب اختلافها فأما قوله تعالى في سورة (يوسف) عليه السلام (٢٢) ((ولما بلغ أشده)) فمعناه الإدراك والبلوغ وحينئذ راودته امرأة العزيز عن نفسه. وكذلك قوله تعالى: ((ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده)) (الأنعام ١٥٢) إلى أن قال وأما قوله تعالى في قصة موسى صلوات الله على نبينا وعليه: ((ولما بلغ أشده وأستوى)) (القصص: ١٤) فانه قرن بلوغ الأشد بالاستواء وهو أن يجتمع أمره وقوته ويكتهل وينتهي شبابه. وأما قوله تعالى في سورة (الأحقاف) (١٥٠) ((حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة)) فهو أقصى نهاية بلوغ الأشد وعند تمامها بعث محمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقد اجتمعت حنكته وتام عقله .

١ . أنظر الطبري: ٦٢/٨ .

٢ . أنظر الصحاح للجوهري: ٤٩٣/٢ .

٣ . أنظر الطبري: ٨٣/٨ .

٤ . البغوي: ١٦٧/٤ .

٥ . القرطبي: ٦٣٥/٧ .

٦ . الطبري: ١٠٥/١٢ .

٧ . المصدر السابق وابن الجوزي: ٣٧٧/٧ ، الرازي: ١٧/٢٨ .

فبلغ الأشد محصور الأول محصور النهاية غير محصور ما بين ذلك (١).

وهو كذلك فأشد اليتيم غير أشد الرجل وإن كان اللفظان واحدا كما قال ابن قتيبة (٢).

وقال الفراء: ((سمعت بعض المشيخة يذكر باسناد له: في الأشد ثلاث وثلاثون وفي الاستواء: أربعون. وسمعت أن الأشد في غير هذا الموضع: ثمانى عشرة والأول أشبه بالصواب لأن الأربعين أقرب في النسق الى ثلاث وثلاثين ومنها إلى ثمانى عشرة ألا ترى أنك تقول: أخذت عامة المال أو كله فيكون أحسن من أن تقول: أخذت أقل المال أو كله ومثله قوله: ((إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه)) (المزمل: ٢٠) فيعص ذا قريب من بعض)) (٣). وذكر نحو هذا ابن جرير وأسنده لابن عباس (٤).

واللام في قوله: ((لتبلغوا أشدكم)) متعلقه بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وذلك المحذوف عطف على ((يخرجكم)) لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا أشدكم وكما لكم في العقل وكذلك الغلام في ((لتكونوا شيوخا)) ويجوز عطفه على لتبلغوا (٥).

ضعف بعد قوة:

وهذه مرحلة النهاية للإنسان بعد أن وصل الذروة في كمال العقل والقوة ثم يعود الى التناقص والضعف في هذه المرحلة شيئا فشيئا الى أن يصل الى مرحلة كمرحلة السفه والطفولة تلك مرحلة الشيخوخة والهرم والضعف وتناقص العقل والقوى نعوذ بالله أن نصل الى تلك الحالة كما تعوذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمارواه ابن بن مالك عنه قال: كان يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات)) (٦).

١. أنظر اللسان: ٢٢٥/٣ - ٢٢٦.
٢. غريب القرآن لابن قتيبة: ص ٢٥٤.
٣. الفراء: ٥٢/٣.
٤. الطبري: ١١/٢٦ - ١٢.
٥. أبو السعود: ٢٨٣/٧، الالوسي: ٨٤/٢٤.
٦. البخاري: ٤٣٤/١٣، ومسلم: ٤/٢٧٠٦٣٢٠٨٠.

وهي التي أشار إليها الحق تعالى بقوله : ((ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا)) (الحج : ٥) وكذلك قوله ((ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير)) (الروم : ٥٤) .

وقرئت ((شيوخا)) بالكسر قرأها ابن كثير وابن ذكوان وأبو بكر وحمزة والكسائي . وقرأها غيرهم بالضم .^(١) واختلف في سن الشيخوخة فقيـل من الخمسين الى آخره وقيل من إحدى وخمسين الى آخر العمر وقيل من الخمسين الى الثمانين .^(٢) وجمع الشيخ يأتي على جموع كثيرة كشيخ - وأشياخ - وشيخان . . . الخ^(٣)

قوله : ((ومنكم من يتوفى من قبل)) أي من قبل أن يصل الى هذه المراتب المذكورة أو واحدة منها كأن يخرج سقطا قبل ولادته . قال مجاهد : ((أي قبل أن يكون شيخا أو من قبل هذه الأحوال — اذا خرج سقطا .^(٤)

نهاية الحياه :

قوله : ((ولتبلغوا أجلا مسمى)) (لتبلغوا) متعلق بفعل مقدر بعده أي يبيئكم ليبلغ كل واحد منكم أجلا مسمى .^(٥) والأجل المسمى قيل : هو الموت لأنه لا يتقدم واحد عن أجله ولا يتأخر عنه قال تعالى : ((أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة)) (النساء : ٧٨) وكذلك قوله : ((قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم)) (آل عمران : ١٥٤) وقيل المراد بذلك يوم القيامة ((يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد)) (هود : ١٠٥)

١ . البدور الزاهره : ص ٢٧٩ .

٢ . اللسان : ٣ / ٣١ .

٣ . الصحاح : ١ / ٤٢٥ .

٤ . القرطبي : ١٥ / ٣٣٠ .

٥ . أبو حيان : ٧ / ٤٧٤ .

روي ذلك عن الحسن . وأرتضاه الألو سي في تفسيره قال : ((إن وقست الموت فهم من ذكر المتوفي قبله فالأولى تفسيره بما تقدم .^(١) يعني كون المراد بالأجل المسمى يوم القيامة .

قوله : ((لعلكم تعقلون)) أي لعلكم تتعظون وتتدبرون ما في ذلكم الخلق والأطوار التي تمرّون بها وقد رته جل وعلا على الإحياء والإماتة فتؤمنوا بدلائل توحيدِهِ وتسلموا له وتوحدوه في العبادة وتؤمنوا بالبعث والجزاء والحساب . قال ابن جريمج : ((ولعلكم تعقلون)) عن ربكم إنه يحييكم كما أماتكم وهذه لأهل مكة كانوا يكذبون بالبعث.^(٢)

وبعد أن ذكر انتقال الإنسان من كونه تراباً إلى كونه نطفة إلى آخر مراحل تكوينه كما مر بيانه وأن هذه التغيرات والانتقال من حالة إلى حالة تدل على وجود الإله القادر . قال بعد ذلك (هو الذي يحيي ويميت) يعنني أن كمال الانتقال من صفة إلى صفة أخرى من الصفات التي تقدم ذكرها يدل على الإله القادر فكذلك الانتقال من الحياة إلى الموت وبالعكس يدل على الإله القادر .^(٣)

وقال سيد قطب : ((وتكثر الإشارة في القرآن إلى آيتي الحياة والموت لأنهما تلمسان قلب الإنسان بشدة وعمق . ثم لأنهما الظاهرتان البارزتان المكررتان في كل ما يقع عليه حس الإنسان . وللإحياء والإماتة مدلول أكبر مما يبدو ولأول مره . فالحياة ألوان . والموت ألوان . وان رؤية الأرض الميتة ثم رؤيتها تنبض بالحياة . ورؤية الشجرة الجافة الأوراق والأغصان في موسم ثم رؤيتها والحياة تنبثق منها في كل موضع وتخضر وتورق وتزهو ، كما لو كانت الحياة تنفجر عنها وتفيض ، ورؤية البيضة ثم الفرج . ورؤية البذرة ثم النبتة وعكس هذه الرحلة من الحياة إلى الموت كالرحلة من الموت إلى الحياة . . . كلها تلمس القلب وتستجيشه إلى قدر من التأثر والتدبر يختلف باختلاف النفوس والحالات))^(٤)

١ . الإلو سي : ٢٤ / ٨٤ .

٢ . ابن كثير : ٤ / ٨٨ ، والدر : ٥ / ٣٥٧ .

٣ . الرازي : ٢٧ / ٨٦ .

٤ . الظلال : ٥ / ٣٠٩٦ .

المراد بقضائه وكونه ومتى يقع:

قوله تعالى: ((وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون))
قرأ ابن عامر الشامي بنصب النون على أن جواب الأمر بالفاء يكون منصوبا . وقرأ الآخرون بالرفع.^(١) على معنى فهو يكون أو فإنه يكون قاله سيويه والأخفش.^(٢) وقال آخرون الرفع بالعطف على يقول ((فإنما يقول فيكون))^(٣) فعلى تقدير فإنه يكون أو فهو يكون الأمر تاليفا للأمر وعلى المعنى الثاني يكون مصاحبا له غير متقدم عنه ولا متأخر عنه . والقضاء الحكم . ومنه سمي القاضي حكما . والقضاء لفظ مشترك يرد على معان متعددة في القرآن الكريم .^(٤) ومنه الكوني والشرعي فالكوني مثلا كقوله تعالى ((فقضاهن سبع سموات في يومين))

(فصلت: ١٢) أي خلقهن . والشرعي كقوله تعالى: ((وقضى ربك ألا تعبدوا إلا بإياه)) (الإسراء: ٢٣) أي وصي وأمر . وكذلك الأمر هنا منه الكوني كقوله تعالى: ((إننا قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)) (النحل: ٤٠) والأمر الشرعي كقوله تعالى: ((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)) (النساء: ٥٨) . ومعنى الآيه: ((إذا قضى كون أمر من الامور التي يريد تكوينها فإنما يقول له كن يعني للذي يريد تكوينه كن فيكون ما أراد تكوينه موجودا بغير معاناة ولا كلفه مؤنه)) . قاله الطبري.^(٥)

ثم اختلف العلماء في أي حال يقال للأمر كن فيكون ؟ أفي حال عدمه أم في حال وجوده فإذا كان في حال عدمه فذلك محال أن يأمر إلا مأمورا كما يستحيل أن يكون الامر إلا من أمر وإن كان حال وجوده فتلك حال لا يجوز أن يأمر فيها بالوجود والحد وثلاثة موجود حادث .

- ١ . الغايه : ١٠٦ والبذور الزاهره : ٢٧٩ .
- ٢ . معاني القرآن للاخفش : ١٤٥ / ١ ، القرطبي : ٩٠ / ١ .
- ٣ . معاني القرآن للاخفش : ١٤٤ / ١ ، معاني القرآن للفراء : ٧٤ / ١ .
- ٤ . القرطبي : ٩٠ / ١ .
- ٥ . الصحاح : ٢٤٦٣ / ٦ ، اللسان : ١٨٦ / ١٥ .
- ٦ . القرطبي : ٨٨ / ٢ والبصائر : ٢٧٦ / ٤ - ٢٧٨ .
- ٧ . الطبري : ٥٤ / ٢٤ .

فقال قوم: إن ذلك خبر من الله عن أمره المحتوم على وجه القضاء لمن قضى عليه قضاء من خلقه الموجودين. كما أمر بني إسرائيل أن يكونوا ((قردة خاسئين)) وكالذي خسف به ومداره الأرض وهذا الأمر فيمن كان موجودا من خلقه في حال أمره فلا يكون واردا في إيجاد المعدومات فوجهوا قوله تعالى: ((فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)) إلى الخصوص دون العموم.

وقال آخرون: الآية عام ظاهرها وهي على بابها لأنه جل وعلا عالم بما هو كائن في خلقه قبل كونه فكانت الأشياء التي لم تكن وهي كائنة بعلمه قبل كونها مشابهة للتي هي موجودة فجاز أن يقول: لها كوني ويأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود لتصوير جميعها له ولعلمه بها في حال العدم.

وقال آخرون: بل ذلك من الله خبر عن جميع ما يحدثه وينشؤه إذا قضاه وخلقها وأنشأه كان ووجد من غير أن يكون هناك قول يقوله وإنما هو قضاء يريد به فعبر عنه بالقول فقوله تعالى: ((فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)) نظير قول القائل: قال فلان برأسه وقال بيده إذا حرك رأسه أو أوما بيده ولم يقل شيئا. وكما قال أبو النجم: وقالت الانساع للبطن الحق. ولا قول هناك وانما عنى الظهر قد لحق بالبطن.

وكما قال: عمرو بن حممه الدوسي:

فأصبحت مثل النسر طارت فراخه إذا رام تطيارا يقال له قع.

ولا قول هنا وإنما معناه إذا رام طيرانا وقع^(١)

وقال آخرون: الآية وإن كان ظاهرها العموم فتأويلها الخصوص لأن الأمر غير جائز إلا لمأمور كما يستحيل الأمر من أمر الخ كما مر بيانه وإذا كان كذلك فتأويل الآية وإذا قضى أمرا من إحياء ميت أو إماتة حي ونحو ذلك فإنما يقال لحي كن ميتا أو لميت كن حيا وما أشبه ذلك من الأمر^(٢).

١. أنظر ما تقدم من أقوال الطبري: ٤٠٥/١ والقرطبي نقلا عن المواردي:

٠٩١٠٩٠/١

٢. الطبري: ٤٠٥/١

واختار الطبري أن يكون الأمور كائنا مع الأمر لا يتقدم ولا يتأخر عنه فلا يكون الشيء مأمورا بالوجود إلا وهو موجود بالأمر ولا موجودا إلا وهو مأمور بالوجود. (١)

وقال القرطبي: وتلخيص المعتقد في هذه الآية: أن الله عز وجل لم يزل أمرا للمعدومات بشرط وجودها قادرا مع تأخر المقدورات عالما مع تأخر المعلومات. فكل ما في الآية يقتضي الاستقبال فهو بحسب الأمور إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن. وكل ما يسند إلى الله تعالى من قدرة وعلم فهو قديم لم يزل والمعنى الذي تقتضيه عبارة ((كن)) هو قديم قائم بالذات. (٢)

قلت: والمختار أن يكون قضاؤه تعالى وأمره عاما في كل ما شاء خلقه وتكوينه وإرادته وإن الخطاب في قوله تعالى: ((فإذا قضى أمرا فلنما يقول له كن فيكون)) وما شابهها حقيقة لا لسرعة الاقتدار والتكوين كما هو رأي المعتزلة ومن وافقهم من أهل السنة. (٣) وكون الخطاب في الآية حقيقة هو المشهور عند المنتسبين لأهل السنة كما قال ابن تيمية. (٤) لأن المخاطب بالنسبة له جل وعلا معلوم متميز قبل إبداعه وقبل توجيه الخطاب له كما ثبت في السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)) (٥).

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض)) . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب: قال: ما أكتب؟ فقال: ما هو كائن إلى يوم القيامة)) (٦).

- ١ . الطبري: ٤٠٥/١ - ٤٠٦
- ٢ . القرطبي: ٩٠/٢
- ٣ . أنظر الزمخشري: ٤٣٦/٣ - وأنظر تفسير الألويسي: ٣٦٨/٢
- ٤ . الفتاوى: ١٨٢/٨
- ٥ . مسلم باب القدر: ٤/٢٠٤٤ - ح - ٢٦٥٣
- ٦ . أبو داود: ٧٦/٥ - ح - ٤٧٠٠

فالمأمور في هذه الآيه أعنى آيه المؤمن وما شابهها كقوله تعالى : ((إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)) (النحل : ٤٠) هو شيء باعتبار وجوده العلمي الكلامي الكتابي وان كانت حقيقته التي هي الوجود العيني ليس ثابتا في الخارج بل هو عدم محض ونفي صرف فالذي يقال له كن هو الذي يراد وهو حين يراد ثبوته وتميزه في العلم ولولا ذلك لما تميز المراد المخلوق من غيره وكل هذه المخلوقات لا توجد إلا بعد وجودها في العلم والإرادة . وليست موجوده في الخارج حتى يقال أن تحصيل الحاصل محال . كما أنها ليست معدومة حتى يقال كيف يخاطب المعدوم؟ . أما إذا قصد أن يخاطب المعدوم بخطاب تكليف يفهمه فهذا محال ويمتنع عليه ذلك في حال عدمه كما يمتنع خطاب المعدوم في الخارج خطاب تكوين بمعنى أن يعتقد أنه شيء ثابت في الخارج وأنه يخاطب بأن يكون وأما الشيء المعلوم المذكور المكتوب إذا كان توجيه خطاب التكوين إليه مثل توجيه الإرادة إليه فليس ذلك محالا بل هو أمر ممكن بل مثل ذلك يجده الإنسان في نفسه فيعتقد أمرا يريد أن يفعله ويوجه إرادته وطلبه إلى ذلك الفرد المطلوب الذي قدره في نفسه ويكون حصول المراد المطلوب بحسب قدرته فإن كان قادرا على حصوله حصل مع الإرادة والطلب الجازم وإن كان عاجزا لم يحصل . والله على كل شيء قدير ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن^(١)

١ . أنظر الفتاوى لابن تيميه بتصرف : ١٨٤ / ٨ - ١٨٦ .

وسعد أن سين جل وعلا جملة من الدلائل والآيات الدالة على كمال قدرته ومشيئته في الكون وختم ذلك بما يبين تأثير هذه القدرة في مخلوقاته عند إرادته لشيء من ذلك بقوله: ((كن فيكون)) عجب خلقه بعد ذلك من حال الكفرة والمشركين الذين جادلوا في آياته بغير هدى كيف انصرفوا عن الحق إلى الباطل والضلال ثم توعد من كذب بكتبه ورسوله بأن يقادوا من أعناقهم كما تقاد الأنعام بسلاسل من نار توقد بهم في جهنم جزاء كبرهم وتعاليمهم عن الحق وفرورهم الذي صرفهم عن اتباع الهدى فيكبوا على وجوههم في النار ((خالد بن فيس مشوى المتكبرين)) (غافر: ٧٦) .

فيقول الحق تعالى ذكره: **الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى الَّذِينَ**
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يُضَرَّفُونَ ﴿٧٦﴾ **الَّذِينَ كَذَّبُوا**
بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٧﴾ **إِذَا الْأَغْلالُ فِي أَعْنَقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ** ﴿٧٨﴾
فِي الْحَمِيمِ نُفِرَ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٩﴾ **ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْ**
مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٨٠﴾ **مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَمَّا**
نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٨١﴾
ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٨٢﴾ **أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِيئِسَ**
مَشْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨٣﴾

معاني المفردات:

- الأغلال : جمع غل والفعل جامعه توضع في العنق واليد .^(١)
 السلاسل : السلسلة اتصال الشيء بالشيء وهي دائرة من حديد ونحوه .^(٢)

١ . اللسان : ١١ / ٥٠٤ .

٢ . المصدر السابق : ١١ / ٣٤٥ .

- السحب : هو جرك الشيء على وجه الأرض كالثوب وغيره .^(١)
يسجرون : السجر هو الإيقاد تقول سجرت التنور اذا أوقدته
والسجور ما يسجر به التنور .^(٢)
الفرح : هو انشراح الصدر بلذة عاجلة وأكثر ما يكون ذلك في اللذات
البدنية .^(٣)
تمرحون : المرح شدة الفرح والتوسع فيه . ويأتي بمعنى الأشروالاطر^(٤)
كما في الآية وقيل غير ذلك .^(٥)
الشواء : هو الاقامة مع الاستقرار .^(٦)

المراد بالمجادلين في هذه الآية :

قوله تعالى : ((ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون))
يخاطب الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالنظر إلى هؤلاء المجادلين
في آيات الله بالباطل متعجبا من حالهم في ظل ماسيق عليهم من
دلائل وآيات قطعية . وكيف ينصرفون عنها إلى الباطل ومن الهدى
إلى الضلال ؟ وهل يجدون ما يعارضون به هذه الدلائل والآيات الموجبة
لتوحيده ؟ مع تعاضل الأدلة وانتفاء الصوارف عنها ؟ . قال قتادة ((أنى
يصرفون)) قال : ((أنى يكذبون وهم يعقلون .))^(٧) وتكرير المجادلة هنا
قال أبو السعود : ((إنما سيق من قوله تعالى : ((إن الذين يجادلون
في آيات الله)) الخ بيان لابتناء جدالهم على منى فاسد لا يكاد
يدخل تحت الوجود هو الأمنية الفارغة فلا تكرير فيه .))^(٨)

-
- ١ . الصحاح : ١٠ / ١٤٦ -
 - ٢ . معجم مقاييس اللغة : ٣ / ١٣٤ .
 - ٣ . الراغب : ٣٧٥ .
 - ٤ . البصائر : ٤ / ٤٩١ .
 - ٥ . أنظر اللسان : ٢ / ٥٩١ .
 - ٦ . الراغب : ٤٦٥ .
 - ٧ . الدر : ٥ / ٣٧٥ .
 - ٨ . أبو السعود : ٧ / ٢٨٤ .

وقيل : إن تكرير المجادله لتعدد المجادل بأن يكون هناك قوم وهنا قوم آخرين^(١) . أو المجادل فيه بأن يحمل في كل على معنى مناسب ففيما مر في البعث وهنا في التوحيد . وقيل كرر ذلك للتأكيد اهتماماً بشأن ذلك^(٢) . واختلف العلماء في المعنى بهذه الآية :

فقال قوم : عني بذلك المشركون لكثرة جدالهم في آيات الله ودلائل توحيده روي ذلك عن ابن زيد . ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس نحوه^(٣) .

وقال آخرون : بل عني بذلك أهل الأهواء من هذه الأمة كالقدرية وغيرهم روي ذلك عن محمد بن سيرين وجماعة . وقال محمد بن سيرين : ((إن لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية فأني لا أدري فيما نزلت ثم تلى الآيات)) ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله . . . إلى قوله تعالى : ((كذلك يضل الله الكافرين)) . وقال القرطبي : وقال أكثر المفسرين : نزلت في القدرية وأشار إلى قول ابن سيرين المتقدم^(٤) .

واختار ابن جرير : أن يكون المراد بذلك المشركون قال : ((وقد بين الله حقيقة ذلك بقوله : ((الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا))))^(٥)

وقال الشوكاني : ((ويجاب على قول من قال أن المراد بذلك القدرية بأن الله وصف هؤلاء بصفة تدل على غير ما قالوه فقال : ((الذين كذبوا بالكتاب)) أي بالقرآن وهذا وصف لا يصح أن يطلق على فرقة من فرق الاسلام .))^(٦)

-
- | | |
|--------|---|
| ٣، ٢٠١ | أنظر الألويسي : ٢٧ / ٨٥ . |
| ٠٤ | الطبري : ٢٤ / ٢٥ . |
| ٠٥ | ابن الجوزي : ٥ / ٢٣٦ . |
| ٠٦ | الطبري : ٢٤ / ٥٤ والبيهقي : ٤ / ١٠٥ وابن عطية مخطوط : ص ٨٥ وغيرهم . |
| ٠٧ | الطبري المصدر السابق . |
| ٠٨ | القرطبي : ١٥ / ٣٣١ . |
| ٠٩ | الطبري : ٢٤ / |
| ٠١٠ | فتح القدير : ٤ / |

قلت: سواء عني بالعجادين في الآية المشركون على ما اختاره ابن جرير وغيره كما يؤيد ذلك سياق الآيات ولحاقتها أو كان المراد بذلك أهـل الأهواء من هذه الأمة كالقدرية على ما اختاره كثير من المفسرين كما قال القرطبي. غير أنه لا يسلم للشوكاني قوله: ((لا يصح أن يطلق هذا الوصف على فرقة من فرق الإسلام))^(١). يعني وصف التكذيب بالكتاب.

قلت: وكون هذه الفرقة أو غيرها من الفرق الكثيرة التي تنسب نفسها للإسلام وضلت عن طريق الحق الذي ارتضاه الله ورسوله لهذه الأمة وكون هذه الأمة أكثر الأمم تفرقا في الأهواء وكلها في النار إلا واحدة. فلا يمنع انتساب فرقة منها للإسلام أن توصف بالكذب على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كالقدرية الذين تكلموا في القدر من معتزلة وجبرية وغيرهم من اتباع معبد الجهني وغيلان الدمشقي، والجمع ابن درهم. أول من أحدث هذه الفتنة في أواخر عهد الصحابة وتبرأوا من عملهم هذا كعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى وعقبة بن عامر الجهني وأقرانهم.

وأوصوا أخلافهم بأن لا يسلموا على القدرية ولا يصلوا على جنازتهم ولا يعودوا مرضاهم. ومن تكلم في قضاء الله وقدره فقد كذب بكتاب الله لأنه هو القائل عن نفسه: ((إنا كل شيء خلقناه بقدر)) (القمر: ٤٩) .

وهو القائل: ((وخلق كل شيء فقدره تقديرا)) (الفرقان: ٢) وكما قال الطحاوي رحمه الله: ((القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان

وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة فان الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه: ((لا يسئـل عما يفعل وهم يسئـلون)) (الأنبياء: ٢٣)

فمن سأل لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين)) أ. هـ.

١. فتح القدير: ٤ / ٥٠١ .

٢. الفرق للتعميمي: ص ١٤ ، ١٥ ، الفتاوى لابن تيمية: ٣ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

٣. الطحاوية: ص ٢٤٩ .

والإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان كما ثبت في حديث جبريل (١) . وان ساء أخطاء المرء لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه وهو ما دل عليه كتاب الله ((ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير)) (الحج : ٧٠) وكذلك قوله ((ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نراها إن ذلك على الله يسير)) (الحديد : ٢٢) .
قوله : ((الذين كذبوا بالكتاب))

قال أبو السعود : ((وإنما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لأن المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادله وتكررها .)) (٢)

والمراد بالكتاب القرآن فالتكذيب به تكذيب بكل الكتب السماوية السابقة له إذ هو مصدق لها حافظ لما جاءت به من الشرائع والأوامر كما دل عليه قوله تعالى : ((وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه)) (المائدة : ٤٨) . وكذلك قوله تعالى لليهود ((ولما جاءهم كتاب من عند الله صدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به)) (البقرة : ٨٩) .
قوله : ((وبما أرسلنا به رسلنا)) معطوف على ما قبله والمعنى أنه حصل من هؤلاء المجادلين التكذيب بما أوحى الله رالي أنبيائه ورسله ممن الدعوة إلى التوحيد وإفراده بالعبادة وحده والبراءة من كل ما يعبد سواه والإيمان بالبعث والجزاء . وجمع الرسل هنا لأن طريقهم في الدعوة إلى الله واحدة والتكذيب بواحد منهم تكذيب لجميعهم . قال تعالى ((قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)) (البقرة : ١٣٦) .

١ . مسلم : ١ / ٢٦٦ ح ١ .

٢ . أبو السعود : ٧ / ٢٨٤ .

وكذلك قوله : ((آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن
بأنه وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله)) (البقرة: ٢٨٥)
قوله : ((فسوف يعلمون)) تهديد ووعد شديد لهؤلاء المجادلين
في آيات الله والمكذابين لكتبه ورسله وأنهم سيعلمون حقيقة
ما حذرتهم به رسل ربهم .

تنوع العذاب لأهل النار وتشكله :

كما يصوره الحق تعالى بقوله : ((وإذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل
يسحبون في الحميم)) . قال الزمخشري : ((وإذ هو إذا لأن الأمور
المستقبله لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عـ
عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الإستقبال)) (١) وذلك عندما تغسل
أيديهم في أعناقهم بالسلاسل يسحبون بها على وجوههم في الحميم
وهو الماء الذي تناهى في شدة الحرارة نسأل الله العافية
والسلامه . وروي عن ابن عباس أنه قرأ بنصب السلاسل فيكون المعنى
يسحبون سلاسلهم في جهنم . وروي عنه أنه قال : وهم في السلاسل
يسحبون قال الفراء : ((فلا يجوز خفض السلاسل والخافض مضمـ
ولكن لو أن متوهما قال : إنما المعنى إذ أعناقهم في الأغلال
وفي السلاسل يسحبون جاز الخفض في السلاسل على هذا المذهب
ومثلهما رد إلى المعنى قول الشاعر :

قد سالم الحيات منه القدما الأفعوان والشجاع الشجعما .
فنصب الشجاع ، والحيات قبل ذلك مرفوعه ، لأن المعنى : قد سالمت
رجله الحيات وسالمتها فلما احتاج الى نصب القافية جعل الفعل
من القدم واقعا على الحيات (٢)

والصواب من ذلك رفع السلاسل عطا على الأغلال وهي قراءة العامة
واختارها الطبري لأن عليه قراءة الأمصار واجماع الحجة عليه . (٤)

١ . الزمخشري : ٤٣٦ / ٣ .

٢ . الطبري : ٥٥ / ٢٤ ، والقرطبي : ٣٣٢ / ١٥ .

٣ . الفراء : ١١ / ٣ ، والطبري : ٥٥ / ٢٤ .

٤ . الطبري المصدر السابق .

ثم وصف لنا صلى الله عليه وسلم هذه الأغلال والسلاسل التي يغل بها المجرمون في جهنم فيما يحدثنا ابن عمر رضي الله عنهما عنه فيقول: قال صلى الله عليه وسلم: ((لو أن رصاصة مثل هذه وأُشَار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسييرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها)) (١). وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم . . . الآيات)) (٢).

وحتى يتشكل لهم العذاب تارة بالأغلال والسلاسل يسحبون بها في جهنم وتارة في الحميم وتارة في الجحيم كما قال تعالى: ((يطوفون بينها وبين حميم آن)) وكذلك قوله تعالى مصورا حالهم في العذاب ((هذا وإن للطاغين لشر مآب . جهنم يصلونها فبئس المهاد . هذا فليذوقوه حميم وغساق . وآخر من شكله أزواج))

(ص: ٥٥ - ٥٨) . إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى . بينَ جيلَ وعلَا انتقالهم لنوع آخر من العذاب الأليم فيقول ((ثم في النار يسجرون)) أي يكونون وقودا للنار عيادا بالله . قاله جماعة من السلف كمجاهد والسدي وابن زيد (٣) من قولك:

سجرت التنور أي أوقدته وسجرته ملأته ومنه قوله تعالى: ((والبحر المسجور)) (الطور: ٦) أي المملوء . فالمعنى على هذا تملأ بهم النار (٤) وقال الزمخشري: ((إنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجرون بالنار مملوءة بها أجوافهم ومنه قوله تعالى: ((نار الله الموقدة التي تطلع على الأعنودة)) (الهمزة: ٦، ٧) .

- ١ . أحمد : ١٩٧ / ٢ والترمذي : ٣١٣ / ٧ ح ٢٧١٤ وقال : هذا حديث أسناده حسن صحيح .
- ٢ . الحاكم : ٤٣٨ / ٢ ، ٤٣٩ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .
- ٣ . الطبري : ٥٥ / ٢٤ والبيهقي : ١٠٥ / ٤ .
- ٤ . القرطبي : ٣٢٣ / ١٥ .
- ٥ . الزمخشري : ٤٣٦ / ٣ .

قوله : ((ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله)) يزداد فسي تعذبهم وإيلاهم بسؤالهم عن حال شركائهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله من الأنداد والأصنام وذلك على سبيل التقرير والتوبيخ فيجيبون على الفور ((قالوا ضلوا عنا)) أي غابوا عنا وأفتقدناهم لأنهم لا ينفعونهم وإن كانوا معهم في جهنم كما قال تعالى ((إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون)) (الأنبياء: ٩٨) ولأن أسباب المودة التي كانت بينهم في الدنيا وبها أضل بعضهم بعضا تقطعت بينهم كما قال تعالى ((إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب)) (البقره: ١٦٦) . ثم اضطربت أفكارهم وتحيرت عقولهم فعادوا إلى الكذب والمخادعة فأذكروا أن يكونوا عبدا من دون الله شيئا فقالوا ((بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا)) كما ذكر الله عنهم ذلك في موضع آخر عند مساءلتهم عن شركائهم الذين يعبدونهم من دون الله ((ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون . ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين)) (الأنعام: ٢٢، ٢٣) أو يكون هذا النفي منهم اعترافا بضلالهم وسفاههم لأنهم عبدا وأصناما وأوثانا لا تضر ولا تنفع ولا تغني من الحق شيئا من قولك حسبت فلانا شيئا فلما اختبرته لم تجده كما كان ظنك به .

قوله : ((كذلك يضل الله الكافرين)) أي كما فعل بهؤلاء الذين ضل عنهم في جهنم ما كانوا يعبدونه من دون الله في الدنيا فكذلك يضل الله أهل الكفر عنه وعن رحمته وعبادته فلا يرحمهم فينجيهم من النار ولا يغيثهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء^(١) .

قوله : ((ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون)) أي ذلكم العذاب الذي أنتم فيه بسبب ما حصل منكم من الكفر بالله والإشراك به والمعاصي في الدنيا عندما كنتم تفرحون أشد الفرح بهذه الأعمال الشنيعة منكم وتستحسنونها أشرا وبطرا .

قال الزمخشري : ((ذلکم أي الاضلال بماکان لکم من الفرح والمرح .^(١)))
ووافقه أبو السعود . والأولى أن يكون اسم الاشارة على العذاب وعليه
جمهور المفسرين كالطبري . وابن عطية والبيغوي . وابن كثير .^(٢) وغيرهم
وروي عن ابن عباس في تأويل قوله تعالى ((بما كنتم تفرحون في الأرض
بغير الحق . . . الى قوله : فيئس مشوى المتكبرين)) .
قال : ((الفرح والمرح والفخر والخيلاء والعمل في الأرض بالخطيئة
وكان ذلك في الشرك وهو مثل قوله تعالى لقارون : ((إذ قال له قوميه
لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين)) (القصص : ٧٦) . وذلك الشرك .^(٣)
وروي عن مجاهد قوله : ((تفرحون قال : تبطرون وتأشرون))^(٤) .
وقيل : بل الفرح ماكان ينالهم من السرور عند ما يصاب أنبياء الله
وأوليائه بالمكارة .^(٥) كما قال تعالى : ((إن تمسكم حسنة تسوهـم
وإن تصيكم سيئة يفرحوا بها)) (آل عمران : ١٢٠) .
وقيل بل فرحهم بماكانوا يقولون لأنبيائهم بأنا لن نبعث ولن نعذب .^(٦)
كما روي عن مجاهد في تفسير قوله تعالى : ((فلما جاءتهم رسلهم
بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم)) (غافر : ٨٣) .
قال قولهم نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث .^(٧)
قوله : ((أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فيئس مشوى المتكبرين))
قال ابن عطية : ((يقال لهم مثل هذه المحاورة في أول الأمر أدخلوا لأن هذه
المخاطبة إنما هي بعد دخولهم وفي الوقت الذي فيه الأغلال في أعناقهم
وأبواب جهنم هي السبعة المؤدية إلى طبقاتها ودركاتها السبعة .))^(٨)

- ١ . الزمخشري : ٤٣٧ / ٣ .
- ٢ . أبو السعود : ٢٨٥ / ٧ .
- ٣ . الطبري : ٥٥ / ٢٤ وابن عطية مخطوط : ص ٨٥ والبيغوي : ١٠٥ / ٤
وابن كثير : ٨٩ / ٤ .
- ٤ . الطبري : ٥٦ / ٢٤ .
- ٥ . الطبري المصدر السابق والدر : ٣٥٧ / ٥ .
- ٦ . الألوسي : ٨٧ / ٢٧ .
- ٧ . القرطبي : ٣٣٣ / ١٥ .
- ٨ . الطبري : ٥٨ / ٢٤ ، البيغوي : ١٠٦ / ٤ وابن كثير : ٩١ / ٤ والقرطبي : ٣٣٣ / ١٥ .
- ٩ . تفسير ابن عطية : مخطوط : ص ٨٥ .

وقال أبو حيان : ((الظاهر انه قيل لهم أدخلوا بعد المحاورة السابقة وهم قد كانوا في النار ولكن هذا أمر يقيد بالخلود والثواء الذي لا ينقطع فليس أمرا يعطلق الدخول أو بعد الدخول فيها أمروا أن يدخلوا أبوابها السبعة لكل باب منهم جزء مقسوم من الكفار فكان ذلك أمرا بالدخول يفيد التجزئة لكل باب))^(١).

وأبواب النار هي السبعة المعلومة المذكورة في قوله تعالى : ((وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم)) (الحجر : ٤٣ ، ٤٤) ونظير هذه الآية قوله تعالى ((فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فيئس مثوى المتكبرين)) (النحل : ٢٩) .

قوله : ((خالدين فيها فيئس مثوى المتكبرين)) قال أبو حيان : ((خالدين حال مقدرة ودلت على الثواء الدائم فجاء التركيب فيئس مثوى المتكبرين فيئس مدخل المتكبرين لأن نفي الدخول لا يدوم فلم يبلغ في ذمه بخلاف الثواء الدائم .))^(٢)

والمراد بالمتكبرين هنا هو كل من تكبر عن طاعة الله والإيمان به ورسوله والعمل بكلمة التوحيد الخالصة وهم الذين قال الله فيهم ((إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون)) (الصافات : ٣٥) .
فلهم بسبب كبرهم هذا عن الحق عذاب الهون ((فالיום تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون)) (الاحقاف : ٢٠)
الربط بين الآيات :

وبعد أن بين جل وعلا مصير العجاذلين المكذبين لرسله وكتبه وأتواع العذاب الذي سينالهم لتعاليمهم عن الحق .
وجه رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الصبر على دعوة قومه وبيان أن ما وعده من الإنتقام من هؤلاء المكذبين حق لا شك فيه وسواء عاين شيئا من ذلك العذاب الذي وعدهم الله به في الدنيا كالقتل والأسر أو لم يعاينه ومات قبل ذلك فإن مصيرهم إلى الله جل وعلا وسيعلمون ذلك ((إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون)) .

ثم بين لرسوله صلى الله عليه وسلم تسليمة له حال الأنبياء والمرسلين قبله مع أممهم ممن قص عليه خبرهم وممن لم يقص عليه خبره وأنه مامن واحد من أولئك يمكنه أن يأتي بآية خارقة لقومه دون أن يأذن الله بذلك. ثم أنه يوم يقضي الله بين عباده بالحق يخسر هنالك المبطلون.

فيقول الحق تعالى : فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْفَ مَا تُرِيكَ بَعْضَ الَّذِينَ نَعَدْتُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾

معاني المفردات:

وعد : الوعد يكون في الخير والشر خاصة يقال وعدته بنفع وضر وعدا وموعدا وميعادا والوعيد في الشر خاصة يقال منه أوعدته ويقال واعدته وتواعدنا (١).

خسر : العراد بالخسارة هنا الهلاك والعقوبة التي لحقت بالقوم لسوء عملهم.

المبطلون : الباطل نقيض الحق. أي خسروه لك أهل الباطل (٢).

١ . الراغب : ٥٢٦ .

٢ . البصائر : ٥٣٩ / ٢ .

٣ . اللسان : ٥٦ / ١١ .

الصبر ومغزاه وعلّة تكرار الأمر به :

قوله تعالى : ((فاصبر إن وعد الله حق)) توجيه لرسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على أذى قومه وإعلام له أن ما وعده من تعذيب للكفرة منهم كائن وواقع بهم لا محالة سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة .

فقال : ((فإما نرينك بعض الذي نعدهم)) من القتل والأسر كالذي حصل لرؤساء الكفر فيهم يوم بدر وكالذي حصل من النصرة على أعدائه يوم فتح مكة ولدعوته من الانتشار في جزيرة العرب .^(١) قال مجاهد ((فكان البعض الذي أراه قتلهم ببدر وسائر أنواع العذاب بعد موتهم . ونقل الطبري عنه نحو ذلك .^(٢)

قوله : ((أو نتوفينك)) قبل حصول شيء من ذلك . ((فإلينا يرجعون)) أي يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم ونظير ذلك قوله تعالى : ((وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون)) (يونس : ٤٦) . ثم قال سيد قطب رحمه الله موجها معنى الصبر في هذه الآية ومغزاه أن مهمة الداعية تبليغ رسالة ربه والنتائج أمرها إلى الله سبحانه وليس لهم أن يعلقوا قلوبهم بالوعيد الذي وعده المتكبرين عن دعوته لتنتصر دعوتهم على أولئك .

وفي ذلك توجيه للدعاة في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول رحمه الله : ((وإنه لأمر شاق على النفس البشرية . أمر يحتاج إلى الصبر على أشواق القلب البشري العنيفة . العلة من أجل هذا كان التوجيه إلى الصبر في هذا الموضع من السورة . فلم يكن هذا تكرارا للأمر الذي سبق فيها . إنما كان توجيها إلى الصبر من لون جديد . ربما كان أشق من الصبر على الأذى والكر والتكذيب

١ . ابن كثير : ٤ / ٩٠ .

٢ . البغوي : ٢ / ٣٥٦ .

٣ . الطبري : ١١ / ٨٤ .

إن احتجاز النفس البشرية عن الرغبة في أن ترى كيف يأخذ الله أعداءه وأعداءه دعوته ، بينما يقع عليها العداء والخصومة من أولئك الأعداء أمر شديد على النفس صعب ولكنه الأدب الإلهي العالی والاعداد الإلهي لأصفيائه المختارين وتخليص النفس المختارة من كل شيء لها فيه أرب ، حتى ولو كان هذا الأرب هو الإنتصار من أعداء هذا الدين . ولمثل هذه اللفتة العميقة ينبغي أن تتوجه قلوب الدعاة الى الله في كل حين . فهذا هو حزام النجاة في خضم الرغائب التي تبدو بريئة في أول الأمر ثم يخوض فيها الشيطان بعد ذلك ويعوم . (((١)

بيان من قص الله خبرهم لرسوله صلى الله عليه وسلم :

يبين جل و علا لرسوله صلى الله عليه وسلم أن ما حصل له من صد وتكذيب وجدال في آيات الله بالباطل لم يكن واقع له فحسب وإنما كان لأخوته من الأنبياء والرسل قبله مع أممهم وفي ذلك تثبيت له على دعوتهم فقال عز وجل : ((ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك)) أي من أخبارهم ممن ذكرهم الله في كتابه كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ممن قص الله خبرهم على نبيه صلى الله عليه وسلم قال ابن كثير : ((وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على أسمائهم في القرآن . وهم آدم وأدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان والياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى . وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم .)) (٢)

قوله : ((ومنهم من لم نقص عليك)) أي منهم خلق آخر أكثر ممن قصصنا عليك خبرهم لم نقص عليك خبرهم .

١ . الظلال : ٣٠٩٨/٥ .

٢ . أنظر تفسير ابن كثير : ٥٨٦/١ .

قال القاسمي : ((لكان الطول مع أن في نبيهم ما يشاكل نبأ المذكورين
والشيء يعتبر بشكله .))^(١)

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله : ((منهم من قصصنا
عليك ومنهم من لم نقصص عليك)) قال : ((بعث الله عبدا حبشياً
فهو الذي لم نقصص عليك))^(٢)

زاد ابن عطية بعد إيراده لهذا الأثر قال : ((وهذا بما ساق على
أن هذا الحبشي مثال لمن لم يقصص لأنه هو المقصود وحده فإن
هذا يبعد .))^(٣)

عدد الأنبياء والمرسلين :

اختلف العلماء في عدد الأنبياء والمرسلين لاختلاف الآثار في ذلك
وكل هذه الآثار لا تخلو من مقال :
ف قيل مائة ألف وأربعة عشر^(٤)

وقيل ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل .

وقيل ألف نبي أو أكثر^(٥)

الآثار التي وردت في ذلك :

الأول : ماروي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله

كم الأنبياء ؟ قال : ((مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً)) قلت يا رسول الله

كم الرسل منهم ؟ قال : ((ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير))^(٦)

١ . القاسمي : ١٤ / ٢٥٠ .

٢ . الطبري : ٢٤ / ٥٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد قال : وفيه محمد بن أبي

ليلي وهو سبيء الحفظ وبقية رجاله ثقات : ٧ / ٢٠١ .

٣ . ابن عطية مخطوط : ص ٨٥ والقرطبي : ١٥ / ١٨ وابن كثير : ١ / ٥٨٢ .

٤ . الطبري : ٢٤ / ٥٦ وابن عطية مخطوط : ص ٨٥ والبحر المحييط : ٧ / ٤٧٧ .

٥ . القرطبي : ١٥ / ١٨ / ١٩ والبحر المحييط : ٧ / ٤٧٧ .

٦ . أحمد : ٥ / ٢٦٥ ، ٦٦٦ والهيثمي : ١ / ١٥٩ قال : ومداره على علي بن

يزيد وهو ضعيف . قلت : ولعل حديث أبي ذر روي من بعض طرقه عن

أبي أمامة من طريق أبي ذر وفي سنده علي بن يزيد وسأيتي الكلام عنه .

قال ابن كثير: ((رواه أبو حاتم بن حبان البستي في كتابه الأنواع والتقسيم^(١) وقد سعه بالصحة. قال ابن كثير: وخالفه ابن الجوزي فذكر هذا الحديث في كتابه الموضوعات. واتهم به إبراهيم بن هشام وهذا لاشك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل^(٢)))
الأثر الثاني: روي عن طريق أنس بن مخرق متعددة. فروى يزيد الرقاشي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف نبي إلى بني إسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس))^(٣)

١. قلت: وهذا الكتاب من كتب ابن حبان البستي المخطوطة مكون من خمسة أجزاء كما وصفه تلميذه تاج الإسلام كما نقل ذلك صاحب معجم البلدان: ٤١٨/١ وقد ذكر شعيب الأرنؤوط وحسين أسد اللذين حققا الجزء الأول من صحيح ابن حبان وصفا لبعض أجزاء من ذلك المخطوط النفيس. أنظر مقدمة صحيح ابن حبان: ١/٥٠ - ٥٣ تحقيق المذكورين.

٢. قلت: ولم أعر على هذا الحديث في النسخة التي أطلعت عليها من كتاب الموضوعات لابن الجوزي سوى ما ذكر المؤلف تعقيبا على حديث رواه ابن هشام هذا في التوصل إلى السلطان وما نقله ابن الجوزي عن أبي زرعه واتهامه له بالكذب. أنظر الموضوعات لابن الجوزي: ٢/٢٩ قلت: وقال فيه ابن أبي حاتم أظنه لم يطلب العلم وهو كذاب. أنظر الجرح والتعديل: ٢/١٤٢ - ١٤٣، أنظر تفسير ابن كثير: ١/٥٨٧.

٣. ابن كثير: ١/٥٨٧ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: موسى بن عبيد الريذي ضعيف جدا: ٨/٢١٠. قلت: وقال فيه ابن حجر: موسى ابن عبيد أبو عبد العزيز المدني ضعيف ولا سيما في عبد الله بن دينار وكان عابدا من صفار السادسة مات سنة ثلاث. أنظر التقريب: ٥٣١٥.

قال ابن كثير: ((وهذا أيضا اسناده ضعيف فيه الربذي ضعيف وشيخه
الرقاشي ^(١) أضعف منه

قال ورويناه من طريق أخرى عن صفوان بن سليم عن أنس
قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((بعثت على إثر ثمانية آلاف نبي منهم
أربعة آلاف من بني إسرائيل.)) ^(٢)

١ . قلت: والرقاشي هو يزيد بن إيمان الرقاشي البصري قال أحمد
ابن حنبل: منكر الحديث وقال ابن معين: ضعيف الحديث
قال ابن حبان: سألت أبي عنه فقال: كان واعظا بكاء كثير الرواية
عن أنس يما فيه نظر، صاحب عبادة وفي حديثه صنعة. أنظر الجرح
والتعديل للرازي: ٢٥١ - ٢٥٢ وقال ابن حجر: ضعيف في الخاصة
مات قبل العشرين. أنظر التقريب: ٣٨١ .

٢ . أبو نعيم في الحلية: ٥٧/٣ . وابن كثير: ٥٨٧/١ .

قال : وهذا غريب من هذا الوجه واسناده لا بأس به رجاله كلهم معروفون
الا أحمد بن طارق هذا فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح والله أعلم ((^(١))

١ . قلت : وأحمد بن طارق قال فيه ابن حجر : كان حريصا على الطلب وتحصيل
الاصول . . . وسمع وحصل وحدث وأملأ ولم يزل يطلب ويسمع الى حين
وفاته وكان صدوقا ثبتا أميناً إلا أنه كان غالبا في التشيع . أنظر لسان
الميزان : ١ / ١٨٨ . وتتبع تلاميذه وشيوخه الذين يفترض روايتهم
عنه ورواياته عنهم فوجدت هناك فارقا كبيرا بينهم فالذي روى عنه كما
هو عند ابن كثير محمد بن عثمان بن أبي شيبة توفي سنة ٢٨٧ هـ .
أنظر لسان الميزان لابن حجر : ٥ / ٢٨٠ وشيخه الذي يفترض أنه روى
عنه مسلم بن خالد الزنجي قال فيه ابن حجر : صدوق كثير الأوهام
من الثامنة مات سنة تسع وسبعين أو بعد ها . أنظر التقريب : ٣٣٥ .
ولعله حدث تصحيف في الاسم من قبل النساخ في صالح فكتب بدلا منه
طارق وما يقوي هذا الإحتمال ما نقله الذهبي عن البخاري في الضعفاء
عند ترجمته لمسلم بن خالد الزنجي قال : أحمد بن صالح حدثني محمد
ابن يحيى بن حاتم الأزدي حدثنا زكريا بن عدي حدثنا مسلم بن
خالد عن زياد بن سعد عن ابن المكندر عن صفوان بن سليم عن أنس
بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((بعثت على أثر ثمانية
آلاف نبي منهم أربعة آلاف من بني اسرائيل)) وذكر حديثا آخر يرويه
مسلم عن محمد بن شرحبيل ثم قال أي البخاري : فهذه الأحاديث
وأمثالها يرد بها قوة الرجل ويضعف . أنظر ميزان الاعتدال : ٣ / ٦٥
وأنظر ترجمة مسلم بن خالد عند ابن أبي حاتم الرازي : ٨ / ١٨٣ .
وأنظر تفسير ابن كثير : ١ / ٥٨٢ .

وروي من طريق أخرى عن صفوان بن سليم عن يزيد الرقاشي عن أنس
نحوه .^(١)

والأثر الثالث: مارواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال: ((اني خاتم ألف نبي أو أكثر ما بعث نبي الا وقد حذر
أمته من الدجال)) . وذكر ابن كثير بطريق أخرى عن أبي سعيد
الحديث وفيه: ((اني خاتم ألف نبي أو أكثر ما بعث الله من نبي
الى قومه الا جذرهم الدجال)) . قال ابن كثير: ((وقد تكون
هذه مقحمة . أي الألف الثانية .

١ . الحلية لأبي نعيم: ٥٣/٣ والطبري: ٥٦/٢٤ ورواه الحاكم في
مستدرکه وقال الذهبي في التلخيص: ابراهيم ويزيد واهيـان
أنظر المستدرک: ٥٩٧/٢ . قلت: و ابراهيم بن مهاجر بن سمار
المدني قال فيه النسائي: ضعيف . أنظر الضعفاء والمتروكين للنسائي
ص ٤١ وقال فيه ابن حجر: ضعيف من الثامنة . أنظر التقريب: ٢٣ .
ويزيد هو يزيد الرقاشي سبق الحديث عنه .

٢ . المستدرک للحاکم: ٥٩٧/٢ وأحمد: ٧٩/٣ وابن كثير: ٥٨٨/١
وقال الذهبي في التلخيص: مجالد ضعيف . مستدرک الحاکم: ٥٩٧/٢
قلت: ومجالد قال فيه ابن حجر: هو مجالد بن سعيد بن عمير
الهمداني بسكون الميم أبو عمر الكوفي ليس بالقوي تغير في آخر
عمره من صغار السادسة مات سنة أربع وأربعين .

٣ . ابن كثير: ٥٨٨/١

قلت: وترى أنه ما سلم أثر من هذه الآثار التي سيقت في ذكر عدد الأنبياء (إما لضعف في سندها أو اضطراب في الرواية إلى غير ذلك. غير أن أولى هذه الآثار بالقبول حديث أبي ذر في عدد الأنبياء وأنهم مائة ألف وأربعة وعشرون. لكثرة طرقه ولكونه روى عن طريق صحابي آخر هو أبو أمامة وثقه قال: قلت لرسول الله كم عدد الأنبياء؟ قال: ((مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا)) (١) قال ابن كثير: ((معان بن رفاعة (٢) السلامي ضعيف وعلى بن يزيد ضعيف والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضا (٤))) كذلك روي حديث أبي أمامة من طريق أخرى عند الطبراني قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليل الحلبي (٥) وهو ثقة ورواه الحاكم في مستدركه بطريق أخرى عن أبي ذر (٦) ثم إن العلماء تلقوه بالقبول. قال القرطبي: ((وحديث أبي ذر أصح ما روي في ذلك قال: وخرجه الأحرار وأبو حاتم البستي في المسند الصحيح له.)) وقال السيوطي: بعد إيراده لحديث أبي ذر (٨) ((والصواب أنه ضعيف لا صحيح ولا موضوع.))

١. رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: ص ٢٠٢ مخطوط وابن كثير: ٥٨٧/١
٢. قلت: ومعان بن رفاعة السلامي الشامي قال فيه ابن حجر: ليس الحديث كثير الا رسال من السابعة مات بعد الخمسين. أنظر التقريب: ص ٣٤١.
٣. على بن يزيد أبو عبد الملك التدمشقي صاحب القاسم بن عبد الرحمن ضعيف من السادسة مات سنة بضع عشرة ومائة أنظر التقريب: ص ٢٤٩.
٤. القاسم أبو عبد الرحمن التدمشقي صاحب أبو أمامة صدوق يرسل كثيرا من الثالثة مات سنة اثنتي عشرة. أنظر التقريب: ص ٢٧٩.
٥. الزوائد للهيثمي: ٢١٠/٨.
٦. الحاكم في مستدركه: ٥٩٧/٢. غير أن في سنده يحيى بن سعيد السعدي البصري قال فيه الذهبي في التلخيص: ليس بثقة. المصدر السابق
٧. تفسير القرطبي: ١٩/٦.
٨. الدر المنثور: ٢٤٦/٢.

تنزل الآيات على الرسل بأذنه وعلمه تعالى :

قوله تعالى : ((وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله))
أي لم يكن لمن سبقك من الرسل أن يأتي قومه بآية أو علامة لمجرد هوى
قومه أو رغبته هو إلا بعد أن يأذن الله بذلك . وفي هذا رد للمبطلين
من مشركي قومه الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طلب الآيات كبرا منهم وتعنتا وإعراضا عن الحق والهدى كما قال
الله عنهم ((ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر
الناس إلا كفورا . وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا
الآيات)) (الاسراء : ٨٩ - ٩٠) إلى غير ذلك من المطالب التي قصدوا
من ورائها إعجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحديه حتى وجهه
ربه للرد عليهم بما يفيد عدم قدرته صلى الله عليه وسلم على شيء من
ذلك وان هذا ليس في وسعه دون أن يأذن الله به فقال له الحق
تعالى : ((قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا)) (الاسراء : ٩٣)
وكما ذكر الله عنهم في موضع آخر من كتابه ((وقالوا لولا أنزل عليه آية
من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين)) (العنكبوت : ٥٠).
ثم بين لهم بالمقابل ما يغنيهم عن هذه المطالب الكاذبة بما يميزه
في كتابه من دلائل وآيات هي أعظم آية وأقوى حجة لو قصدوا الحق
فقال تعالى معقبا على تلك المطالب ومنكرا على القوم ذلك ((أو لم يكفهم
أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم
يؤمنون)) (العنكبوت : ٥١) ثم إن هذه الآيات التي طلبها مشركوا
مكة من محمد صلى الله عليه وسلم ليست بعزيزة على الله غير أنه يعلم
جل وعلا أنهم لن يؤمنوا مهما جاءهم به من آيات كما كان الحال في من
سبق من الأمم وقد قضت حكمته جل وعلا أنه متى ما أجاب أمة من الأمم
لماتطلبه من آية أو آيات من أنبيائها كي يؤمنوا ثم لم يؤمنوا أهلكهم الله
كما دل عليه قوله تعالى ((وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها
الأولون)) (الاسراء : ٥٩) .

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن سبب نزول هذه الآية كان بعد سؤال أهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا فقيل له : إن شئت أن تستأنى بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألو فأجابوا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال بلا بل أستأنى بهم فأنزل الله هذه الآية ((وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون))^(١) ثم إن فيها بيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه سنته فيمن سبقه من الأنبياء تسلياً له وتشبيهاً وكما قال سيد قطب رحمه الله ((النفس البشرية ولو كانت نفس رسول — تتصنى وترغب أن تستعلي الدعوة وإن يذعن لها المكابرون سريعاً فتتطلع إلى ظهور الآية الخارقة التي تقهر كل مكابرة . ولكن الله يريد أن يلوذ عباده المختارون بالصبر المطلق . ويرضوا أنفسهم عليه فيمن لهم أن ليس لهم من الأمر شيء وأن وظيفتهم تنتهي عند حد البلاغ وإن مجيء الآية هو الذي يتولاه حينما يريد . لتطمئن قلوبهم وتهدأ^(٢) وتستقر ويرضوا بكل ما يتم على أيديهم ويدعوا الأمر كله بعد ذلك لله .)) أ . هـ .

قوله : ((فإذا جاء أمر الله)) أي وعده وأجله الصمى لتعذيب الكفرة والعصاة في الدنيا أو في الآخرة كما قال تعالى ((وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم . ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون)) (الحجر: ٥٠) وقوله : ((وقضي بالحق وخسر هنالك المبطلون)) أي قضى بالعدل بين عباده فينجي الله المرسلين وأتباعهم ويهلك في ذلك المقام الخاسرون الذين أبطلوا أعمالهم بالشرك والعناد والجدال في آياته بالباطل ((الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة جزاء ذلك جزأؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا)) (الكهف: ١٠٤ - ١٠٦) .

١ . أنظر ابن جرير: ٧٤/١٥ والحاكم في مستدرکه وقال صحيح الاسناد

ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص وأحمد : ٢٥٧١ . وابن كثير: ٤٧٣ .

٢ . أنظر الظلال: ٣٠٩٩/٥ .

وكذلك قوله تعالى ((ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ
يسخر الميطلون)) (الجاثية: ٢٧) .
وبعد أن وجه جل وعلا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر ووعده بالنصر
وبين له حال الأنبياء قبله بما قص عليه من أخبارهم وتوعد المجادلين
في آياته بالباطل ذكر بعد ذلك بعض نعمه على عباده بما خلق لهم
من الأنعام وغيرها مما يشهد له بالألوهية والوحدانية .

قال تعالى :
اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٨﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنْفَعٌ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
الْفُكِّ تَحْمَلُونَ ﴿٨١﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ
اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾

قوله : ((أله الذي جعل لكم الأنعام)) أي هو الله الذي لا تصلح
العبادة إلا له أيها الميطلون الجاحدون لألوهيته هو الذي خلق لكم
هذه الأنعام قال الجوهرى : ((والنعم واحد الأنعام وهي المال الراعية
وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل . قال الفراء : ((وهو ذكر لا يؤنث
يقولون هذا نعم وارد ويجمع على نعمات ، مثل حمل وحملات والأنعام
تذكر وتؤنث . قال الله تعالى في موضع ((ما في بطونه)) (النحل: ٣١)
وفي موضع آخر ((ما في بطونها)) (المؤمنون: ٢١) (١) .

المراد بالأنعام في الآية :

قال الزجاج : ((المراد بالأنعام هنا الإبل خاصة . وكذلك قال الزمخشري .
وقيل بل المراد بذلك الأزواج الثمانية الصينة في قوله تعالى ((ثمانية أزواج
من الضأن اثنين ومن المعز اثنين . . . الى قوله تعالى ومن الإبل اثنين
ومن البقر اثنين)) الأنعام: ١٤٣ - ١٤٤ .

١ . أنظر الصحاح : ٢٠٤٣/٥ .

٢ . أنظر القرطبي : ٣٣٤/١٥ .

٣ . أنظر الزمخشري : ٤٣٨/٣ .

وكذلك قوله تعالى ((وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج)) (الزمر: ٦) .
وقال الطبري : ((الأنعام من الإبل والبقر والسنم والخيول وغير ذلك
من البهائم التي يقتنيها أهل الاسلام لمركب أو مطعم ^(١) فجعلا الأنعام
عامة في كل ما ينتفع به .

قوله : ((لتركبوا منها ومنها تاكلون)) من الأولى والثانية للتبعيض وقيل
لابتداء الغايه ^(٢) .

وقال ابن عطية : ((إن منها الثانية للجنس لأن الجميع منها يوكل ^(٣) .
ولم يوافق أبو حيان في ذلك ^(٤) .

قلت : وقد ضعف قول الطبري وإطلاقه الأنعام في كل ما ينتفع به . فقال
ابن عطية : ((إنما الأنعام الأزواج الثمانية التي ذكرها الله فقط . ^(٥)))

وقال أبو حيان : ((ويضعف قول من أدرج فيها الخيل والبغال والحمير
وغير ذلك مما ينتفع به من البهائم وقول من خصها بالإبل كالزجاج . قلت :
وإطلاق الزجاج وغيره كالزمنخري الأنعام على الأبل خاصة جائز في اللفه
فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم عند بعثه لعلي ابن أبي طالب لخير
قوله : ((لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم)) ^(٦) .
ومن ذلك قول حسان بن ثابت : ^(٧)
^(٨)

وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء
ومراده بالنعم الإبل . غير أنه لا معنى لتخصيص ذلك بالإبل هنا لأن الأمر
أعم من ذلك .

- ١ . أنظر الطبري : ٥٧ / ٢٤ .
- ٢ . الطبري المصدر السابق . وأبو حيان : ٤٧٨ / ٧ . وأبو السعود : ٢٨٦ / ٧ .
- ٣ . ابن عطية مخطوط : ٨٦ .
- ٤ . أبو حيان : ٤٧٨ / ٧ .
- ٥ . ابن عطية مخطوط : ٨٦ .
- ٦ . أبو حيان : ٤٧٨ / ٧ . وأنظر اللوسي : ٩١٠٩٠ / ٢٧ .
- ٧ . مسلم : ١٨٧٢ / ٤ ح ٣٤ .
- ٨ . ديوان حسان بن ثابت : ص ٧ .

قوله تعالى : ((ولكم فيها منافع)) أي سوى ما ذكر من الركوب والأكل كالانتفاع بأوبارها وألبانها وأصوافها إلى غير ذلك من النعم الكثيرة والتي قد بين الحق بعضا منها في عواضع متعددة من كتابه من مثل قوله تعالى : ((وجعل لكم من جلوهالأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم . ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين)) (النحل : ٨٠)

وقوله : ((وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون)) (المؤمنون : ٢١ ، ٢٢) أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع وشارب أفلا يشكرون)) (يس : ٧١ - ٧٣) وكذلك قوله تعالى : ((وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لنا خالصا سائغا للشاربين)) (النحل : ٦٦) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا .

قوله : ((ولتبلغوا عليها حاجة في صد وركم)) أي لتصلوا إلى المكان الذي تقصدونه في سفركم على هذه الإبل التي سخرها لكم لتحملكم وأمتعتكم إلى بلاد بعيدة ما كنتم بالفيها إلا بتعب ومشقة لولا هذه النعم التي أنعم الله بها عليكم وتذليلها لكم لتركبوها . قال قتادة : ((ولتبلغوا عليها حاجة في صد وركم)) يعني الإبل تحمل أثقالكم إلى بلد . وقال مجاهد : لتبلغوا عليها حاجتكم وأسفاركم أينما كانت^(١) وهو ما دل عليه القرآن قال تعالى بعد ذكره لبعض فوائد هذه الأنعام ((وتحملن أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس)) (النحل : ٧) .

قوله : ((وعليها وعلى الفلك تحملون)) قال الطبري : ((يعني الإبل وما جانسها من الأنعام المركوبة وعلى الفلك يعني وعلى السفن تحملون يقول تحملكم على هذه في البر وعلى هذه في البحر^(٢) .

١ . الطبري : ٥٧ / ٢٤ والدر : ٥ / ٢٥٧ .

٢ . الطبري : ٥٧ / ٢٤ .

وقال البغوي : ((أي على الإربل في البر وعلى السفن في البحر نظير قوله تعالى : ((وحملناهم في النبر والبحر)) (الاسراء : ٧٠) .

وقال أبو السعود : ((لعل المراد به حمل النساء والولدان عليهما بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر .

قيل ولم لم يقل ((في الفلك تحملون)) كقوله تعالى : ((قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين)) (هود : ٤٠) قال الزمخشري : ((معنى الابعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لأن الفلك وعاء لمن يكون فيها حموله يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضا فليطابق قوله : ((وعليها)) أهـ .

قوله : ((ويريكم آياته فأبي آيات الله تنكرون)) أي يريكم حججه ودلائل توحيده فأبي من هذه الآيات والدلائل على كثرتها واستفاضتها تنكرون فإن من له عقل لا يسعه إنكار شيء من ذلك . وأي للاستفهام التوبيخي منصوبة بـ (تنكرون) . قال أبو السعود : ((وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل إنكارها)) وتذكير الأبي هنا جاء على اللغة المستفيضة كما قال الزمخشري : ((لأن قولك فأبي آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة وهي في أي أغرب لإبهامه .))

ثم يأتي الشوط الأخير من السورة بعد بيان تلك النعم التي أنعم الله بها على عباده والآيات الكثيرة التي دلل بها جل وعلا على أحقيته بالعبادة وحده . ليبين جل وعلا الغفلة التي وصل إليها المشركون وعدم اتعاظهم بما يشاهدونه في أسفارهم وتنقلاتهم وما يتلى عليهم من أخبار تلك الأمم المكذبة لرسول ربها وكيف أهلكها الله وهم أكثر منهم عددا وعدة وغرهم ذلك أن كذبوا واستهزؤا بالحق الذي جاءهم عن طريق أنبيائهم فأحاط بهم العذاب في الدنيا قبل الآخرة .

- ١ . البغوي : ١٠٦/٤ .
- ٢ . أبو السعود : ٢٨٦/٧ .
- ٣ . الزمخشري : ٤٣٩/٣ .
- ٤ . أبو السعود : ٢٨٦/٧ .
- ٥ . الزمخشري : ٤٣٩/٣ .

ولم ينفعهم إيمانهم حينذاك وضت فيهم سنته فحسروا الدينارا
والآخرة .

فيقول عز وجل : أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ
مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَهِيمُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يَهِيمُونَ
﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَأَلَتْ
اللَّهُ أَلَيْكَ قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَا لِكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

قوله : ((أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم))
أي أفلم يتنقل المجادلون من مشركي قومك يا محمد في البلاد حالمة
أسفارهم إلى الشام وغيرها فيروا آثار الأمم السابقة لهم من أمثال
قوم هود وصالح وغيرهم . وكيف أهلك الله أممهم لتكذبهم وعدم الإيمان
بدعوتهم كما وجههم ربهم على لسان رسوله للسير في الأرض للفرض
ذاته في قوله تعالى : ((قل سيروا في الأرض ثم أنظروا كيف كان عاقبة
المكذبين)) (الأنعام : ١١) والآيات في هذا كثيرة وسبق بيان شيء
من ذلك .

قوله : ((كانوا أشد منهم قوة وأثارا في الأرض)) أي كانوا أقوى عددا
وعدة وبطشا من هؤلاء المشركين فكانوا ينحتون من الجبال بيوتا
ولا تزال أثارهم باقية إلى اليوم ليكون في ذلك آية وحجة لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وهيا الله لهم من الأسباب والوسائل
مالم يهيمه لهذه الأمة فكفروا بها فأهلكهم الله كما قال تعالى

((ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكنا لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين)) (الأنعام: ٦) .

نعم ((فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)) أي كل هذه الوسائل وهذه القوة والجبروت ما الذي أفادوه من ذلك؟ وهل دفعت عنهم تلك الوسائل بأس الله حينما نزل بهم؟ اللهم لا . وهؤلاء المشركون لا يسألونهم في شيء من ذلك وعلى معنى إن ما نافية فيكون المعنى ما أغنت عنهم هذه القوة ولا دفعت عنهم من عذاب الله حين حل بهم شيء . ومن أهلك أولئك قادر على إهلاك هؤلاء إذا أصروا على تكذيبك وعنادك وجدالك بالباطل ((وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص)) (ق: ٣٦) وكذلك قوله تعالى: ((فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين)) (الزخرف: ٨) .

ومحل (ما) الأولى في قوله تعالى: ((ما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)) النصب بأغنى و(ما) الثانية إما أن تكون إسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية في محل رفع أي لم يغن عنهم أو أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم^(١).

قوله: ((فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم)) الضمير في جاءتهم للأمم المكذبة لرسول ربها عند ما جاءتهم رسلهم باللائل والحجج والبراهين الدالة على وحدانية الله .

المراد بفرحهم في الآيه:

((فرحوا بما عندهم من العلم)) فرحوا جهل وسفه وحمق بما يعتقدونه علما وليس كذلك بل هو الجهل الذي أعمى أبصارهم وقلوبهم فأصبحوا من الخاسرين .

وقد اختلف المفسرون في عود الضمير في ((فرحوا)) فقيل عائد الى الكفار فيكون فرحهم بما عند هم من العلم على سبيل التهكم بهم لجهلهم بحقائق الأمور كما قال تعالى : ((كل حزب بما لديهم فرحون)) (الروم: ٣٢) وكذلك قوله : ((بل أدارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم عنها عمون)) (النمل: ٦٦) وهذا الفرح منهم لما كانوا يزعمونه من عدم البعث بعد الموت ونفي العذاب عنهم كما قال مجاهد : في تفسيره لقوله تعالى : ((فرحوا بما عند هم من العلم)) قال : ((قولهم نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب)) وروي نحوه عن السدي .^(١)
وقد حفظ الله لنا دعواهم هذه في كتابه فقال عز وجل ((إن هؤلاء ليقولون . إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين)) (الدخان ٣٤-٣٥) وكذلك قوله : ((وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى)) (فصلت: ٥٠) . الى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى .
وقيل : بل فرحهم بما كانوا يعلمونه من علوم الدنيا الظاهرة . كما قال الله عن ذلك ((يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)) (الروم: ٧) .
نعم إنها الغفلة بعينها غفلوا عن الحق الذي جاءهم به الأنبياء مما فيه صلاح دينهم ودنياهم وتطهير قلوبهم من رجس الوثنية وعبوديتها فأبوا إلا أن يستهزؤا بذلك فأحاط بهم كيدهم ((وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن)) .
وفي هذا دليل على أن الإنشغال بعلوم الدنيا الظاهرة دون العلم بالدين غفلة حقيقية يخشى على صاحبها أن يهلك كما هلك أولئك الذين غرهم علمهم بما علموه من أمور الدنيا التي لا صلة لها بالدين

١ . الطبري : ٥٧/٢٤ والبغوي : ١٠٦/٤ والقرطبي : ٣٣٦/١٥

وابن كثير : ٩٠/٤

٢ . الطبري : ٥٧/٢٤ وابن كثير : ٩٠/٤

وهذا البلاء أصيب به الكثير من المسلمين اليوم في شتى بقاع العالم حتى تجد الواحد منهم يجهل من دينه ما يجب معرفته بالضرورة ولا يعذر فيه الجاهل فضلا عن المتعلم كأحكام الصلاة مثلا وغيرها من أمور العبادات الأخرى . نسأل الله العافية والسلامة .

وقيل : بل الضمير عائد إلى الرسل على تقدير محذوف أي كذبوهم ففرح الرسل^(١) . وذلك لعلموه من جهالة القوم وجد الهيم في آيات الله بالمأطل ولعلمهم بسوء عاقبتهم ومصيرهم فكان فرحهم لما أتاهم الله من العلم الذي نور الله به بصائرهم . ولنجاتهم ومن تبعهم في دعوتهم من المؤمنين . وقيل غير ذلك^(٢) .

قئت : وأولى الأقوال : قول من قال : إن الضمير عائد إلى الكفار وسواء كان المراد بفرحهم زعمهم عدم وقوع البعث والعذاب أو كان المراد فرحهم بمتعلموه من علوم الحياة الظاهرة في الدنيا أو غير ذلك لأن سبب اقتران الآيات ولحاقها وسياقها كل ذلك للحديث عن الكفرة وأحوالهم مما يدل على ثبوت الخطاب لهم .

وكذا في بالطبري والبنغوي وابن كثير اختاروا أن يكون الضمير عائداً إلى الكفار فحسب^(٤) قوله ((وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون)) أي أحاط بهم ووقع ما كانوا يستعجلون به أنبيائهم من العذاب استهزاء منهم وسخرية بخر لك كما قال تعالى : ((وأتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا)) (الكهف : ٥٦) .
نستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين)) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى والتي يستعجلون فيها العذاب واستبعادا منهم لوقوعه وتكذيباً له .

١ . أنظر تفسير ابن عطية مخطوط : ٨٦ .

٢ . أنظر فيما تقدم من أقوال الزمخشري : ٤٣٩ / ٣ . ابن الجوزي : ٢٣٨ / ٥ .

والرازي : ٩١ / ٢٧ والقرطبي : ٣٣٦ / ١٥ .

٣ . أنظر الزمخشري : ٤٣٩ / ٣ والرازي : ٩١ / ٢٧ والبحر المحيط : ٤٧٩ / ٧ .

والألوسى : ٩٢ / ٢٧ .

٤ . أنظر الطبري : ٥٧ / ٢٤ والبنغوي : ١٠٦ / ٤ وابن كثير : ٩٠ / ٤ .

وقال مجاهد : ((وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن)) قال ما جاءتهم به رسلهم من الحق^(١) . يعني كذبوا به كما دل عليه قوله تعالى : ((فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن)) (الأنعام: ٥) .

قوله تعالى : ((فلما رأوا بأسنا)) قال السدي : أي النقمات التي نزلت بهم^(٢) . أي أن هذه الأمم المكذبة لرسول ربها لما رأت عذاب الله وشدة بأسه من القوم المجرمين ورأوا ذلك رأي العين بعد ما كانوا يكذبون رسلهم عند ما كانوا يتوعدونهم بذلك . أعلنوا إيمانهم بالله وحده وكفروهم بما سوى ذلك من الأنداد والأصنام وكل ما يعبد سواه تعالى . ولكن ذلك في وقت لا ينفع الظالمين فيه هذا التجرد وهذا الإذعان لأنه وقع ((يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)) (غافر: ٥٢) .

قوله : ((فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا)) أي أن هذا الإيمان منكم والتجرد من كل معبوداتكم في هامة الساعة عند معاينة عذابنا وبطشنا غير نافع لكم وغير مقبول لنا .

والفاء الأولى في قوله ((فما أغنى)) كالنتيجة لبيان عاقبة الكثرة وشدة القوة والبطش فلم يغن ذلك عنهم شيئا . والفاء الثانية في قوله ((فلما جاءتهم رسلهم بالبينات)) تفسير وتفصيل لما في الفاء الأولى . كأنه قيل فكفروا^(٣) فلما رأوا بأسنا آمنوا)) والفاء الثالثة في قوله ((فلما رأوا بأسنا)) تعقيبيه لأن ما بعدها تابع لما قبلها والفاء الرابعة في قوله ((فلم يك ينفعهم إيمانهم)) للعطف على آمنوا كأنه قيل : فآمنوا فلم ينفعهم الإيمان في تلك الحالة^(٣) .

٢٠١ أنظر الطبري: ٥٨/٢٤

٠٣ أنظر الزمخشري: ٤٤٠/٣ وأنظر أبا السعود: ٢٨٧/٧

قوله : ((سنة الله التي قد خلت في عباده)) هذه طريقته التي أمضاها في عباده ممن أعلن توبته حين رأى العذاب أو الموت . وأنها غير مقبولة لأنه لم يعد إيماناً إختيارياً بل صار إيماناً إضطرارياً . قال قتادة : ((كذلك كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل أو عاينوا العذاب لم ينفعهم إيمانهم عند ذلك .^(١) وفي ذلك تحذير لأهل مكة من سنته في أعداء الرسل^(٢))) . وقد ثبت في الكتاب والسنة ما يؤيد عدم قبول توبة التائب أو إيمانه عند رؤية العذاب أو معاينة الموت كما قال تعالى ((وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)) (النساء : ١٨) . وكذلك كل من كذب بالعذاب قبل وقوعه ثم آمن به لا يقبل منه إيمانه لقوله تعالى : ((أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون)) (يونس : ٥١) وكما قال عن فرعون اللعين عند معاينته لعذاب ربه كما قص الله خبره . قال : ((حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين)) فأنكر عليه جل وعلا ذلك وقال : ((آآآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين)) (يونس : ٩٠ - ٩١) .

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر)) فحينئذ لا توبة لمن هذه حاله .

قوله تعالى : ((وخسر هنالك الكافرون)) أي عند رؤيتهم لعذاب الله خسروا الدارين الأولى والآخرة خسارة هلاك وعذاب . وكما قال الزجاج : ((الكافر خاسر في كل وقت ولكنهم يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب))^(٣)

قال الطبري : ((وهلك عند مجيء بأس الله فغبت صفته ووضع في بيعة الآخرة بالدنيا والمغفرة بالعذاب والإيمان بالكفر ، الكافرون بربهم الجاحدون توحيد خالقهم المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون ربهم))^(٤)

١ . أنظر تفسير عبد الرزاق مخطوط : ص ٢٥٥ والطبري : ٢٤ / ٥٨

والدر : ٣٥٨ / ٥

٢ . أنظر البيهقي : ٤ / ١٠٦ ، والألوسي : ٢٧ / ٩٣

٣ . أنظر البيهقي المصدر السابق والقرطبي : ١٥ / ٣٣٦

٤ . أنظر الطبري : ٢٤ / ٥٨

الخاتمة

وبعد حمد الله والثناء عليه بما انتهت إليه من عرض وتحليل لهذه السورة التي أختتمت بهذا المشهد العنيف الذي يهز القلوب الميتة واليأس الشديد الذي أضاه الله المبطلين من عباده وهم يعلنون الايمان بالله والاذعان والتسليم لأمره وأتسى لهم المنفعة من ذلك بعد معاينتهم بأس الله وعقابه ((يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنتم من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا)) (الانعام: ١٥٨) وهكذا تتجلى عظمة القرآن في اعجازه وبلاغته وبيانه بالمقارنة بين فاتحة السورة في قوله : ((غافر الذنب وقابل التوب)) مع خاتمتها بالوعيد بالخسارة والهلاك للكفرة والمشركين من عباده ((فلم يك ينفعهم ايمانهم لمارأوا بأسنا سنق الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون)) .

لأعود مرة أخرى فأجوز أهم القضايا التي عولجت من خلال هذه السورة ثم الخص الثمرات التي توصلت اليها من خلال عرضي لها .

فقد مررنا من خلال هذه السورة بوصف لكتاب الله ومنزله وذكر للمجادلين في آياته وبيان الذي حملهم عليه من الكبر والحسد وغيرهما . ثم وصف لملائكته وحمله عرشه . وأحوال أهل النار فيها . وسوق الأدلة العقلية والنقلية على توحيدده واخلاص العباده له . وعرض لبعض مشاهد القيامة وأحوال الناس فيها . ومشهد من مشاهد الحق مع الباطل في قصص من أعظم قصص القرآن عبرة وعظة يمثل جانب الحق فيه موسى ومومن آل فرعون ويمثل جانب الباطل فرعون ويطانته هامان وقارون . ثم توجيهه للدعاة الى الله بالصبر والثبات على الحق في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم . مع تذكير العباد بنعم الله الظاهره والباطنه في مواضع متفرقة من هذه السورة العظيمة .

وقد تحدثت في مستهلها عن الحروف المقطعة في أوائل السورة ثم عملت مقارنة بين هذه السورة ومثيلاتها من السور الأخرى التي أفتتحت ((بحم)) .

وعند الحديث عن الرجل المؤمن ودعوته سقت بعض الفوائد والعبير التي يستفيد منها الداعية في مجال دعوته مما لم أسبق إليه فيما أعلم .

ثم أعطيت جانب العقيدة أهمية خاصة وضروره التزام منهج السلف في ذلك ومعرفة طالب العلم خاصة بالمثالب التي وقع فيها بعض مشاهير المفسرين في أسماء الله وصفاته خوفا من الوقوع فيما تعتقده بعض الطوائف الضالة من معطلة ومأولة كالمعتزلة والجهمية وغيرهما والتي يرى بعض طلبه العلم اليوم أن تدريس عقيدة هؤلاء من الترف العلمي الذي لا حاجة له لاندثار هذه المذاهب بذهاب مؤسسيها والداعين لها . والحق أنه لا زال من علماء المسلمين اليوم من يدين بهذه المعتقدات الفاسدة وأوردت نماذج توضح صحة ما ذهبت إليه . إلى غير ذلك من المواضيع والبحوث التي تعرضت لها من خلال عرض هذه السورة .

وان كنت لا أدعي الكمال فيما قمت به من جهد متواضع فالمتتبع للبحث يظهر له من الهنات والعيوب ما لا يظن لمنشئه .
أسأل الله أن يجعل العمل خالصا صوابا . وأن يهدينا سبيل السبيل . صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	الحديث
٩٥	٠١ الأمر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض
٩٤	٠٢ الأمر أشد من أن يهتمم ذاك
٥٠	٠٣ أتدرى ما حق العباد على الله؟
١٧٨	٠٤ أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟
١٧٥	٠٥ أذع الله أن يد خلني الجنة
٧٢	٠٦ اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس
٦٧	٠٧ أذن لى أن أحدث عن ملك من الملائكة
	٠٨ أعطيت مكان التوراة السبع الطول وأعطيت
١٧	مكان الزبور المثين
١٧٦	٠٩ أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر
٢٤٠	١٠ أفضل الذكر لا اله الا الله
٢٠٨	١١ أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا؟
٢٠٨	١٢ أفلا أكون عبدا شكورا؟
١٨٩	١٣ ألا انكم تفتنون فى القبور
٢٤٠	١٤ أما ان ربك يحب الحمد
١٠٧	١٥ أما كان فيكم رجل رشيد؟
١٣٣	١٦ آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع
١٨٤٠، ١٨١	١٧ ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالقده والعشى
٢٥٥	١٨ ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما
٦٥	١٩ ان أقدامهم لفي الأرض السابعة
٢٣	٢٠ ان بيتهم فليكن شعاركم حم لا ينصرون
٢٣	٢١ ان لكل شىء لبابا وان لباب القرآن حم
١٠٣	٢٢ ان للموت سكرات
٢٥٦	٢٣ ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض
٤٤	٢٤ ان الله عز وجل ليقلل توبة العبد

رقم الصفحة	الحديث
٢٥	ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار
٢٦	ان الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ
٢٧	انه كان يقول عقب كل صلاة (لا اله الا الله وحده لا شريك له)
٢٨	انه اوحى الى انكم تفتنون في قبوركم
٢٩	انه ليفان على قلبي
٣٠	اني خاتم الف نبي أو أكثر
٣١	أول ما خلق الله القلم
٣٢	أين الله؟ قالت في السماء.
٣٣	بعثت على آخر ثمانية آلاف نبي
٣٤	بعث الله ثمانية آلاف نبي
٣٥	بني الاسلام على خمس
٣٦	بينما رجل يمشي في حلة
٣٧	تلا قوله تعالى ((هو الذي أنزل عليك الكتاب منه))
٣٨	ثم أخذ قوسا من كنانته
٣٩	جاء الحق وزهق الباطل
٤٠	جدال في القرآن كفر
٤١	الحواميم دجاج القرآن
٤٢	خلقت الملائكة من نور
٤٣	الدعاء مع العبادة
٤٤	الدعاء هو العبادة
٤٥	سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الذكر
قال: ما اصطفاه الله لملائكته	
٤٦	سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ((حم))
فانا لا نعرفها في لساننا	
٤٧	صدق أمية بن أبي الصلت في شيء من شعره
٤٨	صدق أمية بن أبي الصلت في شيء من شعره

رقم الصفحة	الحدِيث
٢٤٠	٤٩ الطهور شطر الايمان
	٥٠ فلقد كاد يسلم أمية في شعره
٢٧١	٥١ قال مئة ألف وأربعة وعشرين ألفاً
١٨٨	٥٢ القبر كقطع الليل المظلم
	٥٣ كان صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم انا نعوذ بك
١٢٦	من شرورهم
٦٢	٥٤ كان الله ولم يكن شئٌ غيره وكان عرشه على الماء
٢٥٦	٥٥ كان الله ولم يكن شئٌ معه وكان عرشه على الماء
٢٠٧	٥٦ كذبت يهود وهم على الله أكذب
٤٤	٥٧ كل ابن آدم خطاء
١٧٤	٥٨ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
٢٣	٥٩ كن الحواميم يسمين العرائس
١١٦	٦٠ لا تشركوا بالله شيئاً
١٥٩	٦١ لا أحصي ثناءً عليك
٢٧٨	٦٢ لا بل استأنى بهم
٢٤٩	٦٣ اللهم انى أعود بك من البخل والكسل وأرذل العمر
٥٤	٦٤ لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب
٩٩	٦٥ لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله
٢٨٠	٦٦ لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم
٢٦٤	٦٧ لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة
٤٤	٦٨ لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله
	٦٩ لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من
١٨٧	عذاب القبر ما أسمع
٢٢٧	٧٠ لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم
٦٧٨	٧١ ما الفقر أخشى عليكم
٧٦	٧٢ ما الكرسي فى العرش الا كحلقة من حديد
٦٦	٧٣ ما تسمون هذه؟ قالوا السحاب

رقم الصفحة	الحدِيث
١٣٣	٧٤ ما رأيت ناقصات عقل ودين
١٧٥	٧٥ ما من عبد يسترعيه الله رعيته
٢٢٥	٧٦ ما من مسلم يدعوه ليس فيها اثم أو قطيعة رحم
١٧٥	٧٧ ما من نبي بعثه الله في أمة
٢٢٤	٧٨ مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره
٥٩	٧٩ مرء في القرآن كفر
٢٠٠	٨٠ من آذى لي ولياً فقد استحل محاربيتي
٤٣	٨١ من تاب قبل أن تطلع
٧٠	٨٢ من دعا لأخيه بظهر الغيب
٢٠٠	٨٣ من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب
٢٢	٨٤ من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة
٢٢-١٥	٨٥ من قرأ حم المؤمن الى اليه المصير
٢٢٣	٨٦ من لا يسأله يغضب عليه
٢٢٣	٨٧ من لم يدع الله عز وجل غضب عليه
١٢٦	٨٨ من نزل منزلاً
١٨٨	٨٩ نعم عذاب القبر
٦٥	٩٠ هم اليوم أربعة
١٧٦	٩١ والذى نفسي بيده لتأمرن بالمعروف
٤٦	٩٢ والذى نفسي بيده لو لم تذنبوا
٤٥	٩٣ والله اني لأستغفر الله وأتوب اليه
٤٥	٩٤ يا أيها الناس توبوا الى الله وأستغفروه
١٤٢	٩٥ يا أهل الجنة خلود ولا موت
٩٨	٩٦ يا عبادى اني حرمت الظلم على نفسي
١٠٦	٩٧ يا على لا تتبع النظرة
٢٤٧	٩٨ يا يهودى من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة
	٩٩ يشبث الله الذين آمنوا بالقول الثابت. قال : نزلت

رقم الصفحة	الحدِيث
٩٤	١٠٠ يحشر الناس يوم القيامة
٦٥	١٠١ يحمله اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية
٢٢٦	١٠٢ يستجاب لأحدكم ما لم يعجل
٩٥	١٠٣ يطوى الله عز وجل السموات
٩٥	١٠٤ يقبض الله الأرض يوم القيامة
١٥	١٠٥ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر
٩٨	١٠٦ يقول الله تعالى اني حرمت الظلم
٩٧	١٠٧ يناديهم مناد بصوت

١. ابراهيم بن مهاجر . ح . ص ٢٧٥ .
٢. ابراهيم بن هشام . ح . ص ٧٦ .
٣. أبو عبيد : ص ٢٣ هو :
- أبو عبيد القاسم بن سلام اشتغل بالحدِيث والأدب والفقهِ
م ٢٢٤ . الأعلام : ١٧٦/٥ .
٤. أبو عبيده : ص ٢٤ هو :
- معمربن مثنى التميمي م ٢١٩ . الأعلام : ٢٧٢/٧ .
٥. الأجرى : ص ٢٧٦ هو :
- أبو بكر محمد بن الحسين البغدادي المحدث الفقيه م ٣٦٠ هـ
شذرات الذهب : ٣٥/٣ .
٦. أحمد بن الزبير : ص ٣٤ هو :
- أحمد بن ابراهيم بن الزبير الفرناطي م ٧٠٨ هـ . الأعلام : ٨٦/١ .
٧. أحمد بن طارق . ح . ص ٢٧٤ .
٨. أحمد بن سلمه : ص ٣٢ هو :
- النيسابوري البزار حافظ من علماء الحديث م ٢٨٦ هـ . الأعلام : ١٣٢/١ .
٩. الأختش : ص ٨١ هو :
- سعيد بن سعد الجاشعي البلخي البصري المعروف
بالأختش الأوسط النحوي المشهور م ٢١٥ هـ . الأعلام : ١٠١/٣ .
١٠. اسحاق بن راهويه : ص ٩٥ هو :
- اسحاق بن أبي الحسن ابراهيم أبو يعقوب بن راهويه م ٢٣٨ هـ
الوفيات : ١٩٩/١ .

١. بعض هؤلاء الأعلام ترجمت لهم في الحاشية تبعا لرأى علماء
الجرح والتعديل فيه ورمزت له بـ ((ح)) تمييزا له عن غيره
من سبقت له ترجمته هنا وأشرت لرقم الصفحة التي ورد فيها
العلم وجعلت الترجمة على حروف المعجم تبعا للشهره .

- ١١- الأشبيلي: ص-٤٨٧ هو:
عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الاشبيلي
المعروف بابن الخراط فقيه حافظ م ٥٨١ هـ. الأعلام: ٢/٢٨١.
- ١٢ أصيغ: ص ٢٩ هو:
وزان أمير شريك بن المنذر بن قطن بن شمع بن عسل
بن يربوع التميمي.
- ١٣ أبو بكر الباقلاني: ص ١٣١ هو:
محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر قاض من كبار علماء
الكلام. م ٣٣٨ هـ. الأعلام: ٦/١٧٦.
- ١٤ ابن جريج: ص ١٠٣ هو:
عبد الملك بن عبد العزيز الرومي المكي مولى بنى أمية
م ١٥٠ هـ. العبر: ١/١٦٣.
- ١٥ أبو جعفر النحاس: ص ١٧ هو:
أبو جعفر أحمد بن محمد النحوي المصري له تصانيف كثيرة
كأعراب القرآن والناسخ والمنسوخ. م ٣٣٨ هـ. العبر: ٢/٥٤.
- ١٦ أبو جعفر المدني: ص ٦٢ هو:
يزيد بن القعقاع توفي بالمدينة سنة ١٢٨ هـ طبقات القراء: ١/٧٢.
- ١٧ الجهم بن صفوان: ج ٠ ص ٤١.
- ١٨ جويبير أبو القاسم البلخي: ج ٠ ص ٧٦.
- ١٩ الجويني: ص ١٥٦ هو:
أبو المعالي عبد الملك أبي عبد الله بن يوسف بن محمد
الجويني الشافعي العراقي م ٤٧٨ هـ. وقايات الأعيان: ٣/١٦٧.
- ٢٠ حسان بن عطية: ص ٦٦ هو:
حسان بن عطية المحاربي مولا هم أبوبكر الدمشقي
م ١٢٠ هـ. التقريب: ٧٨.
- ٢١ الحسن: ص ١٥ هو:
الحسن بن أبي الحسن البصري أحد سادات التابعين
وكبرائهم. م ١١٠ هـ. الوفيات: ١/١٢٨.

- ٢٢ حمزة: ع ١٨٢ هو:
حمزة بن حبيب ابن عماره ابن اساميل الاغام الكوفي أحد القراء
السبعة م ١٥٦ هـ. معرفة القراء: ١/١١١.
- ٢٣ الخطابي: ص ٢٣ هو:
أبوسليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطاب البستي
م ٣٨٨ هـ. أنظر الوفيات: ٢/٢١٤.
- ٢٤ ذر بن عبيد الله: ص ٨٢ هو:
ذر بن عبيد الله المراهبي توفي قبل المائة عن الهجره
التقريب: ٩٨.
- ٢٥ الربيع بن أنس: ص ٣٢ هو:
الربيع بن أنس البكري أو الحنفي بصرى نزل خراسان صدوق.
له أوامام روى بالتشيع م ٤٠ هـ. التقريب: ١٠٠.
- ٢٦ الربيع بن خيثم: ص ٢٧ هو:
الربيع بن عائد بن عبد الله الثوري أبو يزيد الكوفي م ٦١ هـ
التقريب: ١٠١.
- ٢٧ ابن رجب الحنظلي: ص ١٨٦ هو:
أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد البغدادي م ٧٩١ هـ
- ٢٨ رويس: ص ٢٢٢ هو:
أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي م ٢٣٨ هـ. طبقات القراء: ١/٢١٦.
- ٢٩ الزركشي: ص ١٦ هو:
محمد بن عبد الله الزركشي صاحب البرهان في علوم القرآن م ٧٤٧ هـ
شذرات الذهب: ٦/٢٢٤.
- ٣٠ الزجاج: ص ١٤٧ هو:
أبو اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج النحوي كان عالما
أديبا م ٣١١ هـ. العبر: ١/٤٦١.
- ٣١ ابن زيد: ص ٦٥ هو:
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي العمري مولا هم المدني
روى عن أبيه وجماعة. م ١٨٣ هـ. شذرات الذهب: ١/٢٩٧.

- ٣٣ السبكي: ص ١٥٦ هو: قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن تمام السبكي الشافعي م ٧٧١ هـ. شذرات الذهب: ٦/٢٢١.
- ٣٣ السدي: ص ٨٣ هو: اسماعيل السدي الكوفي المفسر المشهور م ١٢٧ هـ. العبر: ١/١٢٧.
- ٣٤ سعد بن ابراهيم: ص ٢٣ هو: سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني م ١٢٧ هـ. الشذرات: ١/١٧٣.
- ٣٥ سفيان الثوري: ص ٢٧ هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه عباد امام حجة م ٦١ هـ. التقريب: ١٢٨.
- ٣٦ السهيلي: ص ١١٧ هو: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد صاحب الروض الأنف على سيرة ابن هشام. م ٥٨١ هـ. الأعلام: ٣/٣١٣.
- ٣٧ الشقبي: ص ١٦ هو: أبو عمرو عامر بن شرارة حبل بن معبد م ١٠٤ هـ. الشذرات: ١/١٢٦.
- ٣٨ أبو صالح: ص ١١٥ هو: أبو جعفر المصري الحافظ المقرئ م ٢٤٨ هـ. طبقات القراء: ١/١٨٤.
- ٣٩ الضحاك: ص ٦٥ هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم الخراساني مفسر صدوق أخرج له أصحاب السنن. م ١٠٢ هـ. الشذرات: ١/١٢٤.
- ٤٠ أبو عامر الشامي: ص ٦٣ هو: عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك يكنى أبا عمران من التابعين م ١١٨ هـ. معرفة القراء: ١/٨٢.
- ٤١ عبد الله بن خليفة: ص ٧٦ هو: عبد الله بن سلمة ح ١١٨ هـ.
- ٤٢ عبد الله بن كلاب: ص ٤١ هو: عبد الله بن كلاب ح ٤١ هـ.

٤٤ ابن العربي: ص ٦٣١ هو:

أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافى

الأندلسي الحافظ م ٤٣ هـ. وفیات الأعيان: ٤/ ٢٩٦.

٤٥ عطاء: ص ١٥ هو:

أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان مولى بنى فهر

م ١١٥ هـ. الوفيات: ٣/ ٢٦١.

٤٦ ابن عطية: ص ١٥ هو:

عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الفرناطي

المفسر المشهور م ٤٢ هـ. الأعلام: ٣/ ٢٨٢.

٤٧ العكبري: ص ١٣٣ هو:

أبو اليقظ عبد الك بن الحسين العكبري م ٦١٦ هـ. الأعلام: ٤/ ٨٠.

٤٨ عكرمة: ص ١٥ هو:

أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس م ١٠٧ هـ

الوفيات: ٣/ ٢٦٥.

٤٩ علي بن يزيد ح ص ٢٧٨.

٥٠ عمرو بن هند ح ص ١٢٢.

٥١ ابن فارس: ص ٣٢ هو:

أحمد بن فارس بن زكريا امام في اللغة من مصنفاته المجلد

في اللغة ومعجم مقاييس اللغة م ٣٩٥ هـ. الأعلام: ١/ ٩٣.

٥٢ الفراء: ص ٣١ هو:

يحيى بن زياد الفراء امام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة

وفنون الأدب م ٢٠٧ هـ. الأعلام: ٨/ ١٤٥.

٥٣ فرعون: هو الوليد بن مصعب ح ص ١١٠.

٥٤ الفيروز يادى: ص ١٥ هو:

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز يادى صاحب البصائر

م ٨١٧ هـ.

٥٥ القاسم أبو عبد الرحمن الدمشقي ح ص ٢٧٦.

٥٦ القاضي عياض: ص ٢٣ هو:

عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي م ٥٤٤ هـ

الأعلام: ٥/ ٩٩.

- ٥٧ قتادة: ص ١٥ هو:
قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي
البصري مفسر حافظ. م ١١١٨ هـ. الأعلام: ٥/١٨٩.
- ٥٨ القشيري: ص ١٥٤ هو:
أبو النصر عبد الرحيم بن الامام عبد الكريم أبي القاسم
القشيري مناظر مفسر أديب علامة متكلم م ٥١٤ هـ -
شذرات الذهب: ٤/٤٥.
- ٥٩ القطامي: ص ١٣٥ هو:
عمير بن شييم من بني تغلب شاعر مشهور
طبقات الشعراء: ٣٧١.
- ٦٠ قطرب: ص ٣١ هو:
محمد بن علي المستنير أحد العلماء بالنحو واللغة
م ٢٠٦ هـ. شذرات الذهب: ٢/١٥.
- ٦١ ابن كثير: ص ١٠٧ هو:
عبد الله بن كثير المكي من التابعين توفي بمكة سنة ١٢٠ هـ
معرفة القراء: ١/٨٦.
- ٦٢ الكرمانى: ص ٢٤ هو:
محمود بن حمزه بن منصور الكرمانى المعروف بتاح القراء
م ٥٠٥ هـ. الأعلام: ٧/١٦٨.
- ٦٣ كعب الأحبار: ص ٧٨ هو:
عالم الكتاب والآثار أبو اسحاق بن ماتع الحميرى أصله
من يهود اليمن م ٣٥ هـ. شذرات الذهب: ١/٤٠.
- ٦٤ الكلبي: ص ٩١ هو:
محمد بن السائب الكلبي أبو النصر الكوفي النسابة
متهم بالكذب ورمى بالرفض غير أنهم رضوا روايته فى التفسير
ذون الحديث م ١٤٦ هـ. الأعلام: ٦/١٣٣.
- ٦٥ الكميت: ص ٢٤ هو:
الكميت بن زيد بن خنيس الأسدى أبو الصتهل شاعر
الهائميين م ١٢٦ هـ. الأعلام: ٥/٢٣٣.

- ٦٦ المازردى: ص ٥١ هو:
أبو الحسن علي بن حبيب الشافعي صاحب كتاب أدب
الدين والدين م ٤٥٠ هـ. شذرات الذهب: ٢/٢٨٥.
- ٦٧ المبرد: ص ٣١ هو:
أبو العباس محمد بن يزيد امام أهل البصرة فى النحو واللغة
من أشهر مصنفاة المقتضب والكامل م ٢٨٥ هـ. الأعلام: ٧/١٤٤ +
- ٦٨ مجالد بن سعيد ح. ص ٢٦٥.
- ٦٩ مجاهد: ص ٢٩ هو:
مجاهد بن جبر المكي مولى السائب أحد التابعين الشقيات
م ١٠٤ هـ. الأعلام: ٥/٢٧٨.
- ٧٠ مطرف بن عبد الله الشخير العامرى: ص ٧٠ هو:
أبو عبد الله البصرى ثقة عابد فاضل م ٩٥ هـ. شذرات الذهب: ١/١١٠.
- ٧١ محمد بن سيرين: ص ٢٣ هو:
محمد بن سيرين أبوبكر ابن أبي عمر البصرى م سنه ١١٠ هـ.
شذرات الذهب:
- ٧٢ محمد بن القاسم الأنبارى: ص ١٨ هو:
أبوبكر محمد بن القاسم الأنبارى من علماء الأدب واللفظة
م ٣٢٨ هـ. الأعلام: ٦/٣٣٤.
- ٧٣ مسروق: ص ١٥ هو:
مسروق بن الأجدع الهمداني الفقيه العابد صاحب
ابن مسعود م ٦٣ هـ. العبر: ١/٥٠.
- ٧٤ مسلم بن خالد ح. ص ٢٦٥.
- ٧٥ معان بن رفاعه السلامى ح ص ٢٧٦.
- ٧٦ مقاتل: ص ١٨٣ هو:
مقاتل بن سليمان الأزدي مولا هم الخرساني م ١٥٠ هـ.
شذرات الذهب: ١/٢٢٥.

- ٧٧ ابن منده: ص ١٣٣ هـ - هو أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن منده الحافظ الأصبهاني م ٢٩٥ هـ. شذرات الذهب: ٣/١٤٦.
- ٧٨ أبو منصور اللغوي: ص ٢٤ هـ: هو: موعوب بن أحمد بن محمد بن الحسن الجواليقي البغدادي الحنبلي م ٥٤٠ هـ. شذرات الذهب: ٤/٥٢٠.
- ٧٩ ابن الفير صاحب كتاب الأوصاف ص ٤٩: هو: أحمد بن محمد بن الفير السكندري عن علماء الاسكندرية م ٦٨٣ هـ. الأعلام: ٢/٢٢١.
- ٨٠ المهلب بن أبي صفرة: ص ٢٣ هـ: هو: أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة واسمه ظالم بن سراق له مع الخوارج وقائع مشهورة م ٨٢ هـ. وفيات الأعيان: ٥/٣٥٠.
- ٨١ موسى بن عبيد: ح ص ٢٧٢.
- ٨٢ ميمون: ص ١٨٠ هـ: هو: ميمون بن ميسرة من كبار التابعين روى عن أبي هريرة.
- الجرح والتعديل: ٨/٢٣٥.
- ٨٣ نافع المدني: ص ٥٧ هـ: هو: نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الليثي مولا هم أبو رويم المقرئ المدني م ١٦٩ هـ. معرفة القراء: ١/١٠٧.
- ٨٤ أبو النجم: ص ٢٥٥ هـ: هو: الفضل بن قدامة من عجل الراجز المشهور. طبقات الشعراء لابن قتيبة: ص ٣٠٢.
- ٨٥ هشام: ص ١٠٧ هـ: هو: هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي شيخ أهل دمشق ومفتيهم وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم م ٢٤٥ هـ. معرفة القراء: ١/١٩٥.
- ٨٦ واصل بن عطاء: ح ص ٤٧ هـ.
- ٨٧ ابن وهب: ص ١٤٤ هـ: هو: محمد بن عبد الله بن وهب الفهري مولا هم المصطفى م ١٩٧ هـ. العبر: ١/٢٥١.

٨٨ يحيى بن سعيد السعدي: ج ٢٧٦ .

٨٩ يزيد بن ابان الرقاشي ج ٢٧٥ .

٩٠ يعقوب: ص ٩٠ هو:

يعقوب بن اسحاق الحضرمي قارىء أهل البصرة في عصره

معرفة القراء الكبار: ١/١٥٧ .

- فهرست المصادر - والمراجع -

- أ -

- ٠١ القرآن الكريم
- ٠٢ الاتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي م ٩١١ هـ ط/دار المعرفة.
- ٠٣ أحكام القرآن لابن العربي أبي بكر محمد بن عبدالله م ٥٤٣ هـ تحقيق
على محمد البجاوي طبعة دار المعرفة بيروت.
- ٠٤ أخبار عمر وأخبار عبدالله بن عمر/ تأليف علي الطنطاوي ، وناجي الطنطاوي
المكتب الاسلامي الطبعة الثامنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٠٥ ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم للقاضي أبو السعود محمد بن
محمد العمادي م ٩٥١ هـ ط/دار احياء التراث العربي .
- ٠٦ أسباب النزول لأبي الحسن بن أحمد الواحدي النيسابوري م ٤٤٨ هـ ط/دار
الكتب العلمية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ٠٧ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي م ١٣٥٦ هـ ط/دار
الكتاب العربي بيروت الطبعة التاسعة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٠٨ أصول الدين لأبي عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي م ٤٢٩ .
- ٠٩ الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال على حاشية الكشاف لأحمد
ابن المنير ط/دار الفكر للطباعة والنشر طبعة أولى سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- ٠١٠ أهوال القبور وأحوالها الى أهل النشور لابن رجب الحنبلي م ٧٩٥ هـ
تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسبوتني زغلول ط/ دار الكتب العلمية
بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٠١١ الايمان لابن منده م ٣٩٥ هـ تحقيق د / علي محمد ناصر فقيهي طبعة
أولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨٢ م .

- ب -

- ٠١٢ البحر المحيط لأبي عبدالله الشهير بابن حيان الأندلسي م ٧٥٤ هـ
الطبعة الثانية .
- ٠١٣ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضي مكتبة
الدار بالمدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .

- ١٤ - البرهان في علوم القرآن ليدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي م ٧٩٤م
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر
بيروت لبنان .
- ١٥ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للقيروز يادي م ٨١٧ تحقيق
محمد علي النجار المكتبة العلمية بيروت لبنان .
- ت -
- ١٦ - تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن
ابراهيم الطبعة السابعة ١٩٦٤ م .
- ١٧ - التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب م ٤٣٧ تحقيق د /
المقري محمد غوث الندوي نشر وتوزيع دار السلفيه بومباي الهند .
- ١٨ - تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي لعبد الرحمن عبد الرحيم الباركفوري
م ١٣٥٣ هـ ط / دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ١٩ - التذكرة في أحوال الموتى والآخرة للقرطبي م ٦٧١ تحقيق د / أحمد
حجازي ط / دار الكتب العلمية لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٢٠ - التعريف والاعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام لعبد الرحمن
السهيلي م ٥٨١ هـ طبعة أولى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م طبعة وورشنة
وتجليد الأنوار .
- ٢١ - التفسير والمفسرون د / محمد حسين الذهبي ط / المكتبة السلفية
الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- ٢٢ - تفسير ابن أبي حاتم مخطوط الجامعة الاسلامية رقم ٢٧٩ - ٢٨٦ .
- ٢٣ - تفسير ابن كثير لأبي الفداء اسماعيل الدمشقي م ٧٧٤ ط / دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٢٤ - تفسير مجاهد بن جبر المخزومي م ١٠٠ هـ تقديم وتعليق عبد الرحمن
الطاهر بن محمد السورتي الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- ٢٥ - تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا تعليق الاستاذ الشيخ محمد عبده
الطبعة الثانية دار المعرفة للطباعة والنشر .
- ٢٦ - تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني نشر دار الكتب الإسلامية باكستان .

٢٧. تلخيص المستدرک للحافظ الذهبي م ٨٤٨ مكتبة ومطابع النصر الحديثة .
٢٨. تيسير العزيز الحميد لشرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله
محمد بن عبد الوهاب م ١٢٣٣ هـ - الطبعة الثانية المكتب الاسلامي .

- ج -

٢٩. جامع الأصول من أحاديث الرسول للإمام مبارك بن محمد الأثير الجزري
م ٦٠٦ هـ اشرف عبد المجيد سليم تحقيق محمد حامد الفقي ط / دار
أحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
٣٠. جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
م ٣١٠ هـ ط / دار المعرفة بيروت .
٣١. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي م ٦٧١ هـ .
٣٢. الجدول في القرآن الكريم لمحمد التومى طبعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
٣٣. الجدول في القرآن الكريم للدكتور زاهر بن عوض الألمعي .
٣٤. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم م ١٣٢٧ هـ دار الكتب العلمية بيروت
الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ .
٣٥. الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد الشافعي م ٨٦٤ ، جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي م ٩١١ هـ .

- ح -

٣٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني م ٤٣٠ هـ ط / دار
الكتاب الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

- د -

٣٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي م ٩١١ هـ دار المعرفة للطباعة والنشر .
٣٨. ديوان امرؤ القيس جمع أبي الحاج المعروف بالشمسري تصحيح ابن أبي
شبيب ط / الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .
٣٩. ديوان أمية بن أبي الصلت م ٦٢٤ م تحقيق د / عبد الحفيظ السطلي
الطبعة الثانية .
٤٠. ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني
ط / دار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

٤١. ديوان لبيد ابن أبي ربيعة العامري م ٦٦٦ م دار صادر بيروت .
٤٢. ديوان النايغة م ٦٠٤ م شرح وتقديم عباس عبدالستار دار الكتب العلمية
بيروت لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

- ر -

٤٣. الرد على الجهمية والمعتلة لعثمان بن سعيد الدارمي م ٢٨٠ هـ
٤٤. الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل م ٢٤١ هـ تحقيق وتعليق
عبدالرحمن عسرط / دار اللواء ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
٤٥. روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي البغدادي م ١٢٧٠ هـ
ط / دار احياء التراث العربي بيروت .

- ز -

٤٦. زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن عثيمين محمد
الجوزي البغدادي م ٥٩٧ هـ ط / المكتب الاسلامي للطباعة والنشر
الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

- س -

٤٧. السراج والابانة على أصول الديانة للإمام عبيد الله بن محمد بن بطعة العكبري
م ٣٨٧ هـ تحقيق د / مالك نعيان معطي ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م ط / دار التوفيق
النموذجية للطباعة والجمع الآلي - الأزهر بجوار جامع الدعاء .
٤٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني : ١ : طبعة
الثانية ١٤٠٤ هـ المكتب الاسلامي .
٤٩. سلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني الطبعة
الرابعة ١٣٩٨ هـ المكتب الاسلامي .
٥٠. سنن أبي داود للإمام الحافظ أبو داود السجستاني م ٢٧٥ هـ ط / دار الحديث
للطباعة والنشر اعداد وتعليق عزت عبدالعاس وعادل السيد الطبعة
الأولى ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .

٥١. سنن الدارمي لعبد الله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي م ٢٠٥ هـ ط / دار
احياء السنة النبوية .

- ٥٢ سنن ابن ماجه لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني م ٢٧٥ هـ تحقيق
وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٥٣ سنن النسائي م ٣٠٢ هـ بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية
الامام السدي ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- ٥٤ السيرة النبوية لابن كثير م ٧٤٧ هـ تحقيق مصطفى عبد الواحد ط/ دار المعرفة
بيروت ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

- ش -

- ٥٥ شذرات الذهب في اخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن عماد
الحنبلي م ١٠٨٩ ط/ دار الآفاق الحديثه بيروت .
- ٥٦ شرح ابن عقيل م ٧٦٩ وسهامه منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل
لمحي الدين عبدالحميد الطبعة الخامسة عشرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٧٦ م ط/
دار الاتحاد العربي للطباعة كنيسة الأرمن مصر .
- ٥٧ شرح السنة للبغوي م ٥١٦ تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش
ط/ المكتب الاسلامي الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .
- ٥٨ شرح العقيدة الطحاوية لأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي م ٣٢١
تعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثانية ط/ المكتب الاسلامي .

- ص -

- ٥٩ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لاسماعيل بن حماد الجوهري م ٤٥٣ هـ
تحقيق أحمد عبدالغفور عطار الطبعة الثانية القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٦٠ صحيح ابن حبان للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي م ٣٥٤ ترتيب
الأمير علاء الدين بن بليان الفارسي م ٧٣٩ تحقيق شعيب الأرنؤوط
وحسين أسد ط/ مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ٦١ صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
م ٢٦١ هـ تحقيق فؤاد محمد عبد الباقي ط/ دار احياء التراث العربي .
- ٦٢ صحيح مسلم بشرح النووي لمحي الدين أبوبكر زكريا يحيى بن شرف بن مري
الشافعي م ٦٧٦ هـ ط/ دار احياء التراث العربي .

- ض -

- ٦٣ - الضعفاء والمتروكين لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي م ٣٠٣ هـ
تحقيق مركز الخدمات والابحاث الثقافية بمران الضناوي وكمال يوسف الحوت
ط / مؤسسة الكتب الثقافية لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

- ط -

- ٦٤ طبعات الشافعية للسبكي م ٧٧١ هـ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود
محمد الطناجي الطبعة الأولى عيسى الحلبي وشركاه .
٦٥ طريق المهجرتين وباب السعادتين لابن القيم الجوزية م ٧٥١ هـ عنى بمراجعته
واخراجه السيد محب الدين الخطيب الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ المطبعة
السلفية القاهرة .

- ع -

- ٦٦ العاقبة في ذكر الموت والآخرة لأبي محمد عبدالحق الأشبيلي م ٥٨١ هـ
تحقيق الشيخ خضر محمد خضر مكتبة دار الأقصى الكويت الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
٦٧ عالم الملائكة الأبرار للدكتور سليمان الأشقر مكتبة الفلاح الكويت الطبعة
الرابعة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
٦٨ العبر في خبر من غير لمؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي م ٤٧٨ هـ تحقيق
أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية لبنان الطبعة
الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
٦٩ العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني م ٣٩٦ تحقيق ودراسة خالد بن محمد
ادريس ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
٧٠ عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر م ٨٥٢ هـ
دراسة وتحليل أحمد عصام الكاتب دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة
الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- ٧١ عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م / ط
دار الشروق جدة .

٧٢. العقيدة النظامية في الأركان الاسلامية للجويني م ٤٧٨ هـ مطبوعة
دار الشباب بالعباسية مصر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م تحقيق أحمد حجازي السقا.
٧٣. العلل المتناهيه في الأحاديث الواهية لابن الجوزي م ٥٩٧ هـ تحقيق
وتعليق الاستاذ ارشاد الحق الأثري طبعة دار العلوم الأثرية فيصل
أباد باكستان .
٧٤. العلو للعلي الغفار للذهبي م ٧٤٨ هـ تحقيق عبدالرزاق عفيفي وتصحيح
زكريا علي يوسف مطبعة جماعه أنصار السنه ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

- غ -

٧٥. الغايه في القراءات العشر للنيسابوري أبي بكر محمد بن الحسين
ابن مهران م ٣٨١ هـ . تحقيق محمد غياث الجنياز مراجعة سعد
عبدالله العبدالله الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ. ط/ شركة العبيكان الرياض.
٧٦. غريب القرآن لأبي محمد عبدالله بن سلم قتيبة م ٢٧٦ هـ تحقيق
السيد أحمد صقر ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

- ف -

٧٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد علي
الشوكاني م ١٢٥٠ هـ ط/ دار الفكر بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
٧٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ شهاب الدين الفضل العسقلاني
المعروف بأن حجر م ٨٥٢ هـ شركة مطبعة الباني الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٨ هـ
٧٩. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبدالرحمن حسن آل الشيخ م ١٢٨٥ هـ
راجع حواشيه وصححها وعلق عليها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله
بن باز المكتبة السلفية لصاحبها محمد عبدالمحسن الكتبي الطبعة
السادسة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
٨٠. الفتوحات الالهية لسليمان بن عمر بن منصور العجلي المشهور بالجميل
م ١٢٠٤ هـ ط/ الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٧ هـ .
٨١. الفرق بين الفرق للبغدادي عبدالقادر بن طاهر م ٤٢٩ هـ ط/ دار الكتب
العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

- ٨٢ الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري تحقيق لجنة احياء التراث العربي
دار الامامة الجديدة بيروت. الطبعة الخامسة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٨٣ الفصل في الملل والأهواء والنحل للامام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم
الظاهري م ٤٥٦ هـ ط/ دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٨٤ فواتح السور في القرآن الكريم لفاروق حسين أمين ١٤٠٢ هـ.
- ٨٥ في ظلال القرآن لسيد قطب م ١٩٦٥ م مطبعة دار الشروق ببيروت
الطبعة العاشرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- ق -

- ٨٦ القرآن الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي
ط/ مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .
- ٨٧ قصص الأنبياء لابن كثير م ٧٧٤ هـ تحقيق خليل الميسن دار القلم بيروت.
- ٨٨ قصص الأنبياء لعبد الوهاب نجار الطبعة الثانية المكتبة التجارية الكبرى
شارع محمد علي مصر ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م.

- ك -

- ٨٩ الكامل في التاريخ لابن الأثير م ٦٣٠ هـ طبعة دار الكتاب العربي بيروت
الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٩٠ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأثواب في وجوه التأويل لأبي القاسم
جار الله الزمخشري الخوارزمي م ٥٣٨ هـ الطبعة الأولى دار الفكر
للطباعة والنشر.

- ل -

- ٩١ لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانريقي
المصري م ٧١١ هـ طبعة دار صادر بيروت .
- ٩٢ لسان الميزان لابن حجر م ٨٥٢ هـ طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت الطبعة
الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م.
- ٩٣ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان وضع محمد عبد الباقي طبعة دار
احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

- ٩٤- مجاز القرآن لأبي عبيد معمر بن العنشى التميمي م ٢١٠ هـ - عارض
أصوله د / محمد فؤاد سزكين ط / مؤسسة الرسالة .
- ٩٥- مجالس التذكير في كلام الحكيم الخبير لابن باديس جمع وترتيب وتعليق
محمد الصالح رمضان وتدقيق محمد شاهين الطبعة الثانية دار الفكر .
- ٩٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين أبي بكر الهيثمي
م ٨٠٧ هـ ط / دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الثالثة
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٩٧- مجموعة الرسائل المنيرية ادارة الطباعة المنيرية لمحمد منير عبده
بيروت والناشر محمد أمين دمج ١٩٨٣ م .
- ٩٨- مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيميه م ٧٢٧ هـ جمع وترتيب
عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي وابنه الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ .
- ٩٩- المحرر الوجيز تفسير ابن عطية م ٥٤٦ هـ مخطوطات الجامعة رقم ٢٥٢١
١٠٠- مختصر الصواعق المرسله لابن القيم لمحمد بن الواصلي المطبوعة
السلفيه بمكة المكرمة .
- ١٠١- مختصر العلو للعلي الفغار للذهبي تحقيق وتعليق محمد ناصر الدين
الألباني المكتب الاسلامي الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ١٠٢- المدخل لدراسة القرآن الكريم د / محمد أبو شهبه الطبعة الثانية .
- ١٠٣- المستدرک علی الصحیحین للحاکم م ١٤٥ هـ مكتبة ومطابع
النصر الحديثه .
- ١٠٤- سند الامام أحمد م ٢٤١ هـ طبعة دار صادر بيروت .
- ١٠٥- سند الامام أحمد تحقيق أحمد شاکر طبعة دار المعارف بمصر
١٣٧٥ هـ - ١٩٧٦ م .
- ١٠٦- شکل اعراب القرآن لمكي ابن أبي طالب م ٤٣٧ هـ تحقيق حاتم
صالح الضامن الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .
- ١٠٧- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي
م ١٦٦ هـ اعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن الحكمران سوار ط / أولى
دار المعرفة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

- ١٠٨ معالم السنن للخطابي شرح سنن أبي داود م ٣٨٨ هـ على حاشية السنن لأبي داود الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ١٠٩ معاني القرآن للأخفش الملقب بالأوسط م ٢١٥ هـ تحقيق د / فائز فارس الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ١١٠ معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء م ٢٠٧ هـ تحقيق محمد علي النجار ، أحمد يوسف نجاتي ط / عالم الكتب بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ١١١ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم أحمد العباس م ٩٦٣ هـ تحقيق محي الدين عبد المجيد عالم الكتب بيروت ١٣٦٧ هـ - ١٩٢٧ م .
- ١١٢ معجم البلدان لياقوت الحموي م ٦٢٦ هـ ط / دار صادر بيروت ودار بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ١١٣ المعجم لألفاظ القرآن وضع محمد فؤاد عبد الباقي دار احياء التراث العربي بيروت لبنان .
- ١١٤ معجم ما استعجم للبكري م ٤٨٧ هـ تحقيق مصطفى السقا عالم الكتب بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .
- ١١٥ معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا م ٣٩٥ هـ تحقيق وضبط عبدالسلام هارون دار الكتب العلمية اسماعيليان نجفي ايران قم .
- ١١٦ مفحمت الأقران في مهمات القرآن لجلال الدين السيوطي ضبطه وعلق عليه مصطفى ديب البغاء الطبعة الأولى مؤسسة علوم القرآن دمشق - بيروت .
- ١١٧ المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصبهاني م ٥٠٢ هـ تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرفة بيروت .
- ١١٨ الملل والنحل للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني م ٤٨٥ هـ على هامش الملل والنحل لابن حزم ط / دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- ١١٩ ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه
اللفظ من آي التنزيل لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير
الغرناطي م ٧٠٨ هـ تحقيق د / محمود كامل أحمد طبعة النهضة
العربية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ١٢٠ من لطائف الاشارات للامام القشيري تقديم وتحقيق د / إبراهيم
بسيوني صدر له حسن عباس زكي الهيئة المصرية العامة
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ١٢١ مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزرقاني ط / دار
الفكر .
- ١٢٢ ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي الدمشقي م ٧٤٨ هـ طبعة
السعادة بجوار محافظة مصر طبع سنة ١٣٢٥ هـ .

- ن -

- ١٢٣ نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب النويري م ٧٣٣ هـ
طبعة دار الكتب القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ١٢٤ النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين المبارك محمد بن
الجزري بن الأثير م ٦٠٦ هـ تحقيق طاهر الزاوي ومحمود محمد
الطناحي طبعة دار الفكر .
- ١٢٥ نواسخ القرآن لابن الجوزي م ٥٩٧ هـ تحقيق ودراسة محمد أشرف
على الملباري الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

- و -

- ١٢٦ وفيات الأعيان لابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن
محمد م ٦٨١ هـ تحقيق د / احسان عباس دار صادر بيروت ١٣٩٧ هـ .
١٩٧٧ م .

رقم الصفحة	الموضوع
٠١	شكر وتقدير .
٠٣	المقدمه
١٤	تسمية السوره
١٥	كونها مكيه
١٥	الخلاف فى بعض آياتها هل هى مكيه أم مدنيه
١٦	التحقيق فى كون جميع آياتها مكيه
١٦	المكى والمدنى
١٧	ترتيب السوره
١٧	كون ترتيب السور والبسملة توقيفى
١٨	عدد آيات السوره
١٨	مناسبة السوره لما قبلها
١٩	الجو العام للسوره
٢٠	عرض اجمالى لما حوته السوره
٢٢	فضائل السوره
٢٤	القدر المشترك بين هذه السوره والحواميم التالى لها
٢٦	الحروف المقطعه
٢٧	المحكم والمتشابه
٢٧	كون هذه الحروف من المتشابه
٢٧	اختلاف العلماء فى ذلك
٢٩	اختلاف العلماء فى تأويل هذه الأحرف
٣١	المختار من هذه الأقوال
٣٢	الحكمة من افتتاح السوره بهذه الأحرف
٣٤	وجه اختلاف هذه الفواتح فيما بينها
٣٤	وجه اختصاص كل سوره بما أفتتحت به من هذه الأحرف
٣٥	هل تعد آية أم لا؟ وكيف تعد فى بعض دون بعض؟

رقم الصفحة	الموضوع
٢٦	هل هذه الفواتح أسماء أم حروف
٢٧	محل هذه الفواتح من الاعراب
٢٧	موقع هذه الفواتح من الاعراب
٢٧	حكم الوقف على هذه الأحرف
٢٩	تفسير السوره ((المقطع الأول))
٢٩	معنى ((حم)) واعرابها
٢٧	الأصل في التنزيل
٤٠	أنواع التنزيل في كتاب الله
٤١	من صفاته جل وعلا ((العزیز العليم))
	قوله ((غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب))
٤٢	في اعراب هذه الصفات ثلاثة أوجه
٤٢	معاني هذه الصفات
٤٣	الحث على الاستغفار والتوبه
٤٣	الوقت الزمني لقبول التوبه
٤٤	الوقت الزمني لقبول التوبه للفرد
٤٦	القدر المشترك بين التوبه والاستغفار
٤٦	جواز التوبه من ذنب دون ذنب
٤٨	قبول التوبه هل هو قبول وجوب أم كرم وفضل؟
٤٨	أدلة المعتزله في ذلك والرد عليها
٥٢	توحيد الألوهيه
٥٢	ليس كل اله معبوداً
	وجه المناسبه بين ذكره تعالى لنزول القرآن وما أعقبه
٥٣	من صفات
	من فوائد الآيات الجمیع للعبيد بين
٥٣	الترغيب والترهيب
٥٤	تغليب جانب الرحمه على الشده
٥٤	دعوة للعصاه وتربية للدعاه
٥٦	المقطع الثاني
٥٦	معاني المفردات

رقم الصفحة	الموضوع
٥٧	سبب النزول
٥٧	مباحث في الجدل
٥٨	أوجه الجدل
٥٩	الجدل من جهة نفسه
٥٩	المراد بآيات الله في قوله ((ما يجادل في آيات الله))
٥٩	معنى الغرور والتحذير منه
٦٠	المراد بالأحزاب في الآيه
٦١	المراد بالأخذ في الآيه
٦١	المراد بجدال الكفار في القرآن
٦٢	المراد بالحق في الآيه
٦٣	المقطع الثالث
٦٣	معاني المفردات
٦٥	حملة العرش
٦٥	عدد حملة العرش
٦٧	التمختر من ذلك
٦٧	صفة هؤلاء الحملة
٦٨	مادة خلقهم
٦٨	وظائفهم
٦٩	العمل المشترك بين هؤلاء الحملة ومن حولهم
٧١	المفاضلة بين هؤلاء الملائكة وسائر الناس
٧٢	صفة العرش
٧٢	كلام البيهقي عن أقوال المفسرين في العرش
٧٢	كلام الذهبي في صفة العرش
٧٢	كلام أهل التعطيل والتأويل حوله
٧٥	العرش غير الكرسي
٧٧	دعاء الملائكة للمؤمنين
٧٩	المراد بوقايتهم من السيئات
٨٠	المقطع الرابع

رقم الصفحة	الموضوع
٨٠	معاني المفردات
٨١	المراد بالمقت في الآية
٨٢	المراد بالموتتين والاحياءتين
٨٤	كون هذه الآية من الأدلة على عذاب القبر لا علاقة بعدد مرات الموت والحياء في القبر قبل البعث
٨٤	تمنى الكافر الخروج من النار وليس بخارج منها
٨٥	المقطع الخامس
٨٧	معاني المفردات
٨٧	بعض آيات الله ودلائل قدرته
٨٨	اخلاص العبادة لله وحده
٨٩	انتفاع المتذكر والمنيب بدلائل توحيدہ
٩٠	المراد بالدرجات
٩١	تخصيص العرش بالذكر
٩١	المراد بالروح في الآية
٩١	الطلاقات الانذار في القرآن
٩٣	المراد بيوم التلاق
٩٣	المراد بالبروز في الآية
٩٤	قوله : ((لمن الملك اليوم)) ؟ ومن القائل ؟
٩٦	المراد بالظلم في الآية وتنزيهه جل وعلا عن ذلك
٩٧	نفيه الشفاعة ليوم القيامة الا لمن يأذن الله له
٩٨	سرعة محاسبة العباد على أعمالهم مع كثرتهم
٩٨	خلقه جل وعلا لأفعال العباد
٩٩	كلام القدرة والجبرية على ذلك والرد عليهم الحديث عن الثواب والعقاب
٩٩	

رقم الصفحة	الموضوع
١٠١	المقطع السادس
١٠١	مناسبة الآيات لما قبلها
١٠١	معاني المفردات
١٠٢	المواد بالآزفه
١٠٥	نفي المعتزله لأنواع الشفاعة سوى نوعين منها
١٠٦	المواد بخائفة الأعين
١٠٦	المواد بالصدور في الآيه
١٠٧	تضاهيه بالحق بين عباده
١٠٨	المقطع السابع
١٠٨	مناسبة الآيات لما قبلها
١٠٨	معاني المفردات
١٠٩	أخذ العبرة ممن سبق
١٠٩	التحذير من بأسه وانتقامه
١١٠	من أسرار التكرار في القرآن
١١١	تكرار القصص مع فرعون
١١١	تشبيه قصة موسى مع فرعون
١١٣	المقطع الثامن
١١٣	مناسبة الآيات لما قبلها
١١٣	معاني المفردات
١١٤	المواد بالسلطان في الآيه
١١٦	المواد بالآيات في الآيه
١١٩	تخصيص هارون وفرعون بالذكر
١٢٠	معنى السحر في اللغة والشرع
١٢١	هل هو حقيقة أم لا ؟
١٢١	تعدد الأمر بالقتل من فرعون
١٢٢	ابطال الله لما يكيد الكائدون لعباده

رقم الصفحة	الموضوع
١٢٢	حجة فرعون لقومه برعيته قتل موسى واستنصاحه قومه خوفاً من أن يعاجله الله بالعقوبة
١٢٤	توافق الأحداث مع تباعد الزمن
١٢٥	الالتجاء الى الله في العسر واليسر
١٢٧	المقطع التاسع
١٢٧	معاني المفردات
١٢٨	الرجل المؤمن
١٢٩	اسمه
١٢٩	لا عبرة بالاسماء المهمة في القرآن
١٣٠	الخلاص في حقيقة الايمان
١٣٢	حقيقة الايمان
١٣٣	نماذج مما يعتقد السلف في تعريف الايمان
١٣٤	انكار الرجل المؤمن محاولة فرعون لقتل موسى
١٣٤	نصحه لقومه
١٣٤	المراد ببعض الايات في قوله ((يصيبكم بعض الذي يعدكم))
١٣٦	المقطع العاشر
١٣٦	معاني المفردات
١٣٧	تذكير المؤمن لقومه نعم الله عليهم
١٣٧	الرأى والرشاد الذي دعا فرعون قومه اليه
١٣٨	المقطع الحادى عشر
١٣٩	معاني المفردات
١٣٩	استمرار المؤمن في دعوته لقومه
١٤٠	وتحذيرهم ما أصاب الأمم السابقة
١٤١	المراد بيوم التناد
١٤٢	من أضل الله فلا هادى له
١٤٣	المقطع الثانى عشر

رقم الصفحة	الموضوع
١٤٣	معاني المفردات
١٤٤	الفرق بين قوم فرعون يوسف وفرعون موسى
١٤٦	المراد بالبينات في قوله ((ولقد جاءكم يوسف عن قبل بالبينات))
١٤٧	الجدال في آيات الله بغير سلطان
١٤٨	المراد بالمقت
١٤٨	المراد بالطبع على القلوب
١٤٩	المقطع الثالث عشر
١٤٩	معاني المفردات
١٥٠	شبهة فرعون في نفي الصانع
١٥١	المراد بأسباب السموات والأرض
١٥٢	استحسان فرعون لعمله تزيين من الشيطان
١٥٣	اثبات صفة العلو ونماذج مما تعتقده بعض الطوائف في ذلك
١٥٥	منهج السلف في الصفات عموماً
١٥٥	شبهة وجوابها
١٥٨	الأدلة على رواسب التعطيل
١٦٢	المقطع الرابع عشر
١٦٢	معاني المفردات
١٦٢	تكرار الدعوة من المؤمن لقومه
١٦٣	تحذيره لقومه من الحياة الدنيا وزهرتها وترغيبهم في الجنة ونعيمها
١٦٤	جزاء السيئة مثلها
١٦٥	سعادة المرء ترتبط بعمله
١٦٦	لا حد للعطاء في الجنة
١٦٧	المقطع الخامس عشر
١٦٧	معاني المفردات
١٦٨	انكار المؤمن على قومه دعوته إلى النار
١٦٩	العلة في تكرير نداء المؤمن لقومه
١٧٠	كلام العلماء في معنى ((جرم))

رقم الصفحة	الموضوع
١٧١	نفى منفعة الأنداد والنضراء في الدنيا والآخرة
١٧٢	تذكير المؤمن لقومه بالوقوف بين يدي الله
١٧٣	نجاة المؤمن مما كاد له أعدائه
١٧٣	احاطة العذاب بفرعون وقومه
١٧٤	دروس وعبر من دعوة المؤمن
١٨٠	تعذيب آل فرعون في قبورهم
١٨١	المراد بالغدو والعشى
١٨٢	ثبوت عذاب القبر
	رد الرازي على قول من قال أن المراد بالعرض في الآيه
١٨٣	عرض النصائح
١٨٤	أدلة أخرى من الكتاب على ثبوت عذاب القبر
١٨٥	تواتر الأخبار بعذاب القبر
	الجمع بين ما قد يفهم من نفى عذاب القبر وإثباته فسي
١٨٧	بعض الآثار
١٩١	المقطع السادس عشر
١٩١	معاني المفردات
١٩٢	من أحوال أهل النار في النار
١٩٦	المقطع السابع عشر
١٩٧	معاني المفردات
١٩٧	المراد بنصر الله لرسوله
	اعتراض صاحب الأضواء على توجيه الطبري في المراد بالنصر
٢٠٠	في الآيه
٢٠١	المختار من ذلك
٢٠٢	المراد بالأشهاد
٢٠٤	اعتذار الكفار لرسولهم
٢٠٥	المراد بما أورثه الله لبني اسرائيل
٢٠٦	المراد بأهل الألباب
٢٠٦	توجيه الرسول بالصبر على الأذى

رقم الصفح	الموضوع
٢٠٧	المراد بأمره صلى الله عليه وسلم بالاستغفار وتوجيه العلماء لذلك الأمر
٢٠٩	المراد بالعشى والابكار
٢١٠	والعلة في تخصيصهما
٢١١	دعوى النسخ لقوله تعالى ((فاصبر ان وعد الله حق))
٢١٣	المقطع الثامن عشر
٢١٣	معاني المفردات
٢١٤	الكبر والحسد من اعراض الصد عن الحق
٢١٥	بيان كون قوله تعالى ((ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان)) مكيه
٢١٧	حقيقة البعث
٢١٨	تشبيه الكافر والمؤمن بالأعمى والبصير
٢١٩	حقيقة الدعاء وأنواعه
٢٢٠	المراد بالدعاء في آية المؤمن
٢٢٣	التغيب في الدعاء
٢٢٤	الدعاء وحصول ثمرته
٢٢٦	المقطع التاسع عشر
٢٢٧	معاني المفردات
٢٢٨	بعض الدلائل الموجبه لتوحيده وشكره
٢٢٩	من فوائد تعاقب الليل والنهار
٢٣٠	تكرير الناسد ون الاكتفاء بالضمير
٢٣١	الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيه الالوهيه
٢٣٣	كثرة الاستدلال بالظواهر الكونية والفلكية في القرآن للعبه والعظه
٢٣٥	تعدد الأدلة على توحيده
٢٣٦	تأويل قوله تعالى ((رب العالمين))
٢٣٨	تأويل قوله تعالى ((هو الحي لا اله الا هو))
٢٣٩	معنى الحمد لله
٢٤١	الفرق بين الحمد والشكر

رقم الصفحة	الموضوع
٢٤٣	المقطع العشرون
٢٤٣	معاني المفردات
٢٤٤	اخلاص العباد لله وحده
٢٤٥	أصل خلق الانسان وتطوره
٢٤٩	مرحلة الأشد
٢٥٠	وقت بلوغ الانسان لهذه المرحلة
٢٥١	ضعف بعد قوه
٢٥٢	نهاية الحياه
٢٥٣	كثرة الاشاره الى آية الحياه والموت في القرآن
٢٥٤	المراد بكونه وقضائه ومتى يقع ؟
٢٥٨	المقطع الحادى والعشرون
٢٥٨	معاني المفردات
٢٥٩	المراد بالمجادلين في قوله تعالى ((الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون))
٢٦٣	تنوع العذاب لأهل النار وتشكيله
٢٦٥	الفرح والمرح بغير الحق سبب لعذاب الله
٢٦٦	وقت الأمر لهم بدخول النار
٢٦٨	المقطع الثانى والعشرون
٢٦٨	معاني المفردات
٢٦٩	الصبر ومغزاه وعلة تكرار الأمر به
٢٧٠	بيان من قص الله خبرهم لرسوله صلى الله عليه وسلم
٢٧١	عدد الأنبياء والمرسلين
٢٧٧	تنزل الآيات على الرسل بأذنه وعلمه
٢٧٩	المقطع الثالث والعشرون
٢٧٩	المراد بالأنعام في آية المؤمن
٢٨٣	المقطع الرابع والعشرون
٢٨٣	الاعتبار بالسير في الأرض للنظر في مآل من سبق
٢٨٤	التراد بقرحهم في قوله تعالى ((فرحوا بما عتد لهم من العلم))
٢٨٧	لا ينفع الايمان عند معاينة العذاب
٢٨٩	الخاتمة
٢٩١	فهرس الأحاديث
٢٩٦	فهرس الأعلام المترجم لهم
٣٠٥	فهرس المصادر والمراجع
٣١٦	فهرس الموضوعات

لحق تصويب الأخطاء المستند من قبل فضيلة المشايخ أعضاء لجنة المناقشة بالاضافة الى ماتم استدراكه من أخطاء قبل مناقشة الرسالة .

رقم السطر	رقم الصفحة	التصويب	الخطأ
٣٠١	٣	(الحمد لله الايات)	الحمد لله الايات
١٦	٣	مؤيدا	مؤيد
٢٠	٣	موسى وعيسى عليهم السلام فموسى كان اعظم اياته المعنى	موسى وعيسى موسى كان اعظم اياته السحر
٢١	٣	لأن السحر أعظم	
٢	٤	فكان من اياته مالا	فكان من اياته مالا
٧	٤	في قوم بلغ فيهم	في قوم بلغ فيهم
٩	٤	تستبعد هذه العبارة	مبهط الوحي ومنطلق الرسالة
١٨	٥	بل دليلها الزمن المنسحب على الزمن . . .	بل دليلها الزمن المنسحب . . .
حاشية رقم ١	٥	تهذيب سيرة ابن هشام ٦٩ الطبري ٦٨/٢٩	تهذيب سيرة ابن هشام ٦٩/١٨
٨	٧	فما	فسمى
حاشية رقم ٢	٧	البخارى ٤٥٢/١٠	البخارى ٤٥٢/١
٩	٨	تتميز بها	تتميز به
١٠	٨	لأجل ذلك	ولأجل ذلك
١١	٨	خصائص تنفرد	خصائص تتميز
١٨	٩	معنى	معنا
٢٢	٩	عزوت	خرجت
٢٥	٩	فقد خرجتها	نقد عزوتها
٢٦	٩	واذا كان	ولا سيما اذا كان
١٠	١٠	كل مبحث تحته مطالب بدل من مباحث	كل مبحث من مباحث الرسالة تحته مباحث
١٩، ١٧	١٠	أو	أم
١٤	١٤	تراعى	تساوى
٢٦	١٤	انظر البرهان ٢٧٣/١	انظر البرهان ٢٨٣/١
٦	١٥	وقد روى أثر ذلك في سند ضعف	بل قد ورد نص في ذلك
حاشية رقم ١	١٥	الكشاف للزمخشري ٨٣/١	الكشاف للزمخشري ٨٠/١
=====	١٥	التفسير الكبير ٢٦/٢٧	التفسير الكبير للرازي ٢٦/٢٤
٦=====	١٥	بمائر ذوى التمييز ٤٠٩/١	بمائر ذوى التمييز ٤١١/١
٤	١٨	وقولهم هذه الابه نزلت في كذا نزلت هذه الابه	وقولهم هذه الابه في كذا نزلت الابه
٧	١٦	فإنه يريد بذلك أن هذه الابه لأن	فإنه يريد بذلك أنها لأنه
٨	١٦	هذه الحاشية من الرماله تحذف	للعلماء في هذا الاصطلاح أعنى المكي والمدني
حاشية رقم ١	١٦		
١٠	١٧	وقد ذكر الزركشى اقوالا	وقد ذكر الزركشى أقوالا
٢٤	١٧	البرهان للزركشى ٢٦٠/١	البرهان للزركشى ٢٦٠-٢٥٨/١

رقم الصفحة	رقم السطر	الخط	المصنف
١٨	٧	قول أبو بكر	قول أبي بكر
١٨	٨	ان الله أنزل	أنزل الله
١٨	١٨	بصائر ذوى التمييز للفيروزى	بصائر ذوى التمييز للفيروزى
١٨	حاشيه رقم ١٩	٤١١ / ١ /	٤١١ / ١ /
١٨	حاشيه رقم ٢	فتح القدير ٤ / ٤٧٩	فتح القدير ٤ / ٤٨٠
١٩	١٩	فى الصبر	والصبر
٢٢	٩	لاتصدع فرقا وخشيه	لاتصدع فرقا وجزعا
٢٢	١٧	ومن ذلك مارواه أبو هريرة	مارواه أبو هريرة
٢٢	١٨	من قراء حميم المؤمن من التى ٠٠٠ اليه	من قراء حميم المؤمن من التى ٠٠٠ اليه
٢٢	حاشيه رقم ٢	أقولا ثلاثة	أقول ثلاثة
٢٣	١٤	يقول أبو عبيده والأصح أن يقال ٠٠٠	قال أبو عبيده والأصح أن يقال ٠٠٠
٢٣	حاشيه رقم ٨	من الأبرسيم	من الأبرسيم
٢٣	حاشيه رقم ٩	ذكره الحاكم فى مستدركه ٢ / ٤٣٧	ذكره الحاكم فى مستدركه ٢ / ٤٣٩
٢٨	١	وابن أبي حاتم وجماعه من المحدثين	وابن أبي حاتم وجماعه من المحدثين
٢٨	حاشيه رقم ٣	البخارى ١٠ / ٢٧٨ - ٢٧٧	البخارى ١٠ / ٢٧٨
٢٩	حاشيه رقم ٢	فتح البارى ٩ / ٢٧٦	فتح البارى ١٠ / ٢٧٨
٢٩	حاشيه رقم ٥	البحر المحيط ١ / ٣٠ - ٣٤	البحر المحيط ١ / ٢٦ - ٣٠
٢٩	١٤	بأختيار	وأختار
٣٠	حاشيه رقم ٤	الكشاف ١ / ٨٣	الكشاف ١ / ٩٤
٣١	١٠	وجمع عظيم من المحققين	وجمع من المحققين
٣١	١٢	واحدة فمعجزوا	واحدة فيعجزون
٣١	٢٤	قال إنها	قال أنها
٣١	٢٦	كل حرف منها يدل على عدد من المعينى	كل حرف منها مأخوذا

رقم السطر	رقم الصفحة	المصنف	الخط
١٦	٣٢	وجه منها	وجها منها
حاشيه رقم ٣٣	٣٢	الزوخشري ٩٧/١	الزوخشري ٩٩/١
١٦	٣٤	قال : (وجه اختصاص	حيث قال
١٨	٣٤	وقع في أول كل سوره	وقع في أول سوره
حاشيه رقم ١	٣٤	أضواء البيان ٥/٣	أضواء البيان ٢٧/٣
حاشيه رقم ٥	٣٥	البرهان ٢٦٦/١	البرهان ١٦٦/١
٨	٣٦	هكذا مختلفا وكلا وقف عند حدود ما بلغه أو علمه	هكذا مختلفا وان كلا من العلماء وقف عند حدود ما بلغه وعلمه
حاشيه رقم ١	٣٦	البرهان للزركشي ٢٦٧/١	البرهان للزركشي ٢٥٢/١
٤	٤١	كما يقول بعض الكلابيه	كما تقول الكلابيه
٣	٤٢	اما أن تكون اوصافا	اما أن تكون اوصاف
٥	٤٢	وصفين	وصفان
٩	٤٢	وتفسير اسم الله الغفارانه الستار هذا	وتفسير اسم الله الغفارانه الستار تقصير
حاشيه رقم ٤	٤٣	أنظر مسلم ٤/٢٢١٣ ح ٢٧٥٩	تاب الله عليه ؟
١١	٤٤	عبادتان	عبادتين
١٧	٤٤	يروى أبو أيوب الانصاري رضى الله عنه	يروى أبو هريره رضى الله عنه
١٠	٤٥	توبوا الى الله فاني أتوب	توبوا الى الله وأستغفروه فاني أتوب
٥	٤٦	في عدد من اعي القرآن الكريم	في آيه واحده
حاشيه رقم ١	٤٧	الملل والنحل للشهرستاني ١/٥٣-٦٢	الملل والنحل للشهرستاني ١/٥١ - ٥٣
حاشيه رقم ١٢	٤٨	تاريخ الاسلام للدكتور ابراهيم حسن	تاريخ الاسلام للدكتور حسن فرحات
٢١	٤٨	وقالوا	ويقولون
٦	٤٩	وخلق الله التوبه له وقبلها	وخلق التوبه وقبلها
٩	٤٩	معاشر أهل السنه	معاشر السنه
١١	٤٩	وجوب صدق الوعد لأن أحدا	وجوب صدق الوعد لأن أحدا

رقم السطر	رقم الصفحة	التصويب	الخط
١٠	٥٤	وصفان	وصفين
٥	٥٨	بأسلوب هادى مقترن	بأسلوب هادى وعقلية متزنه
٦	٥٩	وذلك منهج الانبياء	وتلك حرفه الانبياء
٦	٥٩	وهو من الجدال	وهذا من الجدال
٩	٥٩	الحج : ٨	الحج : ٤٨
١٥	٥٩	إن لفظ الجنان فى الشى	إن الجدال فى الشى
٦	٦١	ويطلق الهم ويراد به	ويطرق ويراد به
٨	٦١	كميا كفى بعض أخوانه	كما كفى أخوانه
٧	٦٥	بهن أفضل الملائكة المقربين	من أفضل الملائكة المقربون
٨	٦٥	كما يكون فى بنى آدم مقربون	كما يكون فى بنى آدم مقربون
١٩	٦٩	وفائده	وفائده ذلك
٢١	٦٩	وكما عقب	كما عقب
٧	٧٠	تحذف هذه الفائده لما فيها من الاعتزال الى آخر كلام الرازى .	قال : (وفائده أخرى وهى التنبيه على أن الامر . . . الى قول الرازى لكفاه فخرا وشرفا .
١٢	٧١	وما ذكره	قلت وما نقله
حاشيه رقم ١	٧٢	البخارى باب بدء الخلق ٩٨ / ٧	البخارى باب بدء الخلق فتح البارى ٩٧ / ٧
حاشيه رقم ٢	٧٢	البخارى باب الجهاد ٣٥٣ / ٦	أخرجه البخارى فى باب الجهاد المصدر السابق
٩	٧٣	والكلام حوله كثير	والكلام عنه كثير
٤	٧٤	بالفلك الاطنى	بالفلك الاطليسى
١٢	٧٤	من تأويل الكرسي بالعرش فى قوله تعالى	من تأويل الكرسي فى قوله تعالى
١٤	٧٥	ليخرجه عن قول من يقول	ليخرجه عن قول من قال
حاشيه رقم ٦	٧٧	الرازى فى تفسيره ٣٤ / ٢٧	الرازى فى تفسيره ٣٤ / ٠٧
١٦	٨٠	ويضاد المعرفة الانكار والعلم الجهل	ويضاد المعرفة الانكار والعلم والجهل
١٦	٨٢	فان قلت كيف صح أن يسمى	فان قلت كيف أن يسمى
حاشيه رقم ٢	٨٥	القرطبي ٢٩٨ / ١٥	القرطبي ٤٥٤ / ٧

رقم السطر	رقم الصفحة	التفسير	التفسير
٦	٨٩	كثيرا	كثير
٩	٨٩	ولو أفاض الكافرين	ولو أفاض الكافرون
١	٩١	والتعريف لضمير هو في قوله	والتعريف لهو في قوله
٢٥	٩٥	الاحاله رقم ٤ بدل الاحاله رقم ٥ والاحاله رقم ٥ على نهايه العبارة التاليه كالطبرى وابن كثير.	متكبر وملكه
١٦	١٠١	مخرج النفس .	مخرج النفس والمراد كونهم . . .
حاشيه رقم ٥	١٠٣	أبن الجوزى ٢١٣ / ٧	أبن الجوزى ٢١٣ / ٥
حاشيه رقم ٦	١٠٣	الرازى ٤٩ / ٢٧	الرازى ٢٩ / ٢٤
٣	١٠٦	أبوداود ٢١٤٩ ج ١٠ / ٢	أبوداود ٢١٤٩ ج ١٠ / ٣
١٦	١٠٨	وكانت ذنوبهم تعزلهم عن مصدر القوه الحقيقيه وتستعدى عليهم قوى الايمان ومعها قوة الله العزيز القهار فأخذهم الله بذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق)	وكانت ذنوبهم تعزلهم (وما كان لهم من الله من واق)
حاشيه رقم ٢	١١٠	يحذف التعريف بفرعون في حقه قياس التمثيل ولا قياس الشمول الذى تستوى افراده فان ذلك شرك عائد سوى فيه بالمخلوق بل قياس الاولى (له المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم)	فرعون أسم أعجمى . . . الخ في حقه قياس الاولى
١٥	١١١	لم يجعل الله بينه وبين خلقه	لم يجعل الله بينه وبينه واسطه في خلقه
٢٢	١١١	وكمال التكلم	وكمال التعلم
٢٥	١١١	أعظم قصص القران	من أعظم قصص القران
حاشيه رقم ٢	١١١	محاسن التأويل للقاسمى ٢٦٤ / ١	محاسن التأويل للقاسمى ١٦٤ / ١
٢	١١٢	الواحد من هذه	الواحد من هذا
٤	١١٢	بحسب تلك الالفاظ	بحسب الالفاظ

رقم السطر	رقم الصفحة	التصريح	الخطبة
١٠	١١٢	مع تغاير أنواع النظـ	مع أنواع النظـ
حاشيه رقم ٢	١١٦	الترمذى ٥٢٥ / ٧	الترمذى ٢٢٥ / ٧
حاشيه رقم ٤	١١٩	الفتح ٣٧٣ / ١٢	الفتح ٣٧٣ / ١٢
١٢	١٢٠	وقف فى طريقه فرعون	وقف فى طريق فرعون
حاشيه رقم ٢	١٢١	البغوى ٩٥ / ٤	البغوى ٩٥ / ٤
حاشيه رقم ٢	١٢٦	أبوداود ١٨٧ / ٢	أبوداود ١٧٨ / ٢
٢	١٢٩	فقال البغوى قال: أكبر أهل التفسير	فقال البغوى أكبر أهل التفسير
٨	١٢٩	وأفأيد فى خفاء هذه الاسماء	ولأغيره فى خفاء
٣	١٣٠	أنه لا يكون مؤمنا	لا يكون مؤمنا
٤	١٣٠	وقد قال مالك أن الرجل إذى نوى طلاق زوجته	وقد قال مالك أن الرجل إذى نوى طلاق زوجته
٥	١٣٠	لكن ليس على الاطلاق	ولكن ليس على الاطلاق
٦	١٣٠	وإن لم يلفظ بلسانه	وإن لم يلفظ بلسانه
٨	١٣٠	فلا يكون مؤمنا حتى يلفظ بلسانه	فلا يكون مؤمنا بحال حتى يلفظ بلسانه
٩-٨	١٣٠	وأما اذا نوى الايمان بقلبه تمنعه التقيه من أن يسمعه غيره وليس من شرط الايمان أن يسمعه الغير فى صحته من التكليف إنما يشترط سماع الغير له ليكف عن نفسه وماله	ولا تمنعه التقيه والخوف من أن يلفظ بلسانه فسيما بينه وبين الله
حاشيه رقم ٢	١٣٠	والثانى أعطاء الرجاء	الثانى اعطاء الرجاء أنظر الملل والنحل لى هاشم الفصل لابن حزم
حاشيه رقم ٣	١٣٠	كما لا ينفع مع الكفر طاعه أنظر الملل والنحل على هاشم الفصل لابن حزم ١٨٦ / ٢	كما لا ينفع مع الكفر طاعه
حاشيه رقم ٣	١٣٠	الفصل لابن حزم ١٨٨ / ٣	بجماعه من الفقهاء
١١	١٣١	لا يسمى فى اللغه تصديقا فليس ايمانا قالوا	لا يسمى فى اللغه تصديقا قالوا
١١	١٣١	والاعمال لا تسمى توحيدا فليست ايمانا	الاعمال لا تسمى توحيدا
حاشيه رقم ٢	١٣٢	تحذف الإحاله على الحاشيه رقم ٢	م فسرهما لهم
١	١٣٣	الإيمان ومعناه التصديق والتصدق	الإيمان ومعناه التصديق والتصدق
١٤	١٣٣	أئمة السلف وعلمائهم	ثمة السلف وعلمائها

رقم السطر	رقم الصفحة	التوضيح	الخط
٢٠	١٣٣	مما يغنى عن ذكرها هنا	عن ذكره هنا
حاشيه رقم ١	٣٣٣	انظر السراج والإبانة في أصول الديانة، انظر الشرح والإبانة على أصول الديانة	انظر السراج والإبانة في أصول الديانة
١	١٤١	تلقى عليه ظل	تلقى عليه ظلال
٥	١٤٤	هذا أسم من أسمائه جل وعلا	الجبار : هذه صفة من صفات الله
١١	١٤٥	لم يزل بنو إسرائيل	لم يزل بنو إسرائيل
١٢	١٤٥	شروعوا فيهم من الإسلام حتى كان فرعون	شروعوا فيهم حتى كان
١٥ ٤٦	١٥٣	تحذف	قلت
١٠	١٥٤	بل لعله كان على	بل لعله على
٥	١٦٠	أما المعية فنوعان : المعية الخاصة بعبادة المؤمنين والمعية الشاملة لجميع الخلق . . . الخ	أما المعية فنوعان
حاشيه رقم ١	١٦٠	ولنفاة العلوونه جل وعلا مذهبان بين المؤمن لقومه كيفية . . .	قلت ولنفاة العلوونه جلا وعلا مذهبين بين الله تعالى لنا ما بينه المؤمن لقومه عن
١١ ٤١٠	١٦٤	من عالم أهل زمانه	من عالم زمانه
١٢	١٨٢	لأنه	لأنه
١٠	١٨٣	حصول هذا العذاب	حصول العذاب
١٣	١٨٣	تلك النصوص المتقدمة	تلك النصوص المتعدده
٣	١٨٧	عجوزتين	عجوزان
١٦	١٨٨	قال السندی	قال السندی
١٧ حاشيه رقم ٩	١١٨	إنا كلنا	إنا كنا فيها
٩	١٩٣	فقيل المراد به	فقيل المراد بها
١٧	٢٠٥	فهي الذي	فهي التي
٣	٢٠٦	عبد شكورا	عبد شكور
٤	٢٠٨	وحسداً	وحسدا
٢	٢١٤	تكبرا واستغناء	تكبر واستغناء
٧	٢٢٣	تحذف من الحاشيه رقم ٢ ٤١	قلت
٨٤٥ من الحاشيه	٢٢٣		

رقم السطر	رقم الصفحة	التعليق	الخط
١١	٢٢٥	رواه أبو سعيد	رواه أبو سعيد
حاشيه رقم ٧	٢٢٥	مسلم ٢٧٢٥ / ٤ / ٢٠٩٦ ح	مسلم ٢٧٥٣ / ٤ / ٢٠٩٦ ح
١٩	٢٥٦	ولم يكن شئ قبله	ولم يكن شئ معه
١٥	٢٦٠	وقال الشوكاني ردا	وقال الشوكاني ويجاب
١٦	٢٦٠	ويجاب عن هذا بأن الله وصف هؤلاء	بأن الله وصف هؤلاء
حاشيه رقم ٩	٢٦٠	الطبري ٥٤ / ٢٤	الطبري ٠ / ٢٤
حاشيه رقم ١٠	٢٦٠	فتح القدير ٥٠١ / ٤	فتح القدير ٠ / ٤
١٤٦١٣	٢٦٩	تحذف	ثم قال سيد قطب موجها
١٥	٢٦٩	أن مهمه الدعاه تبليغ رساله ربهم	أن مهمه الدعاه تبليغ رساله ربه
١٩	٢٦٩	فيقول سيد قطب رحمه الله	فيقول رحمه الله
حاشيه رقم ٢	٢٧٢	الجرح والتعديل ١٥٢ - ١٥١ / ٢	الجرح والتعديل : ١٤٣ - ١٤٢ / ٢
حاشيه رقم ٣	٢٧٢	أنظر التقريب ٣٥١	أنظر التقريب ٣١٥
حاشيه رقم ١	٢٧٣	أنظر الجرح والتعديل ٢٥٢ - ٢٥١ / ٩	أنظر الجرح والتعديل للرازي ٢٥٢ - ٢٥١ / ٩
حاشيه رقم ٢	٢٧٣	أبو نعيم في الحليه ٥٣ / ٣	أبو نعيم في الحليه ٥٧ / ٣
حاشيه رقم ٢	٢٧٥	مات سنه أربعه وأربعين أنظر التقريب ٣٢٨	مات سنه أربعه وأربعين
حاشيه رقم ١	٢٧٨	ووافقه الذهبي في التلخيص أنظر الحاكم ٢ / ٢	ووافقه الذهبي في التلخيص
حاشيه رقم ٧	٢٨٠	مسلم ٢٤٠٦ / ٤ / ١٨٧٢ ح	مسلم ٣٤ / ٤ / ١٨٧٢ ح
حد يث رقم ٥	٢٩١	أدع الله أن يدخلني الجنة ١٧٤	أدع الله أن يدخلني الجنة ١٧٥
١٨ =====	١٩١	أن أحدكم يجمع خلقه ٢٤٨	أن أحدكم يجمع خلقه ٢٥٥
٢٦ =====	٢٩٢	أن الله يقبل توبه العبد ٤٤	أن الله يقبل توبه العبد
٥٠ =====	٢٩٣	فلقد كاد يسلم ١٤٠	فلقد كاد يسلم
٥٦ =====	٢٩٣	كذبت يهود ١٨٧	كذبت يهود ٢٠٧
٦٠ =====	٢٥٣	لا أحصى ثناء عليك ١٦١	لا أحصى ثناء عليك ١٥٩
٦٣ =====	٢٩٣	اللهم أنى أعوذ بك ٢٥١	اللهم أنى أعوذ بك ٢٤٩
٧٠ =====	٢٩٣	لا يزال يستجاب ٢٢٥	لا يزال يستجاب ٢٢٧

رقم السطر	رقم الصفحة	التصويبات	الخطأ
٧٦	٢٩٤	ما من مسلم يدعو بدعوة ليس	ما من مسلم يدعو ليس
رقم ٢٠	٢٩٧	حسان بن عطيه التقريب ٦٨	حسان بن عطيه التقريب ٧٨
رقم ٧١	٣٠٢	محمد بن سيرين : شذرات الذهب / ١ / ١٣٨	محمد بن سيرين : شذرات الذهب
رقم ٢٥	٣٠٦	تفسير المنار للشيخ محمد عبده تعليق السيد رشيد رضا	تفسير المنار للسيد رشيد رضا تعليق الاستاذ الشيخ محمد عبده
رقم ٤٣	٣٠٨	رد الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد	الرد على الجهميه والمعطله لعثمان بن سعيد الدارمي
رقم ٤٧	٣٠٨	الشرح والإبانة على أصول الديانة د / رضا نعيان	السراج والابانه على أصول الديانه تحقيق الدكتور مالك نعيان
٥٨ = =	٣٠٩	العقيدة الطحاوية لاحمد بن سلامه الطحاوي شرح على بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي	شرح العقيدة الطحاوية لأحمد بن حمد بن سلامه الطحاوي
٥٦ = =	٣٠٩	دار الاتحاد للطباعة	دار الاتحاد العربي للطباعة كنيسه الارمن مصر
٦٤ = =	٣١٠	محمد الطناحي	محمد الطناحي
٧٥	٣١١	الغايه في القراءات العشر لاحمد بن الحسين بن مهران أبي بكر النيسابوري	الغايه في القراءات العشر للنيسابوري أبي بكر محمد بن الحسين
٨١	٣١١	الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر البغدادي	الفرق بين الفرق للبغدادى عبد القاهر بن طاهر
٨٦	٣١٢	تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدى	القران الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدى
٩٤	٣١٣	مجاز القران لابي عبيده	مجاز القران لابي عبيد
١١٣	٣١٤	المعجم المفهرس لألفاظ القران	المعجم لألفاظ القران

مصدق / فضيله المشايخ اعضاء لجنة المناقشه على التصويبات والتعديلات على الرساله من حذفاً وإضافة

فضيله الدكتور / محمد بحيرى أبرهيم / الاستاذ بقسم الدراسات العليا شعبه التفسير / المشرف على الرساله

فضيله الدكتور / عبد الفتاح ابرهيم سلامه الاستاذ المساعد بقسم الدراسات العليا / شعبه التفسير .

فضيله الدكتور / أحمد عبد الله الزهراني الاستاذ المساعد بقسم الدراسات العليا وعميد كلية القران

بالجامعه الاسلاميه